المجلد الرابع

خطب الشيخ





قدم له فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

وفضيلة الشيخ
عبد الحميد كشك
رحمه الله

وفضيلة الشيخ
محمد صفوت الشوادفي
رحمه الله

دار ابن رجب

دار الفوائد


منتدى إقراء الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)



الجزء العاشر

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 6 - 057 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى[1].

« وَلَقَدْ جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلافٍ ، وَمَا فِيهِمْ إِلا مَنْ رَقَّ قَلْبُهُ ، أَوْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ ؟!

فَصِحْتُ بِلِسَانِ وَجْدِي : إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالعَذَابِ غَدًا فَلا تُعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي ، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لا لأَجْلِي ، لِئَلا يَقُولُوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ » .

---

(١) صيد الخاطر : ص (١٨٦) طبعة دار ابن رجب

وبعد ...

فهذا هو الجزء العاشر من الخطب .

أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصًا لوجهه وأن يتقبل منا صالح الأعمال .

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه
أبو أحمد محمد بن حسان
مصر - المنصورة

الأخوة في الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ...

إننا اليوم على موعد مع موضوع من الأهمية القصوى بمكان ، وهو بعنوان « الأخوة في الله » وكما تعودنا دائمًا سوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان الرقيق في العناصر التالية :-

أولًا : **حقيقة الأخوة في الله .**

ثانيًا : **حقوق الأخوة .**

ثالثًا : **الطريق إلى الأخوة .**

فاسمحوا لي أن أقول : أعيروني القلوب والأسماع والوجدان ، والله أسأل أن يجعلنا من : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولاً : حقيقة الأخوة في الله

أحبتي في الله : لقد أصبحت الأمة اليوم كما تعلمون غثاءً كغثاء السيل ، لقد تمزق شملها وتشتت صفها ، وطمع في الأمة الضعيف قبل القوي ، والذليل قبل العزيز ، والقاصي قبل الداني ، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة كما ترون لأحقر و أخزى وأذل أمم الأرض من إخوان القردة والخنازير ، والسبب الرئيسي أن العالم الآن لا يحترم إلا الأقوياء ،والأمة أصبحت ضعيفة ؛ لأن الفرقة قرينة للضعف ، والخذلان ، والضياع ،

والقوة ثمرة طيبة من ثمار الألفة والوحدة والمحبة ، فما ضعفت الأمة بهذه الصورة المهينة المخزية إلا يوم أن غاب عنها أصل وحدتها وقوتها ألا وهو « الأخوة في الله » بالمعنى الذي جاء به رسول الله ﷺ ، فمحال أن تتحقق الأخوة بمعناها الحقيقي إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها وكمالها .

كما حولت هذه الأخوة الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم .

يوم أن تحولت هذه الأخوة التي بنيت على العقيدة بشمولها وكمالها إلى واقع عملي ومنهج حياة ، تجلى هذا الواقع المشرق المضيء المنير يوم أن آخى النبي ﷺ ابتداءً بين الموحدين في مكة ، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأشكالهم ، وألسنتهم وأوطانهم ، آخى بين حمزة القرشي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وأبي ذر الغفاري ، وكأني بهؤلاء القوم يهتفون بهذه الأنشودة العذبة الحلوة .

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَـرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

راحوا يرددون جميعا على لسان رجل واحد قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠]

هذه هي المرحلة الأولى من مراحل الإخاء .

ثم آخى النبي ﷺ - ثانيًا - بين أهل المدينة من الأوس والخزرج ، بعد حروب دامية طويلة ، وصراع مر مرير ، دُمر فيه الأخضر واليابس !!

ثم آخى رسول الله ﷺ بين أهل مكة من المهاجرين وبين أهل المدينة من الأنصار ، في مهرجان حُبٍّ لم تعرفْ ولن تعرفَ البشرية له مثيلًا ، تصافحت فيه القلوب ، وامتزجت فيه الأرواح ، حتى جسد هذا الإخاء هذا المشهد الرائع الذي جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد : قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فأطلقها حتى إذا حَلَّتْ تزوجْتَها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك . فلم يرجع يومئذٍ حتى أَفْضَلَ شيئًا من سَمْنٍ وأقطٍ ، فلم يَلْبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفرةٍ فقال له رسول الله ﷺ « **مَهْيَمْ** ؟ » قال : تزوجتُ امرأةً من الأنصار قال : « **مَا سُقتَ فِيهَا** ؟ » قال : وزن نواة من ذهب - أو نواةٍ من ذهب - فقال : « **أَولِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ** »[1].

وقد نتحسر الآن على زمن سعد بن الربيع ونقول أين سعد بن الربيع الذي شاطر أخاه ماله وزوجه ؟!!

---

١١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٧٨١) في مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، ومسلم رقم (١٤٢٧) في النكاح ، باب الصداق ، وجواز كونه تعليم القرآن ، والموطأ (٢/ ٥٤٥) في النكاح ، وأبو داود رقم (٢١٠٩) ، والترمذي رقم (١٠٩٤) والنسائي (٦/ ١١٩ ، ١٢٠) .

والجواب : ضاع ، وذهب يوم أن ذهب عبد الرحمن بن عوف .

فـإذا كان السؤال : من الآن الـذي يعطي عطاء سعد ؟! فإن الجـواب : وأين الآن من يتعفف بعفة عبد الرحمن بن عوف ؟!!

لقد ذهب رجل إلى أحد السلف فقال : أين ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة : ٢٧٤]

فقال له : ذهبوا مع من ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣]

هذا مشهد من مشاهد الإخاء الحقيقي بمعتقد التوحيد الصافي بشموله وكماله ، والله لولا أن الحديث في أعلى درجات الصحة لقلت إن هذا المشهد من مشاهد الرؤيا الحالمة .

هذه هي الأخوة الصادقة ، وهذه هي حقيقتها ، فإن الأخوة في الله لا تبنى إلا على أواصر العقيدة وأواصر الإيمان وأواصر الحب في الله ، تلكم الأواصر التي لا تنفك عراها أبدًا .

الأخوة في الله نعمة جمة من الله ، وفضل فيض من الله يغدقها على المؤمنين الصادقين ، الأخوة شراب طهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء والأزكياء .

لذا فإن الأخوة في الله قرينة الإيمان لا تنفك عنه ، ولا ينفك الإيمان عنها فإن وجدت أخوة من غير إيمان ، فاعلم يقينًا أنها التقاء مصالح ، وتبادل منـافع ، وإن رأيت إيمان بدون أخوة صـادقة فاعلم يقينًا أنه إيمان

ناقص يحتاج صاحبه إلى دواء وعلاج لمرض فيه ، لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة في آية جامعة فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠]

إن الأخوة الموصلة بحبل الله المتين نعمة امتن بها ربنا جَلَّ وَعَلَا على المسلمين الأوائل فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣]

فالأخوة نعمة من الله امتن بها الله على المؤمنين وقال تعالى : « **فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** » وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣]

ثانيًا : حقوق الأخوة

الحق الأول : الحب في الله والبغض في الله

ففي الحديث الذي رواه أبو داود والضياء المقدسي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أنه ﷺ قال « **مَنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ**

لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ »[١] .

وفي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »[٢] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »[٣].

هل فكرت في هذا الحديث النبوي الشريف ؟!! يوم تدنو الشمس من

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١) في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ، وأخرجه أيضًا أحمد في المسند (٣/ ٤٣٨) ، وهو في صحيح الجامع (٥٩٦٥) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٦) في الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، ومسلم رقم (٤٣) في الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري (١٤٢٣) في الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥٢) في الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في الله ، والترمذي رقم (٢٣٩٢) في الزهد ، والنسائي (٨/ ٢٢٢ ، ٢٢٣).

الرؤوس ، والزحام وحده يكاد يخنق الأنفاس ، فالبشرية كلها - من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة - في أرض المحشر ، وجهنم تزفر وتزمجر ، قد أُتِيَ بها « **لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** »(١) في ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب ، ينادي الله ﷻ على سبعة ليظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله - سبحانه وتعالى - من هؤلاء السبعة السعداء ؟! رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، يالها ورب الكعبة من كرامة !!

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَقَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا . غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ** »(٢)

وفي موطأ مالك ومسند أحمد بسند صحيح ، والحاكم ، وصححه ووافقه الذهبي أن أبا إدريس الخولاني - رحمه الله - قال : دخلت مسجد

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة جهنم .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٦٧) في البر و الصلة ، باب فضل الحب في الله ، وأخرجه أحمد في المسند رقم (٢ / ٤٠٨ ، ٤٦٢)

دمشق فإذا فتى شابٌّ برَّاق الثَّنايا والناس حوله فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن قوله ورأيه . فسألت عنه ؟ فقيل : هذا معاذ ابن جبل ﷺ فلما كان الغد هجَّرت ، فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي ، فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قِبَل وجهه ، فسلَّمت عليه . ثم قلت : والله إني لأحبُّك في الله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، قال : فأخذ بحبوة ردائي ، فجبذني إليه ، وقال : أبشر ، فإني سمعت رسولﷺ يقول : **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيّ ، وَالمُتَجَالِسينَ فِيّ ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيّ ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيّ** »[1]

وفي الحديث الذي رواه مسلم ، وأبو داود أنهﷺ قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ : أَفْشُوا السَّلَام بَيْنَكُمْ** »[2] .

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٥٣ ، ٩٥٤) في الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في الله ، و أحمد في المسند (٥/ ٢٢٩) و إسناده صحيح ، وصححه الحاكم (٤/ ١٦٨ ، ١٦٩) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحة (٢٥١٠ موارد) وقال ابن عبد البر : هذا إسناد صحيح .

(٢)صحيح : رواه مسلم رقم (٥٤) في الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمن من الإيمان ، وأبو داود رقم (٥١٩٣) في الأدب ، باب في إفشاء السلام والترمذي رقم (٣٦٨٩) في الاستئذان .

فسلم على أخيك بصدق وحرارة ، لا تسلم سلامًا باهتًا باردًا لا حرارة فيه .

إننا كثيرًا لا نشعر بحرارة السلام واللقاء ولا بإخلاص المصافحة.. لا نشعر أن القلب قد صافح القلب !!

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال عليه الصلاة والسلام « **النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، فَخِيَارُهُم فِي الإِسْلَامِ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا فَقُهُوا ، وَالأَرْوَاح جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** »[1].

قال الخطابي : فالخَيِّر يحنو إلى الأخيار ، والشرير يحنو إلى الأشرار هذا هو معنى « فما تعارف من الأرواح ائتلف وما تنافر وتناكر منها اختلف » لذا لا يحب المؤمن إلا من هو على شاكلته من أهل الإيمان والإخلاص ولا يبغض المؤمنَ إلا منافقٌ خبيثُ القلب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦].

أي : يجعل الله محبته في قلوب عباده المؤمنين ، وهذه لا ينالها مؤمن على ظهر الأرض إلا إذا أحبه الله ابتداء . كما في الصحيحين من حديث أبى

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٦٣٨) في البر والصلة ، باب الأرواح جنود مجندة ، وأبو داود رقم (٤٨٣٤) في الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس وهو في صحيح الجامع (٦٧٩٧) .

هريرة قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيل فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحِبَّهُ . قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنادِي فِي السَّماءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ . قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلُ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ فَقَالَ : فَيَبْغُضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَماءِ : إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغَضُونَهُ . ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ** »[1].

أيها الأحباب الكرام :

المرء يوم القيامة يحشر مع من يحب ، فإن كنت تحب الأخيار الأطهار ابتداءً من نبيك المختار وصحابته الأبرار والتابعين الأخيار ، وانتهاء بإخوانك الطيبين فإنك ستحشر معهم إذا شاء رب العالمين وإن كنت تحب الخبث والخبائث ، وأهل الفجور ، واللهو واللعب كنت من الخاسرين فتحشر معهم إذا شاء رب العالمين .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ : أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة . فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : « **وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟** ». قال : لا شيء ، إلا أني أحب الله ورسوله . فقال : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** »

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٢٠٩) في بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ، ومسلم (٢٦٣٧) في البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥٣) في الشعر ، والترمذي رقم (٣١٦٠) في التفسير .

قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » قال أنس فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بُحبِّي إياهم ، وإن لم أعمل بعملهم »[(١)].

ونحن نُشهِدُ اللهَ أننا نحبُّ رسولَ الله وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان وعليًّا وجميع أصحاب الحبيب النبي ، وكل التابعين لنهجه ودربه المنير ، ونتضرع إلى الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم جميعًا بمنه وكرمه وهو أرحم الراحمين .

ومن السُّنَّة إذا أحب الرجل أخاه أن يخبره كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ** »[(٢)].

وفي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أنس : أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمر به رجل فقال : يا رسول الله ! إني لأحب هذا . فقال له النبي ﷺ : « **أَعْلَمْتَهُ ؟** » قال : لا . قال : « **أَعْلِمْهُ** » قال : فلحقه ، فقال : إني أحبك

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٨٨) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، ومسلم رقم (٢٦٣٩) في البر والصلة ، باب المرء مع من أحب ، وأبو داود رقم (٥١٢٧) في الأدب ، والترمذي رقم (١٣٨٦) في الزهد .

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٤) في الأدب ، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إليه ، والترمذي رقم (٢٣٩٣) في الزهد ، باب ما جاء في إعلام الحب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩) .

في الله . فقال : أحبك الذي أحببتني له[١] .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد وغيرهما من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ أخذ ، بيده وقال : « **يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ** » .

فقال معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فوالله إني لأحبك . فقال ﷺ : « **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذَكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** »[٢].

وامتثالًا لأمر النبي الكريم ، فإني أشهد الله أني أحبكم جميعًا في الله وأسأل الله أن يجمعنا مع المتحابين بجلاله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أقول قولي هذا ، و أستغفر الله لي ولكم .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥١٢٥) في الأدب ، باب إخبار الرجل بمحبته إليه ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٧٤) .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائي (٣/ ٥٣) في السهو باب نوع آخر من الدعاء ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧٣-٢٧٤) ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (٧٩٦٩) .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفي أثره إلى يوم الدين .

أما بعد أيها الأحبة الكرام .

الحق الثاني : **أن لا يحمل الأخ لأخيه غِلًّا ولا حسدًا ولا حقدًا**

أحبتي في الله :

المؤمن سليم الصدر ، طاهر النفس ، نقي تقي القلب ، رقيق المشاعر رقراق العواطف ، ينام على فراشه آخر الليل لا يحمل ذرة حقد ، أوغل ، أو حسد لمسلم البتة على وجه الأرض ، والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ .

« **لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوانًا** »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٠٦٥) في الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ومسلم (٢٥٦٣) في البر والصلة ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٠٧ ، ٩٠٨) في حسن الخلق وأبو داود (٤٨٨٢ ، ٤٩١٧) في الأدب ، باب في الغيبة ، والترمذي (١٩٢٨) في البر والصلة ، باب ما جاء في شفق المسلم على المسلم .

إن الحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب والعياذ بالله ، فيرى الأخ أخاه في نعمة ، فيحقد عليه ويحسده ، ونسي هذا الجاهل ابتداءً أنه لم يرض عن الله الذي قسم الأرزاق ، فليتق الله وليعد إلى الله سبحانه وتعالى ، وليسأل الله الذي وهب وأعطى أن يهبه ويعطيه من فضله ، وعظيم عطائه ، ويردد مع هؤلاء الصادقين : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠]

وردد مع هؤلاء بصفاء ، وصدق ، وعمل ، فقد قال الله فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩]

ففي مسند أحمد بسند جيد من حديث أنس قال كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال : « **يَطْلُعُ عَلَيكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الجَنَّةِ** » فطلع رجل من الأنصار ، تنطف لحيته من وضوئه ، قد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث ، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبي ﷺ ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني لاحَيْتُ أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا ، فإن

رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ؟ قال : نعم ، قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ (أي انتبه في الليل) وتقلب على فراشه ذكر الله ﷻ وكبرّ حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن أحتقر عمله ، قلت يا عبد الله ! إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثَمَّ ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار : « **يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ** » ، فطلعت أنت الثلاث مرار ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟! قال : ما هو إلا ما رأيت . قال فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك ، وهي التي لا نطيق[1].

إن سلامة الصدر من الغل والحسد بلغت بهذا الرجل أن يشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهو في الدنيا .. يا لها من كرامة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٦٦) رقم (١٢٦٩٧) وقال محققه إسناده صحيح ، ورواه أيضًا الترمذي رقم (٣٦٩٤) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٦) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٣) وصححه ووافقه الذهبي .

الحق الثالث : **طهارة القلب والنفس**

إن من حقوق الأخوة في الله أنك إن لم تستطع أن تنفع أخاك بمالك فلتكف عنه لسانك ، وهذا أضعف الإيمان ، فإن تركنا الألسنة تُلقي التهم جزافًا دون بينة أو دليل ، وتركنا المجال فسيحًا لكل إنسان أن يقول ما شاء في أي وقت شاء ، فإنما ينتشر بذلك الفساد والحسد ، والبغضاء ، فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم ، قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق : ١٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[النور : ١٩]

وقال جل في علاه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور : ٢٣ - ٢٥]

اتق الله ، أمسك عليك لسانك ، فوالله ما من كلمة إلا وهي مسطرة عليك في كتاب عند الله لا يضل ربي ولا ينسى .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ**

بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قلت : يا رسول الله ! أي المسلمين أفضل ؟ قال : « **مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** »[٢] .

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري أنه ﷺ قال : « **إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، فَيَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا فِي الجَنَّةِ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، فَيَهْوَى بِهَا فِي جَهَنَّمَ** »[٣].

وفى حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهَا**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦١٣٨) في الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ومسلم رقم (٤٨) في الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ، وكون ذلك كله من الإيمان ، والموطأ (٢/ ٩٢٩) في صفة النبي ﷺ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١١) في الإيمان ، باب من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومسلم رقم (٤٢) في الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام ، والترمذي رقم (٢٥٠٦) في صفة القيامة ، والنسائي (٨/ ١٠٦، ١٠٧) في الإيمان .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري (٦٤٧٨) في الرقاق ، باب حفظ اللسان ، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ، والموطأ (٢/ ٩٨٥) في الكلام ، والترمذي في الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس .

مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ »[1].

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذي يكاد يخلع القلب والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ،وأبو داود في سننه من حديث يحيى ابن راشد قال ﷺ : « ... مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ »[2]. وردغة الخبال : عصارة أهل النار ، والرَّدغة - بفتح الدال وسكونها -: الماء والطين .

والله لو نحمل في قلوبنا ذرة إيمان ونسمع حديثًا من هذه الأحاديث لأَلْجَمَ الإنسانُ لسانَه بألف لجام قبل أن يتكلم كلمة . وفكر ألف مرة قبل أن يتكلم مرة !!

الحق الرابع : **الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك**

واسمع إلى هذا الحديث الذي تتلألأ فيه أنوار النبوة : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَـالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَـالِ إِلَى الله ﷻ ،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ١٤٣) ، وقال الألباني في الصحيحة (١٨٧١) : والحديث بمجموع طرقه صحيح ثابت ، وهو في صحيح الجامع (٣٥٣٧) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٧٠) وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، وأبو داود رقم (٣٥٩٧) في الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٣٧) .

سُرورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخِي المُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي المَسْجِدِ شَهْرًا - يَعْنِي : مَسْجِدَ المَدِينَةِ - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا- وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ- مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًى يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ المُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ ، أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ ، وَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ »[1].

فمن حق المسلم على المسلم إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا أن لا يبخل عليه .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة يقول المصطفى ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيه ... »[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص ٨٠ رقم ٣٦ ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٠٦) ، وهو في صحيح الجامع (١٧٦) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، وأبو داود رقم (٤٩٤٦) في الأدب ، باب من المعونة للمسلم ،

فيا أخي المسلم ، يا منْ منَّ الله عليك بمنصبٍ أو جاه . إن استطعت أن تنفع إخوانك فافعل ولا تبخل ، وبالمقابل يجب على المسلمين ، أن لا يكلفوا إخوانهم بما لا يطيقون ، وإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

وما أجمل أن يقول الأخ لأخيه : أسأل الله أن يجعلك مفتاح خير ، وهذه حاجتي إليك ، فإن قضيتها حمدت الله وثم شكرتك ، وإن لم تقضها لي حمدت الله وعذرتك ، هذه هي الأخوة .

الحق الخامس : **بذل النصيحة بصدق وأمانة**

ففي صحيح مسلم من حديث تميم الداري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « **لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** »[1].

ومن الواجب على الناصح أن يكون فاهمًا للضوابط الشرعية للنصيحة .

قال الشافعي : من نصح أخاه بين الناس فقد شانه ، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه .

والترمذي (١٤٢٥) في الحدود ، باب ما جاء في الستر على المسلم ، وهو في صحيح الجامع (٦٥٧٧) .

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٥٥) في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، والترمذي رقم (١٩٢٧) في البر والصلة من حديث أبي هريرة ﷺ .

والناصح الصادق : رقيق القلب ، نقي السريرة ، مخلص النية ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فإن رأى أخاه في عيب دنا منه بحنان ، وتمنى أن لو ستره بجوارحه لا بملابسه ، ثم قال له حبيبي في الله . ثم يبين له النصيحة بأدب ورحمة ، وتواضع .

فلتُشْعِرِ أخاك وأنت تنصحه : بحبك له ، وبتواضعك وخفض جناحك له ، فقد سطر الله في كتابه ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح : ٢٩]

جلس رجل يومًا في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين ، فقال له عبد الله بن المبارك : يا أخي هل غزوت الروم ؟! قال : لا . قال : هل غزوت فارس ؟! قال : لا . فقال عبد الله بن المبارك : سلم منك الروم وسلم منك فارس ، ولم يسلم منك أخوك !!

والذي بُذِلَتْ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح ولا تأخذه العزة بالإثم ، وأن يتقبلها منه بلطف ، وأدب ، وتواضع ، وحب ، ثم يشكره عليها ويدعو له بظاهر الغيب .

ورحم الله من قال : رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي .

الحق السادس : التناصر

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره مظلومًا فكيف ننصره ظالِمًا ؟ فقال ﷺ : « **تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ** »[1] ، وفي رواية قال رجلٌ : يا رسول الله انْصُرُهُ إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنْصُرُهُ ؟ قال : « **تَحْجُزُهُ أو تَمْنَعُه مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ** »[2]

انصر أخاك في كل الأحوال ، إن كان ظالمًا خذ بيده عن الظلم ، وإن كان مظلومًا وأنت تملك أن تنصره انصره ، ولو بكلمة و إن عجزت فبقلبك وهذا أضعف الإيمان .

الحق السابع : أن تستر عيب أخيك المسلم وتغفر له زلاته

وهذا من أعظم الحقوق : فالأخ ليس مَلَكًا مقربًا ، ولا نبيًّا مرسلًا ، فإن زلَّ الأخ في هفوة فهو بشر ، استر عليه .

قال العلماء : الناس صنفان . صنف اشتهر بين الناس بالصلاح والبعد عن المعاصي ، فإن زلَّ ووقع وسقط في هفوة من الهفوات فعلى المسلمين

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٢٤٤٤) في المظالم ، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا ، والترمذي رقم (٢٢٥٦) في الفتن .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٩٥٢) في الإكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل .

أن يستروا عليه ، ولا يتبعوا عوراته .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ أنه ﷺ قال : « **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ** »[1].

نسأل الله أن يسترنا وإياكم بستره الجميل .

والصنف الثاني من الناس : يبارز الله بالمعاصي ويجهر بها ، ولا يستحي من الخالق ، ولا من الخلق ، فهذا فاجر ، فاسق ، لا غيبة له .

وأخيرًا : الطريق إلى الإخوة

وأنا أعتقد اعتقادًا جازمًا أن الطريق قد وضح في ثنايا المحاضرة ، ولكنني أجمل هذا الطريق في خطوتين اثنتين لا ثالث لهما .

أما الخطوة الأولى : **العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين .**

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

فلنعد إلى هذه الأخلاق السامية التي ينفرد بها الدين الإسلامي لتعود لنا الأخوة الصادقة في الله ، لتعود الأخوة الحقيقة .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٨٠) في الأدب ، باب في الغيبة ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (٤/ ٤٢١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٣) .

فوالله ثم والله لا ألفة ، ولا عزة ، ولا نصرة ، ولا تمكين ، إلا بالعودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين ، وإن شئت فقل العودة الصادقة إلى أخلاق سيد المرسلين ، فلقد لخصت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أخلاق النبي ﷺ في كلمات قليلة ولكنها عظيمة فقالت « **كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ** »[1] نعم والله إنه ﷺ كان قرآنًا يمشي على الأرض في دنيا الناس .

أيها الأحبة : قد يكون من اليسير جدًّا - كما أقرر دائمًا - تقديم منهج نظري في التربية والأخلاق ، بل إن هذا المنهج موجود بالفعل وسُطِّر في بطون الكتب والمجلات ، ولكن هذا المنهج لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به إن لم يتحول في حياة الأمة مرة أخرى إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة فإن البون شاسعٌ بين منهجنا المنير المضيء وواقعنا المر المرير الأليم .

الخطوة الثانية : نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة .

بعد أن نحوِّل هذه الأخلاق النظرية إلى واقع عملي منير مضيء في حياتنا يجب علينا بعد ذلك أن نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة ، والكلمة الرقيقة الرقراقة ، والرفق

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٤٦) في صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض .

والحلم ، فهذا هو مقام دعوة الناس إلى الله في كل زمان ومكان قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥]

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

أسأل الله أن يربط على قلوبنا برباط وثيق رباط الحب في الله ، حتى نعود مرة أخرى إلى عزتنا وكرامتنا وسيادتنا وتتحقق السنن الربانية فينا بحوله ومدده إنه ولي ذلك والقادر عليه .

.... الدعـاء

أولادنا بين البر والعقوق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ...

« أبناؤنا بين البر والعقوق » هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك ، وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان المهم في العناصر الآتية :

أولًا : حقا إنها مأساة .

ثانيًا : خطر العقوق .

ثالثًا : فضل البر .

رابعًا : حقوق تقابلها واجبات .

خامسًا : إنها مسئولية الجميع .

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا وإياكم من : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولاً : حقا إنها مأساة

لا شك أن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى حب ورعاية الأولاد ، بل وإلى التضحية للأولاد بكل غالٍ ونفيس ، فكما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشرة هَشَّة ، فكذلك يمتص الأولاد كل رحيق وعافية واهتمام في

الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية ، ومع ذلك فهما سعيدان ، ولكن من الأولاد من ينسى سريعًا هذا الحب والعطاء والحنان والرعاية ، ويندفع في جحود وعصيان ونكران ليسيء إلى الوالدين بلا أدنى شفقة أو رحمة أو إحسان ، وتتوارى كل كلمات اللغة على خجل واستحياء بل وبكاء وعويل حينما تكتمل فصول المأساة ، و يبلغ العقوق الأسود ذروته ومنتهاه حينما يقتل الولد أمه ، وحينما يقتل الولد أباه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإليك قصة غاية في البشاعة والإجرام والجحود .

لقد وقعتْ في إحدى القرى جريمةٌ مروعةٌ شنعاء هي التي دفعتني إلى الحديث اليوم عن هذا الموضوع ، في أسرة فقيرة تتكون من عشرة أبناء ، يقضي الوالد المسكين ليله ونهاره ؛ ليوفر لأبنائه العيشة الطيبة الكريمة ويلحقهم بأرقى الكليات بالجامعة ، ومن بين هؤلاء الأبناء ولد عاق ، بدلًا من أن يساعد أباه في نفقات هذه الأسرة الكبيرة راح يلهب ظهر والده بالمصروفات ؛ ليضيعها على المخدرات والفتيات ، فقال له والده المسكين : أي بني أنا لا أقدر على نفقاتك ومصروفاتك ، دعني لأواصل المسيرة مع إخوانك وأخواتك وأنت قد بلغت مبلغ الرجال ، فاعمل وشق طريقك في الحياة ، ولكن الولد تمرد على التقاليد والقيم وعلى سلطان البيت والأسرة بل وعلى سلطان الدين ، راح هذا الولد العاق يفكر كيف يقتل أباه ؟! إي والله حدث ما تسمعون !! إنه طالب في كلية

العلوم راح يستغل دراسته استغلالًا شيطانيا خبيثًا حيث أعد مادة كيميائية بطريقة علمية معينة ، وأخذ كمية كبيرة ، وعاد إلى البيت ، وانتظر حتى نام أبوه المسكين ، فسكب المادة الكيميائية على أبيه وهو نائم ، فأذابت المادة لحم أبيه وبدت العظام !!!

الله أكبر !! لا إله إلا الله !! لا إله إلا الله !!

والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب لينخلع ، وإن العقل ليتوقف ، وإن الكلمات لتتوارى في خجلٍ وحياءٍ ، بل وبكاءٍ وعويلٍ ، أمام هذه المأساة المروعة الشنعاء بكل المقاييس .

قد يرد الآن عليَّ أب كريم من آبائنا أو أخ عزيز يجلس معنا ويقول : إنه الفقر ، قاتل الله الفقر !!

والجـواب : مع تقديري لكل آبائي وأحبائي ، ما كان الفقر سببًا ليقتل الولد أباه ، وإذا أردت الدليل فخذ الحادثة الثانية المروعة التي طالعتنا بها جريدة الأهرام منذ أسبوعين اثنين فقط .

أسرة ثرية وصل الوالدان فيها إلى مرتبة اجتماعية مرموقة ، فالأم تحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة ، جلست هذه الأم المثقفـة لتناقش ابنها فلذة كبدها الذي أنهى دراسته الجامعية في أمر خطيبته التي أراد أن يتزوجها ، فالأم تعارض هذا الزواج لاعتبارات وأسباب ترى أنها وجيهة من واقع خبرتها ومسئوليتها تجاه ولدها ، فاحتج الولد على أمه وما كان من هذا

المجرم العاق إلا أن أسرع بسكين ثم انقض بالسكين على أمه بطعنات قاتلة حتى فارقت الحياة !!!

والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب لينخلع ، من هول هذه الصورة البشعة من صور العقوق للآباء والأمهات الذي حذر الله جَلَّ وَعَلَا منه في أدنى صوره ، وأقل أشكاله وألوانه ، فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

[الإسراء : ٢٣- ٢٤]

أيها المسلمون : أيها الأبناء : اعلموا علم اليقين أن العقوق كبيرةٌ تلي كبيرة الشرك بالله وهذا هو عنصرنا الثاني .

ثانيا : خطر العقوق

العقوق من أكبر الكبائر ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ** (ثلاثًا) » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « **الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ** » - وكان متكئًا فجلس - فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٦٥٣) في الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، ومسلم =

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ** » فقال الصحابة : وهل يشتم الرجل والديه ؟! فقال المصطفى : « **نَعَمْ يَسُبُّ الرَّجُل أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ** »[1].

انظر إلى هذا السؤال الاستنكاري من الصحابة - رضوان الله عليهم - وهل يشتم الرجل والديه لا أن يقتل والديه ، لا يتصور الصحابة في مجتمع الطهر مجرد أن يشتم الرجل والديه ؟! فقال الحبيب المحبوب : «**نَعَمْ يَسُبُّ الرَّجُلَ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ** » وبهذا يكون الرجل سب أباه بطريق غير مباشر ، وهذا الفعل من أكبر الكبائر والعياذ بالله .

أيها الأبناء ... العقوق سبب من أسباب الحرمان من الجنة والطرد من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، ففي الحديث الذي رواه النسائي و البزار بسند جيد ، وحسنه الألباني ، ورواه الحاكم في المستدرك ، وصححه على شرط الشيخين البخاري ومسلم من حديث عمر أن النبي ﷺ قال : « **ثَلَاثَةٌ**

= رقم (٨٧) في الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، والترمذي رقم (٢٣٠٢) في الشهادات باب ما جاء في شهادة الزور .

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٧٣) في الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه ، ومسلم رقم (٩٠) في الإيمان ، باب الكبائر وأكبرها ، وأبو داود رقم (٥١٤١) في الأدب ، باب بر الوالدين .

لَا يَنْظُرُ اللهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ » قيل : من هم يا رسول الله ؟! قال : « **العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالمَرْأَةُ المُتَرَجِّلَةُ**(١) **، وَالدَّيُوثُ**(٢) »(٣) .

أيها الأبناء ، أيها الآباء تدبروا قول الرسول ﷺ : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ** » خابوا وخسروا ورب الكعبة هؤلاء الذين طردوا من رحمة الرحمن ، التي وسعت كل شيء ، وأول المطرودين : العاق لوالديه .

أيها الأبناء : أخاطبكم بكل قلبي وكياني ، يا من منَّ الله عليكم الآن بنعمة الآباء والأمهات ، وأنتم لا تدركون قدر هذه النعمة ، ولن تشعروا بها إلا إذا فقدتم الوالدين ، أسأل الله أن يبارك في أعمار أبائنا وأمهاتنا ، وأن يختم لنا ولهم بصالح الأعمال إنه على كل شيء قدير .

أيها الأبناء .. العقوق لا ينفع معه أي عمل ، سواء صلاة أو زكاة أو حج أو صيام ، ففي الحديث الذي رواه الإمام الطبراني وابن أبي عاصم في كتاب السنة بسند حسن ، وحَسَّنَ الحديث الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ**

---

(١) المرأة المترجلة : التي تتشبه بالرجال في هيئتهم وأفعالهم .

(٢) الديوث من الرجال : هو الذي لا غيرة له ولا حمية .

(٣) رواه النسائي (٥/ ٨٠) في الزكاة ، باب المنان بما أعطى ، ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (٩٥٦٠) والحاكم في المستدرك (٤ / ١٤٧) وهو في صحيح الجامع (٣٠٦٣) .

صَرْفًا[١] وَلَا عَدْلًا ، العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالمَنَّانُ ، وَالمُكَذِّبُ بِالقَدَرِ »[٢].

ولكي أختم هذا العنصر لِأُعرِّج على بقية عناصر الموضوع أقول : إن العقوق دَيْنٌ لا بد من قضائه في الدنيا قبل الآخرة ، فكما تدين تدان ، فإن بذلت البر لوالديك سَخَّرَ الله أبناءك لبرك ، وإن عققت والديك سَلَّط الله أبناءك لعقوقك ، ستجني ثمرة العقوق في الدنيا قبل الآخرة ، ففي الحديث الذي رواه الطبراني والبخاري في التاريخ وصححه الألباني من حديث أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **اثْنَانَ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ فِي الدُّنْيَا : البَغْيُّ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** »[٣].

تدبر معي والدي الكريم وأخي الحبيب .. هذا ابن عاقٌّ يعيش معه والده في بيته فَكَبُرَ الوالد ، وانحنى ظهره ، وسال لعابه ، واختلت أعصابه ، فاشمأزت منه زوجة الابن - وكم من الأبناء يرضون الزوجات على حساب طاعة الأمهات والآباء - فطرد الولد أباه من البيت ، فَرَقَّ طفلٌ صغير من أبنائه لجده فقال له : لماذا تطرد جدنا من بيتنا يا أبي ؟!! فقال : حتى لا تتأففون منه ، فبكى الطفل لجده وقال : حسنًا يا أبتي ، وسوف

---

(١) صرفًا ولا عدلًا : أي فرضًا ولا نفلًا ولا عملًا .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢٣) وحسنه الألباني .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٦) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٧) ، وصححه ، ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (١٣٧) .

نصنع بك غدًا إن شاء الله!! العقوق دين لابد من قضائه .

وهذا ابن آخر يصفع والده على وجهه ، فيبكي الوالد ويرتفع بكاؤه ، فيتألم الناس لبكاء هذا الشيخ الكبير ، وينقض مجموعة من الناس على هذا الابن العاق ليضربوه فيشير إليهم الوالد ويقول لهم : دعوه !! ثم بكى وقال والله منذ عشرين سنة ، وفي نفس هذا المكان صفعت أبي على وجهه !! العقوق دين لابد من قضائه !!

وهذا ابن ثالث عاق يجر أباه من رجليه ؛ ليطرده خارج بيته ، وما إن وصل الولد بأبيه وهو يجره حتى الباب ، وإذا بالوالد يبكي ويقول لولده : كفى يا بني ، كفى يا بني إلى الباب فقط ، فقال : لا بل إلى الشارع ، قال والله ما جررت أبي من رجليه إلا إلى الباب فقط !! كما تدين تدان .

أيها الأخ الحبيب : اذهب اليوم إلى أبيك فقبل يديه ، وقدميه وارجع اليوم إلى أمك فقبل يديها وقدميها فَثَمَّ الجنة ، ما أشقاها والله من حياة ، حياة العقوق ، وما أطيبها وأروحها وأسعدها وألذها من حياة ، ألا وهي حياة البر وهذا عنصرنا الثالث .

ثالثا : فضل البر

أيها الحبيب الكريم .. يكفى أن تعلم أن الله جَلَّ وَعَلَا قد قرن بر الوالدين والإحسان إليهما بتوحيده قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[النساء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[البقرة : ٨٣]

قال ابن عباس : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاثة لا يقبل الله واحدة بدون قرينتها . أما الأولى فهي قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد : ٣٣]

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول فلم يقبل منه .

وأما الثانية فهي قول الله : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[البقرة : ٤٣]

فمن أقام الصلاة وضيع الزكاة لم يقبل منه .

وأما الثالثة فهي قول الله تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤]

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

حياة البر ما أروعها من حياة ، إنها حياة السعادة والطمأنينة ، إنها حياة الأمن والأمان ، يالها من لذة !! فيها ستشعر بانشراح الصدر ، ستشعر بالسعادة في كل الخطا ، بل سيوسع الله عليك رزقك ، بل سيبارك الله لك في عمرك .

البِرُّ سَبَبُ دُخُولِ الجَنَّةِ :

تدبر معي كلام النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ، قال الحبيب ﷺ : « **رَغْم أَنْفِهِ ، رَغْمَ أَنْفِهِ ، رَغْمَ أَنْفِهِ** » قيل : من يا رسول الله ؟ قال المصطفى : « **مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدُهُمَا**

أَوْ كِلَاهُمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ »[1].

الرسول ﷺ يقول : رغم أنفه ثلاثًا : أي ذل وهان وتعرض للخيبة والخذلان من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولا يكونا سببًا في دخوله الجنة .

إياك أن تضيع هذا الخير ، يا من منَّ الله عليك به الآن .

بر الوالدين من أعظم القربات إلى رب الأرض والسماوات .

اسمع كلام سيد المرسلين ، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ! أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا** » قال : ثم أي ؟ قال : « **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ** » قال : ثم أي ؟ قال : « **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله** »[2].

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال رجل للنبي ﷺ : أُجاهد ؟ قال: « **لَكَ أَبَوَانِ ؟** » قال : نعم . قال : « **فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ** »[3]. وفى

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٥١) في البر والصلة ، باب رغم من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ولم يدخل الجنة ، والترمذي رقم (٣٥٣٩) في الدعوات ، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٤٥) رقم (٨٥٣٨) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٣٥١١) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٧٠) في الأدب ، باب البر والصلة ، ومسلم رقم (٨٥) في الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

(٣) صحيح : رواه البخاري رقم (٥٩٧٢) في الأدب ، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين .

رواية مسلم أن رجلًا جاء للنبي ﷺ فقال : يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة والجهاد فقال له المصطفى : « **هَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ** » قال : نعم بل كلاهما . قال : « **فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله ؟** » قال : نعم .

قال : « **فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا** »(١).

بر الوالدين سبب تفريج الكروبات :

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، يَتَمَاشَونَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الجَبَلِ ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لله صَالِحَةً فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا : فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيهِمْ ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيهِمْ فَحَلَبْتُ ، بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي ، وَإِنَّهُ نَأَى بِي الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلبُ فَجِئْتُ بِالحَلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُسِهِمَا ، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدمِي ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبِهِمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَّجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ**

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٤٩) في البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ، وأبو داود (٢٥٣٠) في الجهاد ، والترمذي (١٦٧١) في الجهاد ، والنسائي (٦/ ١٠) في الجهاد .

مِنْهَا السَّمَاءَ .. »[١] إلى آخر الحديث .

انظر جيدًا في معنى هذا الحديث لما تقرب الرجل إلى الله ﷻ ببر والديه استجاب الله دعاءه ، فعليك ببر الوالدين بإخلاص تكن مستجاب الدعوة .

أيها الأحبة الكرام : معلوم أن بر الأم مقدم على بر الأب ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : مَنْ أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « **أُمُّكَ** » قال : ثم من ؟ قال : « **أُمُّكَ** » قال ثم من ؟ قال : « **أُمُّكَ** » . قال ثم من ؟ قال : « **أَبُوكَ** »[٢]

بل وتدبر معي هذا الحديث الرقيق الرقراق الذي رواه البيهقي ، وابن ماجة وحسنه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث معاوية بن جاهمة ، أن جاهمة ﷺ عندما جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أردت أن أغزو - أي في سبيل الله - وقد جئت أستشيرك ، فقال : « **هَلْ لَكَ أُمٌّ ؟** » قال : نعم . قال : « **فَالْزَمْهَا ، فَإِنَّ الجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا** »[٣]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٧٤) في الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والديه ، ومسلم رقم (٢٧٤٣) في الذكر ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، وأبو داود رقم (٣٣٨٧) في البيوع باب في الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٧١) في الأدب ، باب البر والصلة ، ومسلم رقم (٢٥٤٨) في البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

(٣) رواه النسائي (٦/ ١١) في الجهاد ، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة ، وابن ماجة (٢٧٨١) في الجهاد ، باب الرجل يغزو وله أبوان ورواه أيضًا أحمد في المسند (٣/ ٤٢٩) وصححه الحاكم =

وقد يتحسر الآن آباؤنا وأحبابنا ممن حرموا من نعمة الوالدين ، لذا أسوق إليهم حديثًا ربما وجدوا فيه العزاء : وللأمانة العلمية التي عاهدنا الله عليها ففي سنده على بن عبيد الساعدي ، لم يوثقه إلا ابن حبان وبقية رجال السند ثقات عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ! هل بقى عليّ من برِّ أبوي شيء أبرهما بعد موتها . فقال : « **نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا** » أي : الدعاء لهما ، والترحم عليهما ، والاستغفار لهما - **وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا** »[1].

فيجب علينا أن ندعو لآبائنا ونستغفر لهما ونحج عنهما ونتضرع لله بالدعاء لهما فنقول : ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا ، فلقد كان السلف رضوان الله عليهم إذا ماتت أم أحدهما بكى وقال : ولم لا وقد أغلق اليوم عليّ باب من أبواب الجنة .

= وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة .

(١) رواه أبو داود رقم (٥١٤٢) في الأدب ، باب بر الوالدين ، وابن ماجة رقم (٣٦٦٤) في الأدب ، باب صل من كان أبوك يصل ، وابن حبان رقم (٢٠٣٠) وضعفه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول والألباني في ضعيف سنن أبى داود .

رابعًا : حقوق تقابلها واجبات

كما أن للوالدين حقوقًا على الأبناء فإن للأبناء حقوقًا على الآباء ، فكم من آباء ، وكم من أمهات قد ضيعوا الأبناء ؟!

إن التربية منذ أول اللحظات مسئولية كاملة للوالدين ، بل وقبل أن يأتي الولد للحياة ، فالوالد مسئول عن هذا الابن الذي لم يأتِ بعد ، كيف ذلك ؟! أن يحسن اختيار أمه التي يجب أن تربيه بعد ذلك على الصلاح والفضائل .

أحبتي في الله :

أسألكم بالله أن تتدبروا معي هذه الكلمات التي سأطرحها على حضراتكم ، ماذا تقولون لو قلت لحضراتكم الآن : بأن أبًا قد عاد اليوم إلى بيته ، فأخرج ورقة ، وكتب عليها استقالة لزوجته من تربية أبنائه ؟!! حتمًا سيتهم هذا الوالد بالجنون .

أقول : وماذا تقولون لو أن أمًّا قد عادت اليوم من عملها إلى بيتها فسحبت ورقة ، وكتبت عليها استقالة لزوجها من تربية الأبناء ؟!! حتمًا ستتهم هذه المرأة بالجنون بل ، وقد يفكر هذا الوالد المسكين في طلاقها .

فماذا تقولون لو قلت لحضراتكم بأن نظرة صادقة إلى الواقع الذي نحياه تقول بأن استقالة جماعية قد حدثت في بيوت المسلمين ؟ نعم لقد استقال كثير من الآباء تربويًّا ، واستقالت كثير من الأمهات تربويًّا ،

والوالد المسكين يظن أن دوره يتمثل في أن يكون وزيرًا للمالية ، طوال النهار في التجارات والسفريات والأعمال أو على المقاهي والمنتديات ، فإذا ما حَلَّ الليل رجع لينام أو ليسهر أمام التلفاز ، ما فَكَّر مرة أن يخلو بأولاده يطمئن على أحوالهم .

أنا لا أقول فَرِّغ كل وقتك لولدك لأنني أعلم ظروف الحياة وأعلم الحالة الاقتصادية الطاحنة التي ترهق ظهور الآباء .

لكن أقول : والله إن جلوس الأب بين أبنائه وهو صامت لا يتكلم فيه من عمق التربية ما فيه ، فما بالكم إذا تكلم فَذَكَّر بجنةٍ ، وحَذَّرَ من نارٍ، وحل مشكلة ، ووجه نصيحة ، وأشعر أولاده أنه يشعر بهم وبأحاسيسهم وسأل عن صديق الولد ، وسأل عن صاحبة البنت ، بكل حنان ورحمة وأُبوَّة حانية .

أيها الوالد الكريم : إذا ربيت ولدك على الفضائل ، والأخلاق الكريمة والصلاح منذ نعومة أظفاره ، شب حتمًا على هذه الفضائل والأخلاق ، نعم قد يقول لي والد : إنني أربى ولدي في البيت وسيخرج إلى الشارع ليعود ، وقد طُمِس بناؤه الجميل الذي اجتهدت في تزيينه وتجميله ، سأقول لك : أبشر واطمئن فما دام الأصل سليمًا ، وما دام الجوهر نقيًّا فسرعان ما يزول هذا الغبش الذي تأثر به ظاهره ، وسرعان ما يعود إلى أخلاقه وجـوهره النقي ، الذي اجتهدت في إعداده في بيتك على كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ .

أيها الوالد الكريم : ابنك أمانة ، اجتهد لا تضيع ولدك فسوف تسأل عنه قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** ، قال : وحسبت أَنْ قَدْ قال : **وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** »[1].

وتبلغ المأساه ذروتها إذا انضم إلى استقالة الآباء استقالة الأمهات ، فالأم هي الحضن التربوي الطاهر ، الأم هي المدرسة الأولى للتربية ، ماذا تقولون لو أغلقت المدرسة الأولى للتربية ؟! ألا وهي مدرسة الأم .

لَيْسَ اليَتِيمُ مَن انْتَهَى أَبَوَاهُ ... وَخَلَّفَاهُ فِي هَمِّ الحَيَاةِ ذَلِيلًا
إِنَّ اليَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَرَى لَهُ ... أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولًا

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٨٩٣) في الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، والترمذي (١٧٠٥) في الجهاد ، باب ما جاء في الإمام ، وأبو داود (٢٩٢٨) في الإمارة ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية .

ماذا تقولون لو علمتم كما ذكرت لحضراتكم أن من الآباء من يمنع ولده من الذهاب إلى المسجد ، أو يمنع ولده من الذهـاب إلى مجالس العلم ، نعم أسأل الله أن يجعلني من المنصفين ، أنا لا أريد أن أقلل الآن - بعد ما أصلت للوالدين من حقوق - من شأنهما عند أبنائنا وإخواننا ، وإنما أود أن أقول لإخواني وأبنائي : قد يأمرك الوالد بذلك من منطلق الخوف عليك ، وهذا هو الواقع ، فالولد قرة عين أبيه ، وثمرة فوائده ، فإن أمر الوالد ولده بذلك فليعلم أن المعصية أكبر ، وبأنه سيزداد خوفه بصورة أكبر إذا منع الولد من معرفة طريق المساجد ، وإذا حال بين الولد وطـريق السنة ، وسوف يبكي الوالد دمًا بدل الدموع إذا رأى ولده يحقن نفسه بحقنة مخدرات أو يتعاطى المخدرات أو يمشي مع فتاة في الحرام ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لذا أذكر آبائي الكرام بأن يفتحوا الباب على مصراعيه لأبنائهم وليسلكوا طريق سنة النبي ﷺ .

أيها الأحباب الكرام : إن للوالدين حقوقًا على الأبناء وإن للأبناء حقوقًا على الوالدين وهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يقع ولده في عقوقه .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين أشكو إليك عقوق ولدي ، فقال : ائتني به ، فجاء الولد إلى عمر ﷺ ، فقال عمر : لم تعق أباك ، فقال الولد : يا أمير المؤمنـين ما هو حقي على والدي ؟ فقال

عمر : حقك عليه أن يحسن اختيار أمك ، وأن يحسن اختيار اسمك ، وأن يعلمك القرآن . فقال الولد : والله ما فعل أبي شيئًا من ذلك ، فالتفت عمر إلى الوالد وقال : انطلق لقد عققت ولدك قبل أن يعقك .

وأخيرًا حتى لا أطيل عليكم « **إِنَّهَا مَسْئُولِيَّةُ الجَمِيعِ** » أرجىء الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها الأحباب الكرام

خامسًا : إنها مسئولية الجميع .

نعم يجب أن نعلم أن المسئولية تقع على كواهلنا جميعـًا ، فعلى البيت مسئولية ، وعلى مناهج التعليم مسئولية ، وعلى المدرسة مسئولية ، وعلى الإعلام مسئولية ، وعلى الشارع مسئولية ، فالمسئولية تقع على كواهل الجميع ، تبدأ من البيت ومن الأسرة ، ولكن قد يتألم الآن بعض الأحبة ويقول : إذا كان الوالد من الصالحين فاجتهد في تربية أبنائه تربية ترضي

الرب سبحانه واجتهدت الأم كذلك ، لكن خرج من بين هؤلاء الأبناء ابن عاق انحرف عن الطريق .

نقول : إن هذا لا يقدح في أصل القاعدة فإنني أرى بيتًا من بيوت المسلمين يشرف على التربية فيه نبي كريم من أنبياء الله وهو نبي الله نوح ﷷ ، ومع ذلك لا يخرج الولد من هذا البيت عاق فقط وإنما يخرج كافرًا والعياذ بالله ، وألمح بيتًا آخر يقوم على أمر التربية فيه فرعون مصر طاغوت الدنيا بأسرها ويشرف على تربية طفل ، هذا الطفل هو نبي الله موسى ﷷ (كليم الله) .

فابذل ما استطعت واجتهد ، واترك النتائج بعد ذلك إلى الله الذي يعلم كل شيء ، والذي يعلم الحكمة إنه عليم حكيم .

أيها الوالد الكريم ، أيتها الأم الفاضلة : تبدأ المسئولية في التربية للأبناء من البيت فهي المدرسة الأولى لكل نَشْأ وهي المكان التربوي الأكبر الذي يؤثر في شخصية وتكوين الأبناء ، فاجتهدوا واتقوا الله في التربية ولا تهنوا ولا تحزنوا فمن زرع حصد ، واعلموا يقينًا أن من زرع خيرًا سيجد خيرًا بإذن الله ، ومن زرع شرًّا فسوف يجنيه بعدل الله .

أولادكم أمانة في أعناقكم ، فهذه مسئولية ويالها من مسئولية !! عندها تتوارى كل المسئوليات ، فالأبوة بمعناها الحقيقي هي العطاء بلا حدود ، هي العطف ، هي الحنان ، هي الرحمة ، هي الشفقة ، هي البذل والتضحية

بكل غالٍ وثمين ، هي النصيحة ، هي الاهتمام ، هي الشعور بمشاعر الأولاد ومعايشة أحزانهم وأفراحهم وحوائجهم ، فالأبوة في خصالها السامية لم ولن تعادلها مسئولية قط ، ولم لا ؟! وأنت تبني جيلًا الآن يصبح صرح أمة التوحيد الشامخ غدًا ، يصبح صاحب الكلمة غدًا ، يصبح رافع راية لا إله إلا الله غدًا ، ما أسماها من مسئولية ! وما أرفعها من مكانة !!

فكن لولدك كما كان محمد ﷺ لأولاده .

وكوني أيتها الأم كما كانت أمهات المؤمنين .

والإعلام له دور خطير في توجيه النشىء ، فليتق الله كلُّ القائمين على الإعلام في فلذات أكبادنا فإن الإعلام سلاح مهم في تعليم أبنائنا الأخلاق العالية ، والمثل السامية إذا أحسن استغلاله .. وسلاح مدمر للفرد والأسرة والمجتمع إذا أُسِيء استغلاله فإن الكثير من وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة تعزف على وتر الجنس وعلى وتر أخلاق الغرب التي تصطدم بديننا الحنيف وتقاليدنا العريقة .

لذا أصبح الولد ينظر إلى أبيه المحافظ صاحب الأخلاق والفضائل ، نظرة احتقار ، نظرة ازدراء ، نظرة سخرية .

هكذا أُشرب في قلبه أن كل من يتمسك بالأخلاق الفاضلة فهو رجل رجعي .. فلا عيب أن تجد ولدًا يقول لأبيه : أنت رجل رجعي لا تعيش

عصرك ، أنت لا تعيش زمانك ، إنكم مازلتم تعيشون في مجاهل القرون الماضية .

العزف بصورة واضحة على نغمة التحرر ، جعل الأبناء يتمردون على كل شيء ، على سلطة الأسرة ، على سلطة الوالدين ، بل وتمرد الأولاد أخيرًا على سلطة الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فعلى القائمين على الإعلام أن يتقوا الله .

وعلى المدارس ومناهج التعليم وكل المسئولين عن دفة التعليم مسئولية كبيرة فهم يشكلون عقول أبناء الأمة .

ومن أجمل ما قال محمد إقبال – رحمه الله -: إن العلوم الحديثة تحسن أن تعلم أبناءنا المعاني والمعارف ، ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ، وقلوبَهم الخشوع .

وعلى الشارع أيضًا دور ، فلو خرج الأبناء إلى الشوارع بأخلاق البيوت الطيبة لتغير الحال ، إذا المسئولية مشتركة وعلى الجميع ، لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك . أسأل الله أن يقر أعيننا وإياكم بصلاح أبنائنا وستر بناتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

...الدعـاء

جرائم بشعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

« **جرائم بشعة** » تدق أجراس الخطر في آذان المسلمين جميعًا وتقرع الآذان بشدة وقوة قائلة : أفيقوا أيها المسلمون ، فإن ما تعيشون فيه من ضنك وشقاء إنما هو نتيجة حتمية عادلة لعزوفكم عن منهج ربكم .

تلك الجرائم التي صدمت آذاننا وأفزعت قلوبنا في الأيام القليلة الماضية هذا الذي دخل على أخته فوجدها بين أحضان مدرسها الخصوصي فأخذته الغيرة فقتل أخته .

وهذه المرأة الفاجرة الداعرة التي دخل عليها أبوها فرآها تمارس الفاحشة – والعياذ بالله – مع شاب .

وهذا الذي صُدِم قلبه ، وكاد بصره أن يُخطف يوم أن وصل إلى مسامعه همسات تؤكد أن فلذة كبده وثمرة فؤاده تمارس الفاحشة ، فما كان من هذه الشقية التعسة وشريكها الشقي التعس إلا أن انقضا على هذا الوالد المسكين فقتلاه .

ما هذا الذي نسمع ؟! وما هذا الذي يحدث ؟! وما هذا الذي يجري يا عباد الله ؟! إن الإسلام دين الفطرة ، لا يحارب دوافعها ولا يستقذرها أبدًا وإنما ينظمها ويطهرها ويرقيها إلى أسمى المشاعر التي تليق بالإنسان كإنسان .

قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٦]

ولن تكون جرائمنا التي نشرتها جرائدنا الغراء في الماضي القريب هي الأخيرة من نوعها ، ولم تكن ولن تكون هذه الجرائم هي الأخيرة بل ورب الكعبة سوف نسمع أبشع من هذا ما دام الناس يتلقون تربيتهم و تعاليمهم عن العلمانيين والساقطين والراقصين والتافهين وقد تركوا تعاليم رب العالمين ، وهجروا شريعة سيد المرسلين ﷺ ، لن تكون هذه الجرائم هي الحلقة الأخيرة للمسلسل ، وإنما هي لبنة عفنة في بناء عفن ، وهي حلقة في مسلسل آسن ، وهى حلقة من سلسلة طويلة مُرَّة مريرة لم تنته ولن تنتهي حتى يعود الناس من جديد إلى قرآن ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

أيها المسلمون : الإسلام دين الفطرة ، الإسلام دين الله الذي خلق الرجل والمرأة على السواء ، وهو يعلم سبحانه وتعالى ما يصلح الفرد و ما يصلح المجتمع ، وما يسعد به الفرد وما يسعد به المجتمع ، أليس هو القائل : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤]

الإسلام يحرص أن يهيِّئ المناخ الصالح ؛ لكي يتنفس الفرد المسلم في جو اجتماعي طاهر نظيف ، ثم يعاقب بعد ذلك وبمنتهى الصرامة والشدة

كل فرد ترك هذا الجو النظيف الطاهر النقي ، وراح يرتع في وحل الجريمة الآثم طائعًا مختارًا غير مضطر ، فالإسلام لا يطلق لأحد العنان كي يعيث في الأرض فسادًا ، من انتهاك حرمات ، أو التعدي على أعراض المؤمنات ، أو تجريح البيوت الآمنة المطمئنة ، فالإسلام لا يطلق للفرد العنان ليفعل هذا كله ، ولكن إذا لم تجدي في الفرد التربية ولم تؤثر فيه الموعظة ولم يلتفت إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإلى كرامة أبناء المجتمع الذي يعيش بينهم ، إذا لم يراعِ الفرد كل هذا ، وانطلق ليعربد وينتهك العرض والحرمة ، حينئذٍ يأخذ الإسلام على يديه بمنتهى الصرامة والشدة ؛ لتعيش الجماعة كلها آمنة هادئة مطمئنة ، وهذه هي عين الرحمة في أسمى معانيها ، أليس ربنا هو القائل : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩]

أرأيتم لو أن إنسانًا أصيب بالمرض الخبيث – أعاذنا الله وإياكم منه – بطرف من أطرافه وقرر الأطباء المتخصصون أنه لابد من بتر هذا الطرف حتى لا يسري المرض في جميع أجزاء الجسم ،هل يأتي عاقل ويقول : لا إنها وحشية إنها بربرية ، إنها غلظة وقسوة ، لا تقطعوا هذا الطرف ؟! لا والله ، وإنها سيأتي أقرب الناس إلى المريض وأحب الناس إليه ويتضرع إلى الطبيب بل ويبذل له كل نصح وكل دعاء ، مع أنه يعلم أنه ذاهب إلى غرفة العمليات ليقطع طرفًا من أطراف عزيز لديه وحبيب عنده ، نعم إنها

الرحمة بعينها رغم أنه سيبتر طرفًا من أطراف الجسد ، فهذا الفرد الذي عاث وعربد وهتك ، ولم تؤثر فيه الموعظة ، ولم يراعِ حرمة المجتمع الذي عاش وترعرع فيه ، وانطلق ليعيث في الأرض فسادًا بانتهاك الحرمات وهتك الأعراض ، فالإسلام - بعين الرحمة - يأخذ على يدي هذا الفرد بمنتهى الشدة والصرامة لتبقى الجماعة كلها هادئة آمنة مطمئنة أليس الله هو القائل : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

لذلك شدد الشرع معاقبة جريمة الفاحشة لأنها أبشع جريمة على ظهر الأرض بعد الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله ، فقد سجل المولى في قرآنه في سياق صفات عباد الرحمن فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان : ٦٨-٧١]

فترى واضحًا جليًّا في الآيات الكريمة أن من صفات المؤمنين عدم الشرك بالله ، وعدم قتل النفس التي حرم الله ، وبعدها مباشرة عدم ارتكاب فاحشة الزنا وقد جاءت في القرآن الكريم مرتبة حسب بشاعتها وخطرها وجسامتها على الفرد والمجتمع .

أيها المسلمون : أيها الآباء ، أيتها الأمهات ، أيها الشباب ، أيتها البنات أيتها الأخوات الفاضلات ، والله الذي لا إله غيره ما شرع الإسلام هذه الأحكام إلا لتبقى المرأة المسلمة دُرَّةً مصونة ولؤلؤة مكنونة لا يمسها إلا زوجها ، ولا تنظر إليها عين زانية ، وإنما حفظ الإسلام كرامتها ، فأمرها بالحجاب ، وأمر الرجل بغض البصر ، وأمر الرجال والنساء بتخفيف مؤنة الزواج ،ووضع الضمانات الوقائية التي تضمن للرجل والمرأة أن يعيشا في ظل مجتمع نظيف .. طاهر .. نقي ، ثم يعاقب بعد ذلك من ترك هذه الضمانات الوقائية ، وذهب ليتمرغ في أوحال المعصية طائعًا مختارًا غير مضطر .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : ((**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**))[1].

قال عكرمة : قلت لابن عباس : كيف يُنزع منه الإيمان ؟! فقال ابن عباس هكذا وشبك ابن عباس بين أصابعه ، ثم قال : فإن زنى أو شرب الخمر نزع منه الإيمان هكذا ، فإن تاب وعاد إلى الله عاد إليه الإيمان مرة أخرى .

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٤٧٥) في المظالم ، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه ، ومسلم رقم (٥٧) في الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية ، وأبو داود (٤٦٨٩) في السنة ، والترمذي رقم (٢٦٢٧) في الإيمان ، والنسائي (٨/ ٦٤) في السارق .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ، ورواه أبو داود والحاكم مرفوعًا من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال : « **إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ العَمَلِ عَادَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ** »[١]

فإن تاب إلى الله عاد إليه الإيمان وقبل الله منه التوبة وهذا هو المحك الحقيقي بين أهل السنة وفرق الضلال الأخرى التي كفَّرت مرتكبي الكبيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفي صحيح مسلم ، وسنن النسائي من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **ثَلاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ** »[٢]

يقول الرسول : ثلاثة لا ينظر إليهم الله ولا يزكيهم ولا يكلمهم يوم القيامة ، يا ترى من هم خابوا وخسروا ورب الكعبة ؟!

الأول : شيخ زان ، قَلَّت عنده الشهوة وضعفت عنده الرغبة وبالرغم من ذلك ذهب ليتمرغ في أوحال الفاحشة ، ويرتع في مستنقع الرذيلة القذر !!

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٩٠) في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه والترمذي رقم (٢٦٢٥) في الإيمان ، باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢) وصححه ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (٥٨٧) .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (١٠٧) في الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمَنِّ بالعطية ، والنسائي (٦/ ٨٦) في الزكاة ، باب الفقير المختال .

الثاني : ملك كذاب ،هذا ملك ليس به حاجة للكذب فهو الآمر الناهي يستطيع بيسر أن يأمر هذا ليفعل كذا ، ويأمر ذاك ليفعل كذا فليس هناك شيء يدعوه إلى الكذب ومع ذلك يكذب !!

والثالث : عائل مستكبر .. أي فقير متعالٍ مستكبر .. سبحان الله رغم أنه فقير ومع هذا يتكبر على خلق الله !! فهؤلاء الثلاثة - أعاذنا الله وإياكم - خابوا وخسروا الخسران المبين .

وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال : « **لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْس ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ** »[1]

والثيب : هو المحصن ، والمحصن هو : الذي وطيء في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل .

وفى الصحيحين أيضًا في حديث الرؤيا الطويل أن النبي ﷺ قال : «**... فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ ، قَالَ : فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا** » ثم بين الملكان للنبي ﷺ الأمر : « ... **وَأَمَّا الرِّجَالُ**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٨٧٨) في الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، وأبو داود رقم (٤٣٥٢) في الحدود ، والترمذي رقم (١٤٠٢) في الديات ، والنسائي (٧/ ٩٠-٩١)

وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي ... »[١]

لذا لا نستكثر أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله « رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ »[٢] أي : دعته امرأة ذات منصب وجمال ليفعل بها الفاحشة ، فتذكر الله جَلَّ وَعَلَا وتذكر نار جهنم ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين .

وفى الصحيحين في قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار « خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَدَخَلُوا غَارًا فَسَقَطَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ بَابُ الغَارِ فَقَالُوا : لَا مَلْجَأَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَلْجَأَ إِلَى اللهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِنَا فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا ، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ ، وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ ... »[٣]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٠٤٧) في التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، ومسلم رقم (٢٢٧٥) في الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ، والترمذي رقم (٢٢٩٥) في الرؤيا .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٦٠) في الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، والموطأ (٢/ ٩٥٢ ، ٩٠٣) في الشعر ، والترمذي رقم (٢٣٩٢) في الزهد ، والنسائي (٨/ ٢٢٢ ، ٢٢٣) في القضاء .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٧٤) في الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والديه ، ومسلم رقم =

فانظر أيها المسلم ومحص جيدًا فسوف ترى أن البعد عن جريمة الزنا من أعظم أسباب تفريج الكربات في الدنيا والآخرة ، ولذا شدد القرآن غاية التشديد في جريمة الزنا فقال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢]

ويزيد القرآن في تفظيع وتبشيع هذه الجريمة فيقول جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٣]

وللعلماء في حد الزاني تفصيل ونزاع إما أن يكون بكرًا أو يكون محصنًا والبكر هو الشاب الذي لم يتزوج ، وقد بينا المحصن قبل قليل ، أما حد الزاني عند الله جَلَّ وَعَلَا إذا كان بكرًا أن يجلد مائة جلدة ، ويغرب عن بلده عامًا - أي أن ينفى عامًا عن بلده ، وذلك بسجنه في مكان بعيد عن بلده لمدة عام كامل .

وهذا هو رأي جمهور العلماء ، وخالف الجمهور في ذلك الإمام أبو حنيفة فقال : يجلد فقط ، ويبقى التغريب للإمام ، فإن شاء الإمام (أي ولى الأمر) غَرَّب وإن شاء لم يُغَرِّب ، ولكن الراجح هو ما ذهب إليه جمهور أهل

= (٢٧٤٣) في الذكر ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، وأبو داود رقم (٣٣٨٧) في البيوع ، باب في الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه .

العلم . لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني قالا : كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال : أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي . قال : « **قُلْ** » قال : إن ابني هذا كان عسيفًا (أي أجيرًا) على هذا فزنى بامرأته ، فافتديتُ منه بمائة شاة وخادم ، ثم سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأته الرجم ، فقال النبي ﷺ : **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، المَائَةُ شَاةٍ وَالخَادِمُ تُرَدُّ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَاغْدُ يَا أُنَيسُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا ، فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ ، فَرَجَمَهَا** »[1]

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس قال : جلس عمر بن الخطاب على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فإني قائلٌ لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يَدَي أجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أُحِلُّ لأحدٍ أن يكذب عليَّ ، إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها . رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده . فأخشى إن طال

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) في الحدود ، باب الاعتراف بالزنا ، ومسلم رقم (١٦٩٧) في الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى .

بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فضيلة أنزلها الله . والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، أو كان الحَبَلُ ، أو الاعتراف ... »[1].

وفي لفظ الإمام مالك قال عمر : ووالله لولا أني أخشى أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله ، لكتبتها : الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة فإنا قد قرأناها . قال مالك : الشيخ والشيخة يعني الثيب والثيبة (أي : المحصن والمحصنة) فارجموهما ألبته .

ويقول : وآية الرجم نُسخت تلاوتها ، وبقى حكمها لم ينسخ ، فهي آية منسوخة التلاوة باقية الحكم لم تنسخ .

هذا هو حد الزاني المحصن الذي ترك هذا اللحم الطيب الذى أحله الله وذهب ليأكل اللحم النيىء الخبيث الذي حرمه الله تعالى عليه .

وقد خالف الإمام أحمد بن حنبل جمهور أهل العلم ، وقال : بل إن الزاني المحصن يجلد ويرجم ، واستدل على ذلك بحديث في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ، ولكن الراجح أن حديث عبادة كان في

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٨٣٠) في الحدود ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، ومسلم (١٦٩١) في الحدود ، باب رجم الثيب في الزنى ، والموطأ (٢/ ٨٢٣) في الحدود ، باب ما جاء في الرجم ، والترمذي (١٤٣١) في الحدود ، وأبو داود رقم (٤٤١٨) في الحدود والدارمي في السنة (٢/ ١٧٩) وأحمد في المسند (١/ ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٥)

أول الأمر فقد نُسِخَ وبقى حكم الرجم فقط للزاني المحصن ، واستدل جمهور أهل العلم على ذلك بأن النبي ﷺ رجم الزاني المحصن فقط ، ولم يجلده قبل الرجم كما في الحديث الذي رواه مسلم من حديث بريده عن أبيه قال : جاء ماعز بن مالك ﷺ وقال يا رسول الله طهرني ، قال : « **وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ** » قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال رسول الله ﷺ : « **وَيْحَكْ ارْجِعْ اسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ** » قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال النبي ﷺ مثل ذلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ : « **فيم أطهرك** ؟ » فقال : من الزنى . فسأل رسول الله ﷺ : « **أَبِهِ جُنُونٌ** ؟ » فأخبر أنه ليس بمجنون . فقال : « **أَشَرِبَ خَمْرًا** ؟ » فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « **أَزَنَيْتُ** ؟ » فقال : نعم . فأمر به فرجم . فكان الناس فيه فرقتين : قائل يقول : لقد هلك ، لقد أحاطت به خطيئته .

وقائل يقول : ما توبةٌ أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ، ثم قال : اقتلني بالحجارة .

قال : فلبسوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء النبي ﷺ ، وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال : « **اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ** » ، قال : فقالوا : غفر الله لماعـز بن مالك قال : فقال رسول الله ﷺ : « **لَقَـدَ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ**

بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْسِعَتْهُمْ ››[1]

لقد جاء ماعز بن مالك إلى رسول الله ﷺ ، وقال له طهرني ، جاء بمفرده ، لم يأت به بوليس الآداب ، وإنما جاء يسعى على قدميه للحبيب المصطفى ﷺ قائلًا : يا رسول الله طهرني ، يا سبحان الله !! يا ترى ما الذي جاء بك يا ماعز ؟! لِمَ يا ماعز لم تفر من الرجم ؟! وتفر من الحد ؟!!

إنها المراقبة .. إنها مراقبة الله في السر والعلن .

هذا هو الحد الفاصل بين من يراقب الله ويخافه ، وبين من يراقب الناس هذا هو الحد الفاصل بين أن نربي أبناءنا على مراقبة القانون الوضعي ومراقبة الربِّ العلي !!

‹‹ **إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ القِسْطَ ، وَيَرْفَعُهُ ، يُرفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** ››[2].

يا أيها الأخوة الكرام : نريد أن نربي أبناءنَا على مراقبة علام الغيوب ، وهذا درس أراد أحد الأساتذة الكرام أن يعلمه لطلابه ، أراد أن يربي طلاب علمه على مراقبة الله جَلَّ وَعَلَا تربية عملية على أرض الواقع ، وها هو

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري مختصرًا رقم (٦٨٢٤ ، ٦٨٢٥) في الحدود ، باب سؤال الإمام المقر : هل أحصنت ؟ ومسلم واللفظ له رقم (١٦٩٥) في الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى .

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٩) في الإيمان ، باب في قوله ﷺ : إن الله لا ينام .

يدفع لكل تلميذ من تلاميذه دجاجة أو طائرًا وهو يقول : فليذهب كل تلميذ وليذبح هذا الطائر في مكان لا يراه فيه أحد ، فذهب كل تلميذ بطائره في مكان يغيب فيه عن أعين الناس حتى يذبح طائره ويعود به إلى أستاذه ، ونظر الأستاذ فوجد تلميذًا نجيبًا جاء بطائره ، ولم يذبحه فقال له : لماذا لم تذبح طائرك ؟! فقال : يا أستاذي لقد طلبت منا أن نبحث عن مكان لا يرانا فيه أحد ، وما من مكان ذهبت إليه إلا ورأيت أن الله يراني ، فأين أذبحه ؟!

إِذَا خَلَوْتَ الدَّهْـرَ يَوْمـًا فَـلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَـلُ سَـاعَةً وَلَا أَنَّ مَـا يَخْفَـى عَلَيْـهِ يَغِـيبُ

أليس هو القائل جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[المجادلة : ٧]

أمسك أعرابي بامرأة في الصحراء ، وأراد أن يفعل بها الفاحشة ، فأرادت هذه المرأة التقية الورعة أن تلقنه درسًا من دروس المراقبة ، ترى ماذا قالت له المرأة ؟! قالت له : اذهب وانظر هل نام الناس جميعًا في الخيام ؟! فانطلق سعيدًا سريعًا لينقب وليبحث ، ثم عاد إليها قائلًا :

اطمئني نام الناس جميعًا ولا يرانا إلا الكواكب ! فقالت المرأة : وأين مكوكبها ؟! أين الذي لا يغفل ولا ينام ؟! أين الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ؟!

وها هو مشهدٌ آخر من مشاهد الرحمة كما جاء في حديث ماعز السابق ذكره ثم جاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله طهرني فقال : « **وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ** » فقالت : أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك . قال : « **وَمَا ذَاكَ ؟** » قالت : إنها حبلى من الزنا فقال : « **آنْتِ ؟** » قالت : نعم . فقال لها : « **حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ** » قال : فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت . قال : فأتى النبي ﷺ فقال : قد وضعت الغامدية . فقال : « **إِذًا لَا نَرْجُمْهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ** » وفى رواية فلما ولدته أتته بالصبي في خرقة . قالت : هذا قد ولدته . قال : « **اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ** » فلما فطمته أتته بالصبي وفى يده كسرة خبز فقالت : هذا ، يا نبي الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام . فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين . ثم أمر بها فَحُفِرَ لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيُقْبِلُ خالد بن الوليد بحجرٍ ، فرمى رأسها فَتَنَضَّحَ الدَّمُ على وجه خالد . فسبَّها ، فسمع نبي الله ﷺ سَبَّهُ إياها فقال : « **مَهْلًا يَا خَالِدُ ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً ، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ** »

ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت[١]

يا لها من كرامة، ومنقبة فازت بها الغامدية لإصرارها على إقامة حد الله عليها !! فيا سعادة من يصلي عليه النبيُ ويدعو له نهرُ الرحمة ، وينبوع الحنان بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام .

نداء إلى كل من ارتكب جريمة الزنا النكراء .

أذكرك بهذا النداء الندي الرضى بهذا النداء العلوي الرباني الذي يسكب الأمل في القلوب سكبًا ، هذا النداء من ربك الذي خلقك ، وهو الذي يعلم ضعفك ويعلم عجزك ، وبالرغم من ذلك ينادى عليك من سمائه وعليائه جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[الزمر : ٥٣]

أيها العاصي .. أيها المذنب بادر بالتوبة والأوبة والعودة إلى خالقك ، واعلم بأن الأصل في الكبائر هو التوبة ما لم يرفع أمرك إلى ولي الأمر المسلم .

ومن هنا أقول : هيا بنا جميعًا نتوب من ذنوبنا صغيرة كانت أو كبيرة عسى الله أن يتقبل ، أليس هو القائل وقوله الحق : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (١٦٩٥) في الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى .

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم : ٨]

أخي الحبيب : تب إلى الله ﷻ فها أنذا أذكر نفسي وإياك بالتوبة والأوبة إلى الله ، فإن التوبة يؤمر بها العاصي والمؤمن ، واعلم يقينًا أن الله سيفرح بتوبتك ، وإن كنت قد ارتكبت جريمة الزنا ، نعم وإن كنت قد ارتكبت جريمة الزنا ، عد إلى الله وتب إليه وسيفرح الله بتوبتك وأوبتك إليه وهو الغني عن العالمين الذي لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .

« **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ فِي مُلْكِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ** » .

فلا تقنط من رحمة الله ولا تيأس ، وتب إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، واعلم بأن الله تواب ، واعلم بأن الله غفور كريم يغفر الذنوب ويقبل التوبة .

ففي صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَقَالَ :**

اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ . أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ »[١].

فيا من أذنبت في حق الله بالنهار تب إلى الله ، ويا من أذنبت في حق الله بالليل تب إلى الله ، ففي الحديث الصحيح من كلام سيد الخلق « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** »[٢].

وطلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة الكبرى حينها لا تقبل التوبة ولا الأوبة .

فلا تيأس ولا تقنط من رحمة الله ما دامت لم تطلع الشمس من مغربها ، ولا تقنط من عفوه واعترف إلى الله بالذنب وقل .

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ ... بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي البَرَايَا ... وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنِّ
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي ... لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

فتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

يا من تصر على الزنا .. على انتهاك الحرمات ، والأعراض اعلم علم اليقين أن الزنا دين حتمًا ستدفعه .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٣٠٨) في الدعوات ، باب التوبة ، ومسلم رقم (٢٧٤٨) في التوبة ، باب الحض على التوبة .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٦٠) في التوبة ، باب غيرة الله تعالى .

مَنْ يَزْنِي فِي قَوْمٍ بِأَلْفَي دِرْهَمٍ   فِي بَيْتِهِ يُزْنَى بِرُبْعِ الدِّرْهَمِ
إِنَّ الزِّنَا دَيْنٌ إِذَا اسْتَقْرَضْتَهُ   فَإِنَّ الوَفَاءَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمِ

فيا أيها المسلم الحريص على عفة نسائك عف تعف نساءك وتذكر دائمًا أمك وأختك وابنتك وزوجك ، فإن رأيت امرأة مسكينة ضعفت فأعنها على طاعة الله ، وأنت أيتها الأنثى إن كنت أمًّا أو زوجةً أو بنتًا ، تذكري دائمًا مراقبة الله ﷻ في الكبيرة والصغيرة ، وتذكري النيران المتأججة والجنة المزينة ، وتذكري دائمًا حال أسرتك جمعاء لو ارتكبت هذه الجريمة النكراء كيف يكون حالهم ؟!

فاتقي الله ، اتقي الله في نفسك وأسرتك ...

... الدعـاء

إن الإسلام قادم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

« إن الإسلام قادم ! » هذا عنوان لقائنا اليوم مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم الأغر وفي هذه الظروف العصيبة الرهيبة التي تمر بها أمتنا الحبيبة .

وكما تعودنا أحبتي حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا سوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية .

أولًا : واقع مُر أليم .

ثانيًا : ولكن الإسلام قادم .

ثالثًا : منهج عملي واجب التنفيذ .

فأعيروني القلوب والأسماع جيدًا ، والله أسأل أن يقر أعيننا بنصر الإسلام وعز الموحدين ، وأن يشفي صدور قوم مؤمنين ، إنه ولي ذلك ومولاه ، وهو على كل شيء قدير .

أولا : واقع مر أليم

أحبتي الكرام .

لقد ابتليت الأمة الميمونة بنكبات وأزمات كثيرة على طول تاريخها ، مرورًا بأزمة الردة الطاحنة ، والهجمات التترية الغاشمة ، والحروب الصليبية الطاحنة ، لكن الأمة مع كل هذه الأزمات والمآزق كانت تمتلك مقومات النصر من إيمان صادق ، وثقة مطلقة في الله ، واعتزاز بهذا الدين ، فكتب الله لها جَلَّ وَعَلَا النصرة والعزة والتمكين ، ولكن واقع الأمة

المعاصر واقع مر أليم ، فقدت فيه الأمة جل مقومات النصر بعد أن انحرفت الأمة انحرافًا مروعًا عن منهج رب العالمين ، وعن سبيل سيد المرسلين ﷺ ، انحرفت الأمة ووقعت في انفصام نكد بين منهجنا المضيء المنير وواقعها المؤلم المر المرير ، انحرفت الأمة في الجانب العقدي ، والجانب التعبدي ، والجانب التشريعي والجانب الأخلاقي ، والجانب الفكري ، بل وحتى في الجانب الروحي ، وما تحياه الأمة الآن من واقع أليم وقع وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تتغير ، ولا تحابي هذه السنن أحدًا من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة ، بل ولن تعود الأمة إلى عزها ومجدها إلا وفق هذه السنن التي لا يجدي معها تعجل الأذكياء ولا وَهْمُ الأصفياء !!

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ . [الرعد : ١١]

ووالله لقد غيرت الأمة وبدلت في جميع جوانب الحياة ، فتأمل ستجد الأمة استبدلت بالعبير بَعْرا ، وبالثريا ثرى ، وبالرحيق المختوم حريقًا محرقًا مُهْلِكًا مدمرًا ، وظنت الأمة المسكينة أنها يوم أن نَحَّت شريعة الله وشريعة رسول الله ﷺ وراحت تلهث وراء الشرق الملحد تارة ووراء الغرب الكافر تارة أخرى أنها قد ركبت قارب النجاة ، فغرقت الأمة وأغرقت وهلكت الأمة وأهلكت ، ولن تعود الأمة إلى سيادتها وريادتها إلا إذا عـادت من جديد إلى أصل عـزها ، ونبع شرفها ، ومعـين كرمهـا ،

ومعين بقائها ، ووجودها إلى كتاب ربها وسنة حبيبها ورسولها ﷺ .

أيها الشباب : لقد انحرفت الأمة فزلَّت ، وأصبحت قصعة مستباحة لكل أمم الأرض ، وصدق في الأمة قول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في حديثه الصحيح الذي رواه أحمد ، وأبو داود من حديث ثوبان أنه ﷺ قال : « **يُوشَكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** » فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : « **بَلْ أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِير ، وَلَكِنْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهَنَ** » قيل وما الوهن يا رسول الله ؟! قال : « **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةَ المَوْتِ** »[1].

نعم والله لقد أصبحت الأمة الآن غثاء ، ذلت بعد عزة ، جهلت بعد علم ، ضعفت بعد قوة ، أصبحت الأمة الإسلامية في ذيل القافلة الإنسانية كلها ، بعد أن كانت بالأمس القريب ، الدليل الحاذق الأرب ، بعد أن كانت تقود القافلة الإنسانية كلها بجدارة واقتدار .

لقد أصبحت الأمة الآن تتسول على مائدة الفكر الإنساني ، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب منارة تهدي الحيارى التائهين ممن أحرقهم لفح الهاجرة القاتل وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم ، باب في تداعى الأمم على الإسلام ورواه أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٨) .

ولقد أصبحت الأمة المسكينة تتأرجح في سيرها بل لا تعرف طريقها الذي ينبغي أن تسلكه ويجب أن تسير فيه ، بعد أن كانت الأمة بالأمس القريب جدًّا الدليل الحاذق الأرب في الدُّرُوبِ المتشابكة في الصحراء المهلكة التي لا يهتدي للسير فيها إلا الأدلاء المجربون .

أهذه هي الأمة التي زكاها الله في القرآن بالخيرية في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

أهذه هي الأمة التي زكاها الله في القرآن بالوسطية في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]

أهذه هي الأمة التي أمرها الله بوحدة الصف والاعتصام بحبل الله المتين في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥]

إن ما تتعرض له الأُمة الآن من إذلال مهين لمن أعظم الأدلة العلمية على هذا الواقع الأليم الذي لا يحتاج لمزيد بيان أو تشخيص أو تعليل !!

أيها الأحبة الكرام ..

لا ريب على الإطلاق أن الأمة في سبات منذ أمد طويل ، ولا ريب أنها مرضت وطال مرضها وجهلت وعظم جهلها ، وتراجعت للوراء بعيدًا بعيدًا ، ولكن مع كل هذا وذاك بحول الله وقوته لم تمتْ ولن تموتَ هذه

الأمة الميمونة بموعود الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ؛ لأن أبناء الطائفة المنصورة في هذه الأمة لا يخلو منهم زمان ولا مكان بشهادة سيد الخلق أجمعين كما في الصحيحين من حديث معاوية ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ** »[1].

أسأل الله العلي القدير أن يجعلنا وإياكم من أبناء هذه الطائفة المنصورة التي تعيش لدين الله ، وتتمنى أن تنصر بكل سبيل دينَ الله .

وَلَئِنْ عَرفَ التَّارِيخُ أَوْسًا وَخَزْرَجًا ... فَلِلَّهِ أَوْسٌ قَادِمُونَ وَخَزْرَجُ
وَإِنَّ كُنُوزَ الغَيْبِ تُخْفَى طَلَائِعًا ... حُرَّةً رَغْمَ المَكَائِدِ تَخْرُجُ
صُبْحٌ تَنَفَّسَ بِالضِّيَاءِ وَأَشْرَقَا ... وَ الصَّحْوَةُ الكُبْرَى تَهُزُّ البَيْرَقَا
وَشَبِيبَةُ الإِسْلَامِ هَذَا فَيْلَقٌ ... فِي سَاحَةِ الأَمْجَادِ يَتْبَعُ فَيْلَقَا
وَقَوَافِلُ الإِيمَانِ تَتَّخِذِ المَدَى ... دَرْبًا وَتَصْنَعُ لِلْمُحِيطِ الزَّوْرَقَا
وَمَا أَمْرُ هَذِهِ الصَّحْوَةُ الكُبْرَى ... سِوَى وَعْدٌ مِنَ اللهِ الجَلِيلِ تَحَقَّقَا
هِي نَخْلَةٌ طَابَ الثَّرَى فَنَمَى ... لَهَا جِذْعٌ طَوِيلٌ فِي التُّرَابِ وَأَغْدَقَا
هِي فِي رِيَاضِ قُلُوبِنَا زَيْتُونَةٌ ... فِي جِزْعِهَا غُصْنُ الكَرَامَةِ أَوْرَقَا
فَجْرٌ تَدَفَّقَ مَنْ سَيَحْبِسُ نُورَهُ ؟! ... أَرِنِي يَدًا سُدَّتْ عَلَيْنَا المَشْرِقَا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٤١) في المناقب ، باب رقم (٢٨) ، ومسلم رقم (١٠٣٧) في الإمارة ، باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » وأبو داود (٤٢٥٢) في الفتن ، والترمذي رقم (٢١٧٧ ، ٢٢٣٠) في الفتن .

ثانيًا : ولكن الإسلام قادم !!

هذا وعد ربنا رغم أنوف المشركين والمنافقين والمجرمين إن الإسلام قادم .. نعم قادم ، أنا أعي ما أقول ، وأعي واقع الأمة المر الأليم الذي ذكرت باختصار سالفًا ، ومع ذلك أؤكد لكم جميعًا بيقين جازم أن الإسلام قادم قال الله ﷻ في كتابه العزيز : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩]

نعم بالإيمان لا تهنوا ، بالإيمان لا تحزنوا بالإيمان ، أنتم الأعلون ، إنني أعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا يوجد على وجه الأرض شر محض ، بالرغم ما نراه الآن من تهديدات لا لبلد ما ، بل للأمة جلها ، فأنا أقول : إن هذا الشر سيجعل الله جَلَّ وَعَلَا فيه خيرًا كثيرًا ، فما من أزمة مرت بالأمة إلا وجعلها الله تبارك وتعالى سببًا لقوة الإسلام ، وما من ابتلاء إلا وجعله الله سببًا لتمحيص الصدور ، وسببًا لتمايز الخبيث من الطيب ، فلقد قال الله في كتابه العزيز : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ - ٣]

ولقد ذكر سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام في البلاء سبع عشرة فائدة ، فلا تظن أنه مع هذه الأزمة سيزول الإسلام ، وسينتهي المسلمون لا وألف لا .

لقد هجم القرامطة على المسلمين في بيت الله ، وذبحوا الطائفين حول بيت الله ، واقتلع أبو طاهر القرمطي الخبيث الملعون المجرم الحجر الأسود من الكعبة ، وظل يصرخ بأعلى صوته - عليه لعنة الله - في صحن الكعبة وهو يقول : أين الطير الأبابيل ؟! أين الحجارة من سجيل ؟!

انظروا إلى هذه الفتنة العاصفة الطاحنة على كل مسلم ، وظل الحجر الأسود بعيدًا عن بيت الله ما يزيد عن عشرين عامًا ، ومع ذلك كله رد الله الحجر ورد الله المسلمين إلى دينه ، وانتصر الإسلام على القرامطة كما تعلمون .

وها هو بلاء آخر لقد هجم التتار على بغداد وظلوا يذبحون ويقتلون أربعين يومًا حتى جرت الدماء في شوارع بغداد ، ومع ذلك رد الله المسلمين إلى الإسلام ، وأخذ الله الصليبيين والتتار وهزمهم شر هزيمة على أيدي الصادقين المخلصين الأبرار أليس هو القائل : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩]

وتدبروا معي قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨- ٩]

وتدبروا معي واسمعوا وعوا جيدًا قول رب العالمين : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢-٣٣]

إن المجرمين الكفرة الفجرة يريدون أن يطفئوا دين الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، أعتقد اعتقادًا جازمًا أنها معركة غير متكافئة ، لأنها بين القادر القاهر وبين الكفرة الفجرة ، إي والله إنها معركة غير متكافئة ، فمن له اليد العليا ؟!!

واسمع لقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦]

نعم سينفقون آلاف الملايين ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، فها هو الإسلام مازال قويًّا شامخًا وسيبقى قويًّا شامخًا ، أين القرامطة ؟! أين التتار ؟! أين الصليبيون ؟! أين المجرمون ؟! بل أين فرعون وهامان ؟! بل أين أصحاب الأخدود ؟! أين كل من عادى وحارب الإسلام أين ؟! هلك الجميع وبقى الإسلام ، وسيبقى بموعود الرحمن قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦]

لقد وقفت على وثيقة التنصير الكنسي ورأيت بابا الفاتيكان جون بول الثاني يصرخ في هذه الوثيقة على كل المبشرين - أي على كل المنصرين في أنحاء الأرض - قائلًا : هيا تحركوا بسرعة لوقف الزحف الإسلامي الهائل في أنحاء أوربا !!

ما تحرك أحد للإسلام ، والله لو بُذل للإسلام ما يبذل لأي دين على وجه الأرض ، ما بقي إلا الإسلام .

في الثالث والعشرين من رمضان الماضي التقيت برئيس جمعية شرطة المسلمين في أمريكا ، وهو ضابط أمريكي الأصل ، دار بيني وبينه حوارًا طويلًا بدأت حواري بسؤال فقلت له : كيف أسلمت ؟!

وتعجبت كثيرًا حينما قال لي : بأنه كان قسيسًا متعصبًا للنصرانية ، يقول : لقد قرأت القرآن - أي الترجمة - وقرأت عددًا لا بأس به من أحاديث صحيح البخاري ، وقد ذهبت يومًا لزميل لي وهو أمريكي مسلم فقالوا : إنه بالمسجد ، فدخلت المسجد لأنادي عليه ، فسمعت الأذان وأنا بباب المسجد يقول : لقد هزت كلمات الأذان أعماقي ، وشعرت بتغيير كبير في داخلي ، لا أستطيع أن أعبر لك عنه لأنني ما تذوقت طعمه قبل أن أستمع إلى هذه الكلمات ، ثم نظرت إلى المسلمين وهم يصلون ، يقومون معًا ويسجدون معًا ، وأنا أنادى على زميلي فلا يرد عليَّ ، فلما فرغ من الصلاة قلت له : أنا رئيسك في العمل وأناذي عليك ، فلم لا تجيبني ؟! قال : أنا في صلاة بين يدي ربي جَلَّ وَعَلَا لا أجيب إلا هو ، فأحسست بسلام عميق في صدري لهذا الدين فقلت لزميلي : ماذا تصنعون إن أردتم أن تدخلوا الإسلام ؟! فأمرني بالاغتسال ، فاغتسلت وخرجت إلى صحن المسجد ، فشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وكان اسمي مايكل فأصبح اسمي عبد الصبور ، فقلت له سائلًا : ما نظرتك لمستقبل

الإسلام في أمريكا ؟! قال الإسلام قوى جدا جدا في أمريكا ، وأرجو أن تدققوا في الألفاظ فهو يقول : الإسلام لا المسلمون ، ثم قال لي : أبشرك بأن كثيرًا من الأمريكان بدأوا يفهمون أن رسالة عيسى هي رسالة محمد ﷺ وهي الإسلام .

فقلت له : فهل لك أن تقص عليَّ قصة مؤثرة لعضو من أعضاء جمعيتكم ؟!

قال : يا أخي القصة الوحيدة التي أستطيع أن أؤكدها لك هي أن الإسلام ينتشر بقوة في الشرطة الأمريكية .

ثم قال لي : لقد أسلم من بين هذا العدد ولله الحمد ما يزيد على ألفين وخمسين ضابطًا وهذا عدد كبير ، ثم قص عليَّ قصة طريفة ، فقال : لقد أَسْلَمَتْ ضابطةٌ أمريكية ، وجاءت في اليوم التالي تلبس الحجاب ، فقال لها رئيسها : ما هذا ؟! قالت : لقد أسلمت ، قال : لا حرج ، لكن اخلعي هذا الثوب .

قالت : لا ، وردت المرأة بقول عجيب أتمنى أن تستمع إليه كل متبرجة تنتسب إلى الإسلام في بلدنا ، قالت : إن الله هو الذي أمرني بالحجاب ولا توجد سلطة على وجه الأرض تملك أن تنزع عنى هذا الحجاب إلا بأمر الله ، الله أكبر !! إنه اليقين ، نعم اليقين ، كلمات عجيبة ورب الكعبة .

قلت له : أخي أود منك أن توجه ثلاثة رسائل ، الرسالة الأولى للأمريكان ، والرسالة الثانية للمسلمين في أمريكا ، والرسالة الثالثة

للمسلمين في مصر .

فقال : أما رسالتي الأولى للأمريكان هي : إننا نؤمن بعيسى كما نؤمن بمحمد ونود أن تعلموا أننا نجل عيسى ونجل مريم عليهما السلام .

سبحان الله !! إنه فهم دقيق عميق للدين ، ولا عجب فقد كان الرجل قسيسًا ، ورسالتي للمسلمين في أمريكا أقول لهم : اصبروا ولا تتعجلوا فإنه لا يتحقق شيء أبدًا بدون الصبر - ترجمة حرفية لكلام الرجل - ثم أقول لهم : إن أخطأ واحد منكم فلا ينبغي أن تفزعوا وتحزنوا فلو لم نخطأ ما احتجنا الرب سبحانه وتعالى ، فإننا نخطأ لنتوب إلى الله ﷻ .

قلت : فوجه رسالة أخيرة للمسلمين في مصر سأنقلها على لسانك إلى الآلاف من المسلمين .

فقال : قل لهم إن بعدت بيننا وبينكم المسافات فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء ، و إننا نحبكم في الله .

أيها الشباب : اعلموا أنه قد بلغ عدد المساجد في قلب قلعة الكفر ما يقرب من ألفي مسجد ، وفى ولاية نيويورك فقط ما يزيد على مائة وخمسة وسبعين مسجدًا ومركزًا إسلاميا .

ألم يقل ربنا : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وإن آخر الإحصائيات تقول : بأن عدد المسلمين في فرنسا يزيد على خمسة مليون مسلم ، وفي بريطانيا عدد المسلمين يزيد على اثنين مليون مسلم ، وفى كل سنة يدخل الإسلام من البريطانيين ما يزيد على ألفين

مسلم من أصل بريطاني !! أرقام تبشر بالخير فالإسلام دين الفطرة ، وإنه قادم لا محالة مهما وُضِعت في طريقه العقبات والسدود والعراقيل قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح : ٢٨]

إن هؤلاء الكفرة لو سمعوا عن الإسلام وعرفوا صورته الحقيقية جاءوا إليه مسرعين ، فإنهم يعيشون حالة قلق رهيبة ، ومن سافر إلى بلاد الشرق والغرب وقف على حجم عيادات الطب النفسي ، وعرف حجم هذا الخطر فإنهم قد أعطوا البدن كل ما يشتهيه ، وبقيت الروح في أعماق أبدانهم تصرخ وتبحث عن دوائها وغذائها ولا يعلم دواءها وغذاءها إلا الله ، قال جل في علاه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥]

وها هم العلمانيون يريدون أن يخلعوا عباءة الإسلام عن تركيا بكل قوة .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [التوبة ٣٢]

ففي زيارتي الأخيرة يقول لي أخ تركي : إن عدد المساجد في تركيا يزيد عن خمسة وستين ألف مسجد،ويقسم لي بالله أنهم في رمضان الماضي كانوا يصلون الفجر خارج المسجد كأنهم في صلاة الجمعة ، ومع ذلك انظر إلى الضربات التي تكال على تركيا كيلًا ، فإن أتباع أتاتورك - الخبيث الهالك

- يريدون أن يجعلوها علمانية بعيدةً عن الإسلام ، لكنهم عاجزون ، إنهم يرقصون رقصة الموت لما يرون كل يوم من شباب في ريعان الصِّبَا ، وفتيات في عمر الورود يغذون هذا المد الإسلامي الهائل ، لا أقول في مصر ولا في بلاد المسلمين بل في العالم كله . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩]

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث حذيفة بن اليمان وهو حديث صحيح أن النبي ﷺ قال : « تَكُونَ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ، فَتَكُونُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا ، فَتَكُونُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا ، فَتَكُونُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ »(١).

أسأل الله أن يُعَجِّلَ بالخلافة التي على منهاج النبوة ، وأن يمتعنا بالعيش في ظلالها وإن لم يقدر لنا فأسأله أن لا يحرم أبناءنا وأولادنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث ثوبان أن الصادق المصدوق ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٣) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٥) .

مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغَ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ... »[١].

يا أمة التوحيد : لم اليأس ؟!! إن اليأس سيزيد النشيط خذلانًا ، وسيزيد اليائس والقانط يأسًا وقنوطًا .

الرسول وهو في أحلك الأزمات والأوقات وهو يُطارد وأصحابه مهاجرون يقول للخباب بن الأرت : « **وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ** »[٢].

أليس الله هو القائل : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩]

يا أهل التوحيد : اعلموا علم اليقين بأن كل ابتلاء يزيد الإسلام صلابة ويزيد المسلمين قوة ، ويخرج من الصف من اندس في صفوف المؤمنين وقلبه مملوء بالنفاق ، يقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه : « **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** »[٣].

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٨٨٩) في الفتن و أشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٦١٢) في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رواه أيضًا أحمد في المسند : (٢/ ٢٧١) ، (٥/ ١٠٩ - ١١٠ - ١١١) ، (٦/ ٢٩٥) وأبو داود رقم (٢٦٤٩) في الجهاد ، والنسائي رقم (٨/ ٢٠٤) في الزينة .

(٣) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٩٩) في الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير .

وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم ، وصححه على شرط الشيخين وأقر الحاكم الذهبيُّ ، وقال الألباني : بل هو صحيح على شرط مسلم من حديث تميم الدّاريّ أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يترُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ** »[1].

ومن جميل ما قاله المفكر الشهير شبنجلز : إن للحضارات دورات فلكية فهي تغرب هنا لتشرق هناك ، وإن حضارة أوشكت على الشروق في أروع صورة ألا وهي حضارة الإسلام الذي يملك وحده أقوى قوة روحانية عالمية نقية .

أيها الموحدون : والله ما بقي إلا أن ترتقي هذه الأمة إلى مستوى هذا الدين ، وأن تعرف الأمة قدر هذه النعمة التي امتن بها علينا رب العالمين .

لقد ذكرت آنفًا أن ما وقع للأمة وقع وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تتغير ، ولن تعود الأمة إلى عِزَّتها وسيادتها إلا وِفْقَ هذه السنن التي لا يجدي معها تعجل الأذكياء ولا وَهْمُ الأصفياء ، فَمُحَالٌ أن ينصرَ اللهُ ﷻ هذه الأمة وهى خاذلة مضيعة لدينه ، بل لابد أن تنصر الأمة دين الله

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٠٣) رقم (١٦٨٩٤) ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (١٦٣١ ، ١٦٣٢ موارد) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣) .

لينصرها ، أليس الله هو القائل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠]

أليس الله هو القائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر : ٥١]

أليس الله هو القائل : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم : ٤٧]

أليس الله هو القائل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[النور : ٥٥]

إذاً لا بد أن نقف جميعًا على بنود هذا المنهج العملي الواجب التنفيذ ، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء ، وأرجىء الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، وأحبابه ، وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد أيها الأحبة الكرام .

ثالثا : منهج عملي واجب التنفيذ

الخطوة الأولى : عودة الأمة إلى الكتاب والسنة .

إن أول خطوة عملية على طريق عودة الأمة إلى عزتها وسيادتها وعلى طريق نصرة الله لها ، هي أن تعود عودًا حميدًا إلى كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، والعودة إلى القرآن والسنة ليست نافلة ولا تطوعًا ولا اختيارًا من الأمة ، بل إنها عودة واجبة بل إنها أمام حد الإسلام وشرط الإيمان ، فلقد سجل الله في كتابه العزيز : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.
[النساء : ٦٥]

فالخطوة العملية الأولى أن أبدأ بنفسي وتبدأ بنفسك ، فلنبدأ من الآن قال تعالى : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥]

فلو بدأ كل واحد منا ، وحوَّل هذا الكلام في بيته وفي عمله وفي شتى أمور حياته كلها إلى واقع عملي ومنهج حياة لغير الله حالنا ، فليرجع كل مسلم إلى الله وإلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله ﷺ ، وليعلم كل مسلم على وجه الأرض أن شعار المنافقين واليهود هو سمعنا وعصينا ، وأن شعار المؤمنين سمعنا وأطعنا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١]

هذا قول الله ومن أصدق من الله قولًا ؟! ، أما شعارُ أهل النفـاق فقد سطر الله في كتابه عنهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾
[النساء : ٦٠-٦١]

اختر لنفسك الطريق وحدد السبيل والغاية من الآن .

الخطوة الثانية : **إقامة الفرقان الإسلامي .**

هذه هي الخطوة العملية الثانية من بنود المنهج ليبدأ كل منا بنفسه ليستبين سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين ، لا نريد أن نعيش هذه الحالة التي عليها الأمة حالة الغبش وحالة التذبذب وحالة اللا ولاء واللا براء . بهذه الحالة لن نقيم لله دينًا في أرضه ، بل لابد وحتمًا أن توالي الله ورسوله والمؤمنين ، وأن تتبرأ من الشرك بكل صوره والمشركين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، علينا أن نُطَهِّرَ عقيدة الولاء والبراء ونربي أولادنا على هذه العقيدة .

أين الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين في كل مكان وزمان ؟!

وأين البراء من الشرك كله والمشركين أينما وحينما وجدوا ؟!

لابد من إقامة الفرقان الإسلامي حتى يستبين سبيل المجرمين وسبيل المؤمنـين ، ومن أروع صور الولاء والبراء ما رواه ابن جرير الطبري وغيره بسند صحيح أن النبي ﷺ قال : « **ادْعُوا لِي عَبْدَ الله بْنَ عَبْدِ الله بْنِ أُبي بْنِ سَلُولٍ** » فلما جاء قال له رسول الله ﷺ : « **أَلَا تَرَى مَا يَقُولُ أَبُوكَ يَا عَبْدَ الله ؟** » فقال عبد الله : وماذا يقول أبي ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **يَقُولُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيَخْرُجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلُّ** » فقال عبد الله : لقد صدق والله يا رسول الله ، فأنت والله الأعز وهو الأذل ، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب لا يعلمون أحدًا أَبَرَّ بأبيه مني أما وقد قال فلتسمعن ما تَقَرُّ به عينُك .

فلما قدموا المدينة قام عبد الله على بابها بالسيف لأبيه ثم قال : أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؟!! أما والله لتعرفن هل العزة لك أم لرسول الله ، والله لا يأويك ظلها ولا تبيتن الليلة فيها إلا بإذن من الله ورسوله ﷺ . فصرخ عبد الله بن أُبي : يا للخزرج ابني يمنعني بيتي !! فاجتمع إليه رجال فكلموه . فقال : والله لا يدخل بيته إلا بإذن من الله ورسوله . فأتوا النبي ﷺ فأخبروه فقال : « **اذْهَبُوا إِلَيْهِ فَقُولُوا لَهُ : يَقُولُ لَكَ رَسُولُ الله خلِّهِ وَمَسْكَنِهِ** » فأتوه فقالوا له ذلك فقال : أما وقد جاء الأمر من رسول الله ﷺ فنعم . ليعلم من الأعز ومن الأذل .

إنه الولاء لله ورسوله .. أليس الله هو القائل : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٢٢]

ثالثًا : رفع راية الجهاد .

لنرفع راية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا لا من أجل وطنية ولا من أجل قومية ، ولا من أجل حرية لقول سيد البشرية : « **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله** »[1].

ولن ترفع الأمة راية الجهاد إلا إذا عادت ابتداءً إلى كتاب الله وسنة رسول الله .

رابعًا : تحويلُ الإسلام في حياتنا بأخلاقياته وسلوكياته إلى واقع عملي ومنهج حياة .

إننا نرى بونًا شاسعًا بين منهجنا وواقعنا ، بين ما نتعلمه من أخلاق وما نحن عليه من أخلاق ، فلابد أن نحول هذا الدين العظيم إلى واقع عملي في بيوتنا ، وفي عملنا وفى شوارعنا وشتى أمور حياتنا .

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٨١٠) في الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، ومسلم (١٩٠٤) في الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، والترمذي (١٦٤٦) في فضائل الجهاد ، وأبو داود رقم (٢٥١٧) في الجهاد ، وابن ماجة رقم (٢٧٨٣) .

لنعلم يقينا أن القول إذا خالف العمل بذر بذور النفاق في القلوب .

كما قال علام الغيوب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢-٣]

أيها الأحبة الكرام : إننا لا نخاف على الإسلام لأن الذي وعد بإظهاره على الدين كله هو الله الذي يقول للشيء كن فيكون ، وإنما نخاف على المسلمين إن هم تركوا الإسلام وضيعوا الإسلام ، نسأل الله جَلَّ في علاه أن يرد المسلمين إلى الإسلام ردا جميلًا إنه ولى ذلك والقادر عليه .

اللهم هيىء لأمة التوحيد أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية يا رب العالمين .

... الدعـــاء

كن ربانيا ولا تكن رمضانيا

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾
[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

إننا اليوم على موعد مع لقاء من الأهمية البالغة بمكان وهو بعنوان : « كن ربانيًا ولا تكن رمضانيًا » ، وكما تعودنا دائمًا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا فسوف نركز هذا الموضوع في العناصر التالية :

أولًا : الثوابت الإيمانية .

ثانيًا : عرفت فالزم .

ثالثًا : استعن بالله ولا تعجز .

أيها الأحبة : أعيروني القلوب والأسماع والوجدان ، والله أسأل أن يجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولا : الثوابت الإيمانية

أحبتي في الله :

ها هو رمضان قد انتهى ، فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد فات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، لقد انتهى شهر الصيام ، انتهى شهر القيام والقرآن ، انتهى شهر البر والجود والإحسان ، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر . فليت شعري من المقبول منا في رمضان فنهنيه ،

ومن المطرود المحروم منا فنعزيه .

فَيَا عَيْنُ جُودِي بِالدَّمْعِ مِنْ أَسَفٍ عَلَى فِرَاقِ لَيالٍ ذَاتَ أَنْوَارِ
عَلَى لَيالٍ لِشَهْرِ الصَّوْمِ مَا جَعَلَتْ إِلَّا لِتَمْحِيصِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
مَا كَانَ أَحْسَنُنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَانِتُ الْقَارِي
فَابْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ وَاغْتَنِمُوا مَا قَدْ بَقِي إِخْوَانِي مِنْ فَضْلِ أَعْمَارِي

أيها الفضلاء الأعزاء :

مما لا ريب فيه أن الله جَلَّ وَعَلَا قد فضل شهر رمضان على سائر الشهور والأزمان ، واختصه بكثير من رحماته وبركاته ، ويسر الله فيه الطاعة لعباده مما لا يحتاج إلى دليل أو برهان .

فأنت ترى المسلمين في رمضان ينطلقون بأريحية ويسر إلى طاعة الرحيم الرحمن جَلَّ وَعَلَا ، ولم لا ؟! وقد غُلِّقت أبواب الجحيم ، وفتحت أبواب النعيم ، وغل فيه مردة الجن والشياطين ، فأنت ترى الناس تقبل على طاعة الله وعبادته بأريحية عجيبة ، ولكن ما يحزن القلب ويؤلم النفس أنك ترى كثيرًا ممن عطروا بأنفاسهم الزكية المساجد في رمضان يعرضون عن طاعة الله رب البرية بعد رمضان ، وكأنهم في رمضان يعبدون ربا آخر !!

فالإيمان له ثوابت لا يستغني عنها المؤمن حتى يلقى الكبير المتعال .

فمثلًا الصلاة : مَنْ مِنَ المؤمنين الصادقين يستغني عن الصلاة بعد رمضان ؟!

انظر إلى المساجد في رمضان ، وانظر إلى ذات المساجد بعد رمضان !!

أيها الموحدون : هل يستغني مؤمن صادق مع الله عن هذا الأصل الأصيل وعن هذه الثوابت الإيمانية حتى يلقى رب البرية وهو الركن الثاني من أركان هذا الدين قال تعالى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج : ٧٧]

وحذر الله أشد التحذير من تضييع الصلاة ومن تركها في رمضان أو غير رمضان فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر : ٣٨- ٤٣]

فيا من هيأ الله له صيام شهر رمضان لا تضيع الصلاة ، فالصلاة صلة لك بالله ، ومعين يطهرك من المعاصي والذنوب .

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ** »[1].

وفى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ** » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « **إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ** »[2].

افترض الله على المؤمنين الصلاة وتعبدهم بها في كل زمان ومكان حتى يلقى العبد ربه ليُسأل أول ما يُسأل عن الصلاة .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ** »[3].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٦٢) في الآذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد أو راح ، ومسلم رقم (٦٦٩) في المساجد ، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥١) في الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، والموطأ (١/ ١٦١) في قصر الصلاة في السفر ، والترمذي رقم (٥١) في الطهارة ، والنسائي (١/ ٨٩-٩٠) في الطهارة .

(٣) رواه الترمذي (٤١٣) في الصلاة ، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، والنسائي (١/ ٢٣٢) في الصلاة ، والحاكم (١/ ٢٦٣) ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (٥/ ٧٢) ، وهو في صحيح الجامع (٢٥٧٣) .

أيها الموحدون : ومن الثوابت الإيمانية (**القرآن**) .

إن القرآن حياة القلوب والأرواح ، فهل يستغني مؤمن عن روحه ؟! وهل يستغني مؤمن عن أصل حياته .

إن القرآن يهدي للتي هي أقوم فلا تضيعوا هذا الطريق ولا تحيدوا عنه ،

إن طرف القرآن بيد الله ، وإن طرفه بأيديكم فإذا تمسكتم بهذا الحبل المتين لن تضلوا ، ولن تهلكوا أبدًا ، وهل يستغني أحد عن أن يكلمه الله في اليوم مرات ، فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن ، وهل تستغني عن ربك أيها الموحد ؟! .

لا تضيع القرآن بعد رمضان ، واعلم أن الله قد مَنَّ عليك بالقرآن في رمضان ، فجعلت لنفسك وردًا يوميًّا ، فلماذا بعد رمضان تركت هذا الورد ووضعت المصحف في علبته كأنك لن تحتاج إليه إلا في رمضان المقبل ؟!

فيا أيها الحبيب الكريم :

اقرأ القرآن واعمل بما فيه ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، ففي صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اقْرَءوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ : الْبَقَرَةَ ، وَآلَ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ**

كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ البَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ »[1] أي السحرة .

ويقول ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا ، فَهُوَ يَنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ »[2].

« رجل آتاه القرآن فهو يقرؤه آناء الليل وآناء النهار » أي في سائر العام فلا تهجروا القرآن يا أمة القرآن بعد رمضان .

ومن الثوابت التي لا غنى عنها للمؤمن بعد رمضان : ذكر الرحيم الرحمن

أخي الكريم :

إذا كنت تحافظ على الأذكار والاستغفار في رمضان ، فهل تستغني عن هذا الزاد بقية العام ، إن الذكر شفاء من الأسقام ومرضاة للرحمن ومطردة للشيطان ، فرطب لسانك دومًا بذكر الرحيم الرحمن جَلَّ وَعَلَا .

واسمع لحبيبك المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، والترمذى رقم (٢٨٨٦) في ثواب القرآن ، باب ما جاء في سورة آل عمران .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٠٢٦) في فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن ، ومسلم رقم (٨١٥) في صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، والترمذي رقم (١٩٣٧) في البر والصلة .

وصححه الألباني من حديث معاذ بن جبل يقول ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا لِدَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « ذِكْرُ الله ﷻ »[١].

انظر إلى فضل الذكر ، فالذاكر في مَعِيَّةِ الله ، كما في الصحيحين أنه ﷺ قال : « قَالَ الله ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي فَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[٢].

فاذكر الله جَلَّ وَعَلَا لتكون دومًا في معيته سبحانه وتعالى .

والمعية نوعان : معية عامة ، ومعية خاصة ، أما المعية العامة فهي معية العلم ، والمراقبة ، والإحاطة ، والمعية الخاصة فهي معية الحفظ والنصر والعون والمدد والتأييد ، فهل تستغني أيها المؤمن عن معية الله جَلَّ وَعَلَا ؟!!

---

(١) الموطأ موقوفًا (١/ ١١٢) في القرآن ، باب ما جاء في ذكر الله تعالى ، ومرفوعًا عند أحمد في المسند (٥/ ٢٣٩) ، (٦/ ٤٤٧) والترمذي رقم (٣٣٧٤) في الدعوات ، وابن ماجه رقم (٣٧٩٠) في الأدب ، وصححه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٤٠٥) في التوحيد ، باب قول الله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » ومسلم رقم (٢٦٧٥) في الذكر ، باب الحث على ذكر الله تعالى .

فإذا أردت ذلك فداوم على الذكر ولا تضيع هذا النور أبدًا ، ويكفى أن تعلم أن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري الطويل « ... **وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ أَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، وَكَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ** »[1].

إذًا لابد لك من هذا الزاد ؛ لأن فيه الخير العظيم ، فالذكر من الثوابت التي لا غنى عنها بحال لا في رمضان ولا في غير رمضان .

ومن الثوابت الإيمانية أيضًا : **الإحسان إلى الناس** .

إننا نرى كثيرًا من الناس لا تظهر عليهم علامات الجـود والكرم إلا في رمضان فقط ، فإذا ما انتهى رمضان لا تجد إلا العبوس في وجه الفقراء ولا تجد إلا البخل والشح ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أنت قد مَنَّ الله عليك بالإنفاق على الفقراء والمساكين وكثير من أوجه الخير في رمضان ، فهلا عَوَّدت نفسك على الإنفاق حتى ولو بالقليل ؟

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٦٧) في الأمثال ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٥) رقم (٣٤٢٧) وابن حبان (١٢٢٢ موارد) ، والحاكم (١/ ١١٧) ، وقال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (١٧٢٤) .

ففي الصحيحين من حديث عدى أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٍ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** »[(١)].

ومن هذه الثوابت الإيمانية أيضًا : **قيام الليل** .

في رمضان وُفقت بفضل الله ورحمته ومنته إلى صلاة التراويح والقيام فلماذا لا تستمر على هذا الدرب المنير ؟.. لماذا تضيع القيام بالليل ؟

اسمع للنبي ﷺ وهو يقول في الحديث الذي رواه الحاكم وابن خزيمة والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث أبي أمامة يقول ﷺ : « **عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ** »[(٢)].

فاعمل أخي المسلم على أن تكتب من القائمين الليل ولو بركعة واعمل جاهدًا أن تكون من أصحاب هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥٣٩) في التوحيد ، باب كلام الرب ﷻ ، ومسلم (١٠١٦) في الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، والترمذي (٢٤٢٧) في صفة القيامة .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٤٣ ، ٣٥٤٤) في الدعوات وابن أبى الدنيا في « كتاب التهجد » وابن خزيمة في صحيحه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٦٢٠) وهو في صحيح الجامع (٤٠٧٩)

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦]

ومن الثوابت الإيمانية : **التوبة** .

ما منا أحد إلا وتاب وأناب إلى الله في رمضان ، فهل معنى ذلك أنه إذا انتهى رمضان انتهى زمن التوبة ولا نحتاج إلى توبة وأوبة إلى الله جَلَّ وَعَلَا ؟!

انظر إلى حال الكثير من المسلمين تجد أن منهم من يُسارعُ يوم العيد إلى المعاصي والشهوات وكأنهم كانوا في سجن ، وبمجرد أن تم الإفراج عنهم مغرب اليوم الأخير من رمضان انطلقوا إلى أنواع المعاصي والشهوات كجائع انكب على الطعام من شدة الجوع الذي أَلَمَّ به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ذلك ليس بحال المؤمن الموحد ، فإن المؤمن الموحد ينتقل من عبودية إلى عبودية ، ومن طاعة إلى طاعة ومن فضل إلى فضل ، لذا يجب عليك أن تكون دائمًا في عبودية حتى تلقى رب البرية ، يقول النبي ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : « **وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ** »[1].

وفى رواية مسلم قال « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ**

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٣٠٧) في الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة .

مِائَةَ مَرَّةٍ))[١].

فالتوبة من الثوابت الإيمانية التي لا غنى عنها لمؤمن بعد رمضان .

هذه بعض الثوابت التي نحافظ عليها في رمضـان ، ويتخلى عنها أكثرنا بعد رمضان ، فأحببت أن أذكر نفسي وأحبابي وأخواتي بهذه الثوابت الإيمانية التي لا يستغني عنها مؤمن بحال حتى يلقى رب البرية جَلَّ وَعَلَا .

ثانيًا : عرفت فالزم

أحبتي في الله :

ما منا من أحد صام وقام رمضان وقام ليلة القدر إلا وذاق هذه الحلاوة حلاوة شرح الصدر وسرور القلب ، عرفت فالزم ، الزم هذا الدرب المنير ، واستقم على هذا الصراط المستقيم ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا . وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ))[٢].

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٠٢) في الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٦٤٦٢) في الرقاق ، باب القصد والمداومة في العمل ، ومسلم (٧٨٢) في الصلاة ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ،واللفظ له والموطأ (١/ ١١٨) وأبو داود (١/ ٣١٥) في صلاة الليل ، والنسائي (٣/ ٢١٨) في صلاة الليل .

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة قالت : « **كَانَ رَسُولُ اللهُ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ** »[١]. أي : داوم عليه وحافظ عليه .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي عمرة سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال للنبي : قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك .

قال الحبيب ﷺ : « **قُلْ آمَنْتُ بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ** »[٢].

أي : استقم على درب الإيمان ، استقم على طريق التوبة ، استقم على طريق الاستغفار ، استقم على طريق قيام الليل ، استقم على طريق الإحسان ، استقم على طريق هذه الثوابت الإيمانية التي أعانك الله عليها في رمضان ، قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٧٤٦ / ١٤١) في صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤١٣ ، ٤/ ٣٨٥) ومسلم رقم (٣٨) في الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، والترمذي رقم (٢٤١٢) في الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان قال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجة (٣٩٧٢) في الفتن ، والدارمي (٢٧١٠) في الرقاق ، والبيهقي في السنن (٦/ ٣٢٠) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠١١) ، وابن حبان (٢٥٤٣ موارد) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٣) ، والخطيب في تاريخه (٢/ ٣٧٠) .

قرأ عمر بن الخطاب يومًا على المنبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ فقال : ثم استقاموا على منهج الله فلم يروغوا روغان الثعالب . والاستقامة هي المداومة والثبات على الطاعة .

أيها الحبيب الكريم : عرفت فالزم .. الزم هذا الدرب ولا تنحرف عنه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد أيها الأحبة الكرام .

ثالثا : استعن بالله ولا تعجز

من أعانه الله على الطاعة فهو المعان ، ومن خَذَلَه الله فهو المخذُول . لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا حول لك على طاعته ، ولا قوة لك على الثبات على دينه إلا بمدده سبحانه ، فاستعن بالله ، ولا تعجز ، واتق الله ما استطعت ، واطلب المدد والعون منه أن يثبتك على طريق طاعته وعلى درب نبيه ﷺ ، وتدبر وصيته لمعاذ بن جبل ﷺ .

كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والنسائي وغيرهما أن النبي قال لمعاذ بن جبل يومًا : « **يَا مُعَاذُ وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ** » فقال : « **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ ، لَا تَدَعَنَّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ** » وفى رواية « **دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** »[1].

نعم اطلب العون والمدد من الله على عبادته سبحانه وأنت إن سلكت هذا الدرب المنير لن يخزيك الله أبدا ، أليس هو القائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

هذا وعد منْ ؟! وعد رب العالمين ، ورب الكعبة سيصرف الله بصرك

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائي (٣/ ٥٣) في السهو ، والحاكم (٣ / ٢٧٣ - ٢٧٤) ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (٧٩٦٩) .

عن الحرام ، وسيصرف الله قلبك عن الشهوات والشبهات ، وسيحفظ الله فرجك من الحرام ، وسيصرف الله يدك عن البطش في الحرام ، وسيصرف الله قدمك من الخطا إلى الحرام ، فأحسن أيها المسلم الموحد ليكون الله معك فمن توكل عليه كفاه ، ومن اعتصم به نجَّاه ، ومن فوض إليه أموره كفاه ، قال جَلَّ في علاه : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]

علق قلبك بالله سبحانه فهو الغني الذي لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، ومع ذلك لو تاب إليه عبده الفقير الحقير مثلي لفرح بتوبته وهو الغنى عن العالمين يقول النبي ﷺ : ((**للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّة مُهْلِكَةٍ ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَة ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ ، فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ - قَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ ، عَلَيْهَا زَادُهُ وَشَرَابُهُ ، فاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ**))[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٣٠٨) في الدعوات ، باب التوبة ، ومسلم رقم (٢٧٤٤) في التوبة ، باب في الحض على التوبة ، والترمذي رقم (٢٤٩٩ ، ٢٥٠٠) في صفة القيامة باب المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه .

وفى صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ : قدم على النبي ﷺ سَبْيٌ ، فإذا امرأة من السَّبْي تحلُبُ ثديها تَسْقى ، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته ، فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبي ﷺ : « **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ** ؟ » قلنا : لا ، وهى تقدر على أن لا تطرحه ، فقال « **للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا** »[1].

والله لو تدبرت هذا الحديث لوقفت على العجب العجاب ، لذا قال أحد السلف : اللهم إنك تعلم أن أمي هي أرحم الناس بي وأنا أعلم أنك أرحم بي من أمي ، وأمي لا ترضى لي الهلاك أفترضاه لي وأنت أرحم الراحمين ؟!!

نعم إنها رحمة الله جَلَّ وَعَلَا ، ينادي بها على عباده بهذا النداء الندي العذب : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]

إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء فاستعن بالله ولا تعجز ، و إن زلت قدمك عُد ، وإن زلت أخرى عُد ، وإن زلت للمرة الألف عُد ، واعلم بأن الله لا يمل حتى تملوا ، نحن عبيده ، وهو الذي خلقنا ويعرف ضعفنا

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٩٩) في الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ومسلم رقم (٢٧٥٤) في الفضائل ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

وفقرنا وعجزنا لذا لا يريد منا الطاعة وإنما يريد منا العبودية له سبحانه وتعالى .

فالطاعة لك أنت ، فهو سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : « ... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقُصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا** ... »[١].

أيها الموحد : استعن بالله على الطاعة ، واستعن بالله على أن تثبت على هذا الدرب المنير ، واعلم يقينًا أن من أعظم الأسباب التي تعين العبد على أن يثبت على طاعة الله جَلَّ وَعَلَا أن يكون وسطًا معتدلًا في طاعته لربه ، لا غلو في الإسلام ولا تنطع ، فخير الأمور الوسط ، لا إفراط ، لا تفريط ، لذا يقول المصطفى ﷺ : « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ** »[٢].

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامة .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٩) في الإيمان ، باب الدين يسر وهو في صحيح الجامع (١٦١١).

وعن أنس بن مالك قال : دخل رسول الله ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : « **مَا هَذَا الحَبْلُ ؟** » قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلّقت ، فقال النبي ﷺ : « **لَا ، حُلُّوهُ ، لِيصل أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ** »[1].

وكلكم يعلم قصة الرهط الذين جاءوا لبيوت النبي ﷺ ، والحديث في الصحيحين من حديث أنس ، جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا أصلي الليل أبدًا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا ، فجاء إليهم النبي ﷺ فقال : « **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُد وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** »[2].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١١٥٠) في التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة ، ومسلم رقم (٧٨٤) في صلاة المسافرين ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٠٦٣) في النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ومسلم (١٤٠١) في النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة .

نعم لقد جمع النبي هذا المنهج الوسط وحوله إلى منهج عملي على أرض الواقع في هذا الدعاء الرقيق الرقراق الذي رواه مسلم فقد كان النبي ﷺ يدعو الله ويقول « **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ** »[1].

إنه منهج الوسط .. منهج الاعتدال ، لقد جمع النبي بكلماته هذه بين خيري الدنيا والآخرة لأن من كسب الدنيا بالعمل الصالح كسب الآخرة بإذن الله ، ومن خسر الدنيا بالعمل السيىء خسر الآخرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

...الدعـــاء

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٣٤٢٧ ، ٣٤٢٨) في الدعوات ، باب ما يقول إذا رأى المبتلى .

هيا بنا نؤمن ساعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾
[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

((هيا بنا نؤمن ساعة)) هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك .. وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا سريعًا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية :

أولًا : **جدد إيمانك .**

ثانيـًا : **قسوة القلوب وقلة الخوف من علام الغيوب .**

ثالثـًا : **إلى أين المصير ؟!**

وأخيرًا : **متى ستتوب ؟!!**

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا من : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولا : جدد إيمانك

أخي الحبيب : إن الإيمان قول وعمل ، الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، والإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان والزلات قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤]

وفي الحديث الذي رواه أبو نعيم في الحلية والدارمي وحسنه شيخنا الألباني من حديث علي ﷺ أنه ﷺ قال : « **مَا مِنَ القُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ القَمَرِ بَيْنَمَا القَمَرُ يُضِيءُ إِذْ عَلَتْـهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ إِذ تَجَلَّتْ** »[1] .

فإذا تراكمت سحب المعاصي على القلب حجبت نور الإيمان في القلب كما تحجب السحابة الكثيفة نور القمر عن الأرض ، فإذا انقشعت السحب ظهر نور القمر لأهل الأرض مرة أخرى كذلك إذا انقشعت سحب المعاصي والذنوب عن القلب ظهر نور الإيمان في القلوب ، فلا بد من تعهد القلب ، ولابد من تجديد الإيمـان في القلب وزيادته من آن لآخر ، وذلك بتعويض القلب بمواد تقوية الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا ، ومن هذه المواد المقوية للإيمان قراءة القرآن ، وذكر الرحمن ، والصلاة على النبي ﷺ ، والاستغفار ، وزيارة القبور ، وزيارة المرضى والمحافظة على الصلوات في جماعة بالمساجد ، والإنفاق على الفقراء والمساكين .

هذه بعض الأعمال التي تقوي وتجدد الإيمان في القلب فإن القلب هو الملك ، والأعضاء والجوارح جنوده ورعاياه ، فإن طاب الملك ، طابت الجنود والرعايا ، وإن خبث الملك خبثت الجنود والرعايا .

كما في الصحيحين من حديث النعمان بن البشير أن البشير النذير ﷺ قال :

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩٦) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٨) .

((... أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ))(1)

فلابد من تعهد حال الإيمان في القلب .. ولابد من تجديد الإيمان في القلب . ووالله الذي لا إله غيره ، لا أعلم زمانًا قست فيه القلوب وتراكمت فيه الذنوب على الذنوب ، وقل فيه الخوف من علام الغيوب كهذا الزمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز .

ثانيًا : قسوة القلوب وقلة الخوف من علام الغيوب

قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦]

ألم يأن لقلوب من وَحَّدُوا الله وآمنوا برسوله ﷺ أن تخضع لعظمة الله تبارك وتعالى ، وأن تذعن لأمره ، وأن تجتنب نَهْيَهُ ، وأن تقف عند حدوده تبارك وتعالى .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، وأبو داود (٣٣٢٩ ، ٣٣٣٠) في البيوع والترمذي رقم (١٢٠٥) في البيوع ، والنسائي (٧/ ٢٤١) في البيوع أيضًا .

إخوتي الكرام : إن قلة الخوف من الله جَلَّ وَعَلَا ثمرةٌ مرةٌ لقسوة القلب وظلمته ووحشته ، فمنا الآن من يستمع لكلام الرحمن يتلى ولا تدمع عيناه ، ولا يتحرك قلبه ، ولا تلين جوارحه ، ولا يقشعر جلده !!! ذلك أن القلوب قست ، لأن القلوب في وحشة وأن القلوب في ظلمة ، فقلَّ الخوف من الله ، وإن الخوف من الرحمن ثمرة حلوة للإيمان ، فعلى قدر إيمانك بالله ، وعلى قدر حبك لله ، وعلى قدر علمك بالله ، وعلى قدر معرفتك بالله جَلَّ وَعَلَا يكون حياؤك ، وخوفك ، ومراقبتك لله تبارك وتعالـى ، قف على هذه القاعدة ليتبين كل واحد منا الآن : هل يحمل في صدره قلبًا رقيقًا أم قلبًا قاسيًا وهو لا يدري ؟!!

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

[فاطر : ٢٨]

فعلى قدر علمك ومعرفتك بالله يكون خوفك من الله . فيا من تتجرأ على المعصية ، يا من ترخي الستور ، وتغلق الأبواب ، وتبارز الله جَلَّ وَعَلَا بالمعصية ، وأنت تظن يا مسكين أنه لا يسمعك ولا يراك أحد ، فاعلم أيها المسكين وكن على يقين أنك لا تعرف الله جَلَّ وَعَلَا ، وعلى قدر علمك بالله يكون حياؤك منه كما قال أعرف الناس بالله رسولنا محمد ﷺ :

« ... أَمَا وَاللهِ ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ... »[1].

فالذي يعرف الله إن زلت قدمه في المعصية وارتكب كبيرة من الكبائر في حالة ضعف بشري منه تجده سرعان ما يجدد التوبة والأوبة والندم وهو الذي سرعان ما يطرح قلبه بين يدي الله بذل وانكسار وهو يعترف بفقره وعجزه وضعفه .

وكان النبي ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وفي الصحيحين من حديث أنس ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : « وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا »[2]، قال : فغطَّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ، ولهم خنين[3] .

ورد في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي بسند صحيح بالشواهد من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَد الْتَقَمَ صَاحِبُ

---

(١) متفق عليه : البخارى رقم (٥٠٦٣) في النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ومسلم رقم (١٤٠١) في النكاح ، باب استحباب النكاح ، والنسائي (٦/ ٦٠) في النكاح أيضًا ، باب النهى عن التبتل .

(٢) متفق عليه : البخاري (٤٦٢١) في تفسير سورة المائدة ، باب قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ ومسلم (٢٣٥٩) في الفضائل ، باب توقيره ﷺ والترمذي (٣٠٥٨) في التفسير ، باب ومن سورة المائدة .

(٣) الخنين : شبيه بالبكاء مع مشاركة في الصوت من الأنف .

الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَا جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ فَيَنْفُخُ ؟ » فكأن ذلك ثَقُلَ على أصحابه ، فقالوا : فكيف نفعل يا رسول الله أو نقول ؟ قال : « **قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا** » وربما قال : « **تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ** »[1].

والله لو وقفت على خوف النبي ﷺ من ربه ، وهو أعرف الناس به ، وأتقى الناس له ، وأخشى الناس منه ، لرأيت العجب العجاب .

وهذا فاروق الأمة الأواب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أجرى الله الحق على لسانه لما نام على فراش الموت دخل عليه شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك ، وصحبة رسول الله ﷺ ، وقدمٍ في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة فقال عمر : وددت أن ذلك كفافٌ لا عليّ ولا لي .

وفي رواية : دخل عليه ابن عباس فقال : أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والمسلمين إذ يخافـون بمكة ، فلما أسلمت كان إسلامك عزًّا ، وظهر بك الإسلام ، وهاجرت فكانت هجرتك فتحًا ، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين ، ثم قُبض وهو عنك

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٧٠٠) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

راض ، ووازرت الخليفة بعده على منهاج رسول الله ﷺ فضربت من أدبر بمن أقبل ، ثم قبض الخليفة وهو عنك راضٍ ، ثم وليت بخير ما ولي الناس : مَصَّرَ الله بك الأمصار ، وجبَّا بك الأموال ، ونعى بك العدو ، وأدخل بك على أهل بيت من سيوسعهم دينهم وأرزاقهم ثم ختم لك بالشهادة فهنيئًا لك .

فقال عمر : والله إن المغرور من تغرونه[1].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : ليتني هذه التبنة ليتني لم أكُ شيئًا ، ليت أمي لم تلدني .

وهذا حب المصطفى ﷺ معاذ بن جبل الذي أقسم له النبي فقال : « **يَا مُعَاذُ والله إِنِّي لَأُحِبُّكَ** »[2].

يبتلى معاذ بطاعون الشام وينام على فراش الموت وهو الشاب الذي لم يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره فيقول لأصحابه : هل أصبح الصباح ؟ فيقولون : لا بعد ، فيقول أخرى : هل أصبح الصباح ؟ فيقولون : لا بعد

---

(١) سير الخلفاء للذهبي ص ٨٣ ، وابن الجوزى في المنتظم (٤/ ١٤١) بسند رجاله صحيح إلا عاصم بن عبد الله بن عاصم ضعفوه .

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢) في الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائي (٣/ ٥٣) في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء والحاكم (٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو في صحيح الجامع (٧٩٦٩) .

فيقول ثالثة : هل أصبح الصباح ؟ فيقولون : لا بعد ، فيقول معاذ : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار !!!

وهذا سفيان الثوري إمام الدنيا في الزهد والورع والحديث ، ينام على فراش الموت ويدخل عليه حماد بن سلمة فيقول له : أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على ما كنت ترجوه ، وهو أرحم الراحمين ، فيبكي سفيان ويقول : أسألك بالله يا حماد أتظن أن مثلي ينجو من النار ؟ !!!

وهذا إمام الدنيا الشافعي يدخل عليه الإمام المزني وهو على فراش الموت فيقول له : كيف أصبحت يا إمام فيقول : أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ، ولعملي ملاقيا ، ولكأس المنى شاربًا وعلى الله واردا ، ثم بكى وقال : فلا أدري والله يا مُزني أتصير روحي إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ؟!!!

وهذا مالك بن دينار وهو من أئمة السلف الأخيار كان يصلي للعزيزِ الغفار ويقبض على لِحيته ويبكي ثم يقول : لقد علمت ساكن الجنة وساكن النار ففي أي الدارين منزل مالك بن دينار ؟!!

فهل فكرت يا عبد الله في هذا المصير ، أتصير إلى جنة أم إلى نار ؟!!

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء .

ثالثا : أين المصير ؟!!

وهذا سؤال يجب على كل واحد منا أن يسأله لنفسه في الليل والنهار ،

يا من بارزت الله بالزنا قل لنفسك أين المصير ؟!

يا من ذهب زَوجُكِ إلى بلاد الغربة ليوفر لَكِ ولأولادكِ المعيشة الطيبة الحلال فلم تحفظيه في عرضه وماله قولي لنفسك أين المصير ؟!

يا من تلاعبتَ ببنات المسلمين وبارزتَ الله بالمعاصي قل لنفسك أين المصير ؟

يا من أكلتَ الربا قل لنفسك أين المصير ؟!!

يا من أكلتَ الحرام قل لنفسك أين المصير ؟!!

يا من تظلم الناسَ قل لنفسك أين المصير ؟!!

مَثِّلْ وُقُوفَكَ يَوْمَ العَرْضِ عُرْيَانَا ... مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأَحْشَاءِ حَيْرَانَا

وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ ... عَلَى العُصَاةِ وَرَبُّ العَرْشِ غَضْبَانَا

اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدُ عَلَى مَهَلٍ ... فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا

فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَمْ تُنْكِرْ قِرَاءَتَهُ ... إِقْرَارَ مِنْ عَرِفَ الأَشْيَاءَ عِرْفَانَا

نَادَى الجَلِيلُ خُذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي ... وَامْضُوا بِعَبْدٍ عَصَا لِلنَّارِ عَطْشَانَا

المُشْرِكُونَ غَدًا فِي النَّارِ يَلْتَهِبُوا ... وَالمُؤْمِنُونَ بِدَارِ الخُلْدِ سُكَانَا

ماذا تقول لربك غدًا إذا وقفت بين يديه عريانًا حيرانا ؟!!

أين المنصب ؟! أين الجاه ؟! أين السلطان ؟!! أين الأموال ؟!! أين القوة ؟!! ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] أين المصير ؟! وجه لنفسك اليوم هذا السؤال : هل أنت ممن عمل الطاعة وتنتظر من الله الجنة أم أنك مسرف على نفسك بالمعصية ومع ذلك تتمنى على الله الأماني ، وترجو الجنة ما أقل حياء من طمع في الجنة وهو لم يعمل بالطاعة ولم يمتثل لأوامر الله .. إننا لا نقوى على النار ومن يقوى عليها ؟! ومن يقوى على نار الدنيا وهي « .... جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ »[1].

فاتقوا النار أيها المسلمون فإن حرها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعها من حديد ، إن الطعام في النار نار ، وإن الشراب في النار نار ، وإن الثياب في النار نار ، وطعام أهل النار من الزقوم والغسلين والضريع .

هل تعلم ما الزقوم والغسلين والضريع ؟!!

الزقوم : شجرة تنبت في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين .

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما -: لو أن قطرة منها قطرت على أهل الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون الزقوم طعامه ؟!

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٢٦٥) في بدء الخلق ، باب صفة النار، وأنها مخلوقه ، ومسلم (٢٨٤٣) في الجنة وصفة نعيمها ، باب شدة حر نار جهنم .

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ [الصافات : ٦٢- ٦٦]

أما الضريع : فهو نوع من أنواع الشَّوْك ...

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ١-٧]

أما الغسلين : فهو عصارة أهل النار من فيح وصديد .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ۝ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة : ٢٥-٣٦]

إذا استغاث أهل النار يغاثون بماء ولكن ما هذا الماء ؟

قال تعالى : ﴿ ... وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟

يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾
[الكهف : ٢٩]

وهنا يستغيث أهل النار بخزنة جهنم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر : ٤٩ - ٥٠]

فإن يئس أهل النار من خزنة جهنم نادوا على رئيس الخزنة .

﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧]

فيتذكر أهل النار أهل التوحيد ممن كانوا يعرفونهم في الدنيا فينادونهم ليغيثونهم بشيء من الماء أو مما رزقهم الله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾
[الأعراف : ٥٠-٥١]

فإن يئس أهل النار من الخلق أجمعين استغاثوا بالملك الكريم .

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾

[المؤمنين : ١٠٦-١٠٨]

الطعام نار ، والشراب نار ، والثياب من نار .

قال تعالى : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج : ١٩-٢١]

أما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين .. جنة لا يعلم ما أُعِـدَّ فيها من كرامة لأوليائه إلا العزيز الغفار . « فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَتفِلُون ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرُشْحُهُمُ المِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ - عُودُ الطِّيبِ - أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينِ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ »[2].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٣٢٧) في أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، مسلم رقم (٢٨٤٥) في الجنة في فاتحته ، والترمذي رقم (٣١٩٥) في التفسير .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٢٤٥) في بدء الخلق ، باب أول ما جاء في صفة الجنة ، ومسلم (٢٨٣٤) في الجنة ، باب أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، و الترمذي (٢٥٤٠) في صفة الجنة .

ويكفى أخي الكريم : أن تقف على أدنى أهل الجنة منزلة لتعلم قدر أعلى أهل الجنة ، ففي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال : « سَأَلَ مُوسَى رَبَّه مَا أَدْنَى أَهْلَ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَي رَبِّ ! كَيْفَ ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَـهُمْ وَأَخَذُوا أَخْذَاتِهِمْ ؟! فَقَالَ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَيُقَالُ فِي الخَامِسَةِ : رَضِيْتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ . وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ .

فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ، قَالَ : رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : أُولئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ . غَرَسْتُ كَرَامَتَهُم بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1].

أيها المسلمون : إن أعلى نعيم أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله جَلَّ وَعَلَا قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣]

ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أنه ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنة الجَنَّةَ قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١٨٩) في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها والترمذي رقم (٣١٩٦) في التفسير ، باب ومن سورة السجدة .

وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟! فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا قَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ؟ فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : أَي شَيءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : أُحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا »[١].

وفي رواية أبي سعيد : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى الله ﷻ : قال تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى .

والسؤال الأخير : إذا كان الأمر كذلك فمتى ستتوب ؟!!

والجواب : بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية ..

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله . اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٦٥٤٩) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٨٢٩) في صفة الجنة ، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ، والترمذي ، (٢٥٥٨) في صفة الجنة .

أما بعد : فيا أيها الأحبة الكرام أيها الآباء الفضلاء .. وأيها الأخوات الفضليات وأيها الشباب : متى سنتوب ؟! متى سنرجع إلى علام الغيوب ؟!

أما آن لقلوبنا أن تخشع ، وأن ترجع وأن تخضع لله رب العالمين إن الموت يأتي بغتة ، وإن أقرب غائب ننتظره هو الموت فلا تسوف التوبة ، وعاهد الله من الآن أن تقف عند حدوده ، وأن تراقبه في سرك وعلانيتك .. في خلوتك وجلوتك ، وأن تحرص على مجالس العلم وأن تفرغ لها من الوقت والجهد والمال ، فإن مجالس العلم تجدد الإيمان في القلب ، وتحول بينك وبين معصية الله ﷻ لأن مجلس العلم طريق إلى الجنة ، وطريق يبعدك عن النار كما قال نبيك المختار : « **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ** »[1].

أحبتي في الله ....

فلنرجع ونتوب من الآن إلى الله تعالى توبة صادقة مهما بلغت ذنوبنا ، ونعاهد الله تعالى من الآن على أن نعود إليه ، و أن نجدد التوبة والأوبة ونحن على يقين أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده المؤمن ، وهو الغني عنا الذي لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، وأبو داود (٤٩٤٦) في الأدب باب في المعونة للمسلم ، والترمذي رقم (١٤٢٥) في الحدود ، باب ما جاء في الستر على المسلم .

أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]

وأذكركم أحبتي في الله أن التوبة لها شروط حتى يقبلها الله تبارك وتعالى وأول شرط فيها : أن تقلع عن الذنب ثم تندم على ما مضى ، ولا تباهى ولا تتفاخر أنك فعلت وفعلت ثم تعمل الصالحات .

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠]

وفى الحديث القدسي الذي رواه الترمذي أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا . ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً . »[1].

.....الدعـــاء

(١) الترمذي رقم (٣٥٣٤) في الدعوات ، باب رقم (١٠٦) .

قبل أن تغرق السفينة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾
[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله : « **قبل أن تغرق السفينة** » هذا هو عنوان لقائنا اليوم مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك ، وكعادتنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا ، فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولًا : سفينة واحدة .

ثانيًا : خطر المعاصي والذنوب .

ثالثًا : الذنوب والمعاصي سبب لسوء الخاتمة .

رابعًا : قادة النجاة .

خامسًا : متى سنتوب .

فأعيروني القلوب والأسماع جيدًا ، والله أسأل أن يجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[الزمر : ١٨]

أولا : سفينة واحدة

نعم أيها المسلمون الكرام إننا جميعًا نركب سفينة واحدة ، يركب هذه السفينة الصالحون والطالحون ، المتقون والمذنبون ، فإن نجت السفينة نجا الجميع ، وإن غرقت وهلكت السفينة هلك الجميع ، سيهلك الصالحون

والطالحون ، سيهلك المتقون والمذنبون ، سيهلك الطائعون والعاصون ، لذلك قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى كما في صحيح البخاري وسنن الترمذي من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال رسول الله ﷺ : « **مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلِهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقُوا مِنَ المَاءِ ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقِهِمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا** »[1].

قوم ضربوا القرعة في سفينة تمشي في البحر ، فوقعت القرعة على مجموعة منهم في أعلى السفينة ، ووقعت على الفريق الآخر في أسفل السفينة ، وكان هؤلاء الذين سكنوا أسفل السفينة إذا أرادوا أن يحصلوا على حاجتهم من الماء صعدوا ، ومروا على من سكنوا السفينة بالطابق الأعلى ، فقالوا : بدلًا من أن نرتقي كل مرة إلى أعلى السفينة لنحصل على حاجتنا من الماء ، فهيا لنختصر الطريق ، ولنخرق في أسفل السفينة خرقًا

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٢٤٩٣) في الشركة ، هل يُقْرَعُ في القسمة والاستهام فيها ؟ والترمذي (٢١٧٤) في الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب .

لنحصل على الماء الذي نريد ، فلو تركوهم و ما أرادوا هلكوا جميعًا فإن السفينة حتمًا بعد مرحلة من المراحل ستغرق وتهلك ، ويهلك كل ركاب السفينة ، أما إذا أخذوا على أيديهم وحالوا بينهم وبين إفساد السفينة بهذا الخرق لنجوا جميعًا .

مثلٌ نبوي بليغ لمحمد بن عبد الله ﷺ ، وهو الذي لا ينطق عن الهوى .

نحن جميعًا في سفينة المجتمع ، والناس في هذا المجتمع ينقسمون إلى ثلاثة أصناف «صنف » وحَّد الله جَل وَعَلَا ، وراقب الله في حاله ، وأطاع الله في السر والعلانية .. هؤلاء هم الصالحون المصلحون .. هؤلاء هم قادة النجاة.. أسأل الله أن يجعلنا منهم بِمَنِّه وكرمه .

و «صِنْف » وقع في المعاصي والذنوب ، وهذا خطره عظيم على المجتمع كله و « صِنْف » ساكن صامت لا ينصر المصلحين ، ولا ينكر على المفسدين المذنبين العاصين ، وهذا الصنف أيضًا صنف خبيث خطير ، لا يعيش إلا لشهواته الرخيصة ، ولا يعيش إلا لتجاراته ، وأمواله ، هذا الصنف الخبيث يهلك أيضًا مع الهالكين الفاسدين المذنبين ، وإن هلك الصالحون مع إهلاك الله للجميع سيُبعث الصالحون يوم القيامة على نيَّاتهم وعلى طاعتهم لكنهم في الدنيا سيهلكون مع الطالحين .

تدبر معي قول سيد النبيين كما في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش - رضي الله عنها - « دخل النبي عليها يومًا فزعًا ، وفى لفظ : قام النبي يومًا من النوم فزعًا ، وهو يقول : « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ . فُتِحَ اليَوْمُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ** » وحلق النبي بأصبعيه الإبهام والتي تليها ، فقالت زينب أم المؤمنين : يا رسول الله ! أَنهلكُ ، وفينا الصالحون ؟ قال : « **نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ** »[1] يهلك الصالحون ويبعثون يوم القيامة على نياتهم ، ويهلك الطالحون .

فلا بد أن يعي الجميع أننا نركب سفينة واحدة إن هلكت السفينة هلك الجميع ، وإن نجت السفينة نجا الجميع .

فوجب على المصلحين الصالحين أن يأخذوا على أيدي السفهاء ، وأن ينكروا على العصاة المذنبين ، وأن يبينوا لهم خطر المعاصي والذنوب لا على المذنبين فحسب بل على المجتمع بأسره لذا يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ .... ﴾ [الروم : ٤١]

ظهر الفساد في البر ، وظهر الفساد في البحر ، بل والله لقد ظهر الفساد

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٣٤٦) في أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، ومسلم رقم (٢٨٨٠) في الفتن وأشراط الساعة .

في الجو ، والله ما ترك بنو آدم مكانًا إلا وعكروه بأنفاس معاصيهم ، وذنوبهم حتى الطائرات في عنان السماء تطير بأمر الملك ولطفه ورحمته ، ومع ذلك ترى فيها بني آدم يبارزون الملك بالمعاصي ، بالخمور ، أو بالدعارة ، فالفساد لم يترك البر ، ولم يترك البحر ،ولم يترك الجو ، وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠]

لذا وجب على أهل الصلاح والعقلاء من أُولي الألباب أن ينكروا على أهل المعاصي والذنوب ، وأن لا ينظر المسلم إلى المعصية فيهز منكبيه ، ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه لا من قريب ، ولا من بعيد بحجة أنه يحفظ قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة : ١٠٥]

هذا فهم سقيم ، وفهم مقلوب ، لآية من كتاب ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ أي : إن أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وأشهدتم الله على أن قلوبكم تحترق على هذا المنكر الذي أمرتم بتغييره ، ونهيتم عن الوقوع فيه ، ولكن المذنبين العاصين لم يستجيبوا . حينئذٍ فلن يضركم ضلال الضلال ، ولن

يضركم انحراف المنحرفين ، ولن يضركم فساد المفسدين ، ولن تحرقكم معصية العصاة المتجرئين على رب العالمين .

لذا وقف صديق الأمة أبو بكر الصديق ﷺ على منبر النبي ﷺ يومًا ليبين للناس الفهم الصحيح لهذه الآية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾. وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ** »[1]. والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني وفي لفظ ابن ماجة بسند حسن أنه ﷺ قال : « **مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهُوا عَنْ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ** »[2].

فالمعاصي خطرها عظيم ليس على العصاة المذنبين فحسب بل على المجتمع بأسره ، وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز لنعرج على بقية العناصر إن شاء الله .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٠٥٩) في أبواب تفسير القرآن من سورة المائدة ، وأبو داود رقم (٤٣٣٨) في الملاحم ، باب الأمر والنهي ، وابن ماجة رقم (٤٠٠٥) في الفتن والحاكم في المستدرك (٣٠٤) ورواه أحمد في المسند (١ / ١) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

(٢) رواه ابن ماجة رقم (٤٠٠٤) في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثانيا : خطر الذنوب والمعاصي

أيها المسلمون : إن المعاصي والذنوب سبب لكل شقاءٍ ، وبلاءٍ ، وضنكٍ في الدنيا ، وسبب الهلاك في الآخرة .

ما الذي طرد إبليس من رحمة الله ؟!

ما الذي أهلك فرعون وملأه ؟!

ما الذي أهلك قوم عاد ؟!

ما الذي أهلك قوم ثمود ؟!

ما الذي أهلك قارون ؟!

ما الذي أهلك الجبابرة والطواغيت في كل زمان ومكان ؟!

الجواب : في كلمة واحدة : إنها المعصية . على اختلاف مراتبها ، ودرجاتها ابتداءً من الشرك بالله ، فإن الشرك أعظم وأكبر الذنوب ، وإذا مات الإنسان عليه يخلد في النار قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨]

وانتهاءً بأقل معصية ترتكب في حق خالق السماء والأرض جَلَّ وَعَلَا ، فالمعصية سبب للشقاء والهلاك والضنك .

قال تعـالى : ﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ

عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٧]

من أعرض عن طاعة الله ، وعن ذكر الله سيعيش عيشة الضنك ، عيشة الشقاء وإن رأيته للوهلة الأولى غارقًا في المتاع والرخاء ، فهو يعيش ضنكًا لا يشعر به إلا هو قال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ ضنك في الأولاد .. ضنك في الزوجة .. ضنك في القلب .. ضنك في العمل .. ضنك في كل شيء .

الذنوب والمعاصي سبب للذل والهوان ، فإن العز كل العز في طاعة الرحمن ، والذل كل الذل في معصية الرحمن .

قال الحسن : يأبى الله إلا أن يذل من عصاه وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ، فإن ذل المعصية في قلوبهم ، وأقول : ويأبى الله إلا أن يعز من أطاعه واتقاه .

وهل ما تحياه الأمة الآن من ذل وهوان إلا لأنها وقعت في معصية الملك

الرحمن ، وانحرفت عن منهج سيد ولد عدنان ؟!!

اسمع لنبيك ﷺ يقول في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ** »[١].

وقد تبايعنا بالعينة (وهو نوع من أنواع المعاملات الربوية) ، وتبعنا الدنيا بكل متاعها ، ورضينا بالزرع ، وتركنا الجهاد فأصبحت الأمة في ذل بعد عز ، وهزيمة بعد نصر ، وضعف بعد قوة .. أصبحت الأمة ذليلة لأذل أمم الأرض لمن كتب الله عليهم الذل والذلة ، وهذه سنة ربانية .

وتدبر معي كلام الحبيب المحبوب ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وابن ماجة من حديث ابن عمر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع أن النبي ﷺ قال : « **يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا**

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في الأدب ، باب في النهي عن العينة ، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٢٨) رقم (٤٨٢٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١) بمجموع طرقه .

إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ المَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ »[1].

يقول الحبيب المصطفى ﷺ « لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الأَوْجَاعُ وَالأَسْقَامُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ »[2]

نعم إن الفاحشة بدت للعنان وأعلن بها ولذا ترى الآن ما يسمى بمرض « **الإيدز** » المدمر للجهاز المناعي للإنسان ، وغير الإيدز أمراض كثيرة .. كثيرة وعجيبة ما سمعنا بها وما رآها أسلافنا الذين مضوا .. وهذا ظاهر واضح للقاصي والداني .

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٤٠١٩) في الفتن ، باب العقوبات ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٠) والطبراني في الأوسط (١/ ١/٢٨٧) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٠) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وحسن إسناده الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (١٠٦) .

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠١٩) في الفتن ، باب العقوبات ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٠) والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، والطبراني وهو في صحيح الجامع (٧٩٧٨)

ذلك بسبب انتشار الفاحشة ، وكثرة الزنا ، لقد حولت أندية الليل العابثة الليل إلى نهار ، وكثُرت بيوت الدعارة والمروجين لها ، بل وقُنِّن للدعارة في كثير من بلاد المسلمين .

وظهر الطبق الهوائي الذي يسمى « بالدش » وهو أكبر مروج للدعارة والزنا والعياذ بالله ، ولقد انتشر الآن في القرى والنجوع من بلاد المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يقول المصطفى ﷺ « **وَلَمْ يَنْقُصُوا الِمكْيَالَ وَالِميزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ المَؤُنَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ** » .

أشهد أن محمدًا ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، لقد انتشر في هذا الزمان نقص المكيال ، وتطفيف الميزان وكانت النتيجة الحتمية هذه الشدة التي تحياها الأمة ويا لها من شدة !! يعيش فيها كثير من الناس فأنت ترى الأمة وما تحياه الآن من الفقر والضنك .. فكم من عرايا ؟! وكم من جوعى ؟! وكم من مرضى ؟! وكل هؤلاء لا يجدون ما يسد جوعهم ، ولا يستر جسدهم ، ولا يطبب مرضهم . يقول المصطفى ﷺ : « **وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القِطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا** » ورد في خبر من الإسرائيليات ، ونحن نأخذ به ما لم يعارض

صريح القرآن ، أو صحيح السنة ، أن بني إسرائيل لم ينزل الله عليهم المطر لفترة طويلة حتى جف الضرع وهلك الزرع ، وتعرض الناس للبلاء فقالوا لنبي الله سليمان : يا نبي الله ! اخرج واسأل الله أن ينزل علينا المطر ، فخرج سليمان مع بني إسرائيل ، ومر في طريقه على وادي النمل ، وأنتم تعلمون أن الله فك لسليمان رموز لغة النمل فالتفت سليمان فرأى نملة تناجي ربها جَلَّ وَعَلَا ، وتقول كلامًا عجيبًا : « اللهم إنك تعلم أنه لا ينزل البلاء إلا بذنب ، ولا يرفع البلاء إلا بتوبة ، ونحن خلق من خلقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم ».

«وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ».

صدقت يا رسول الله فانظر الآن إلى أحوال المسلمين في بقاع الأرض ستجد أنهم سُلبوا في كل مكان ضاعت الأندلس وضاعت فلسطين وضاعت الجولان ، وضاعت كشمير ، ليس ذلك فقط فأنتم ترون ما يحدث الآن في البلقان !!

يقول المصطفى ﷺ **«وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ »** فها أنت ترى البأس شديدًا بين أفراد الأمة .

أحبتي في الله :

انظروا إلى شؤم المعاصي والذنوب ، فإن المعاصي تزيل النعم ، وتحل النقم ، فما حلت نقمة ، وما زالت نعمة إلا بذنب .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى : ٣٠]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنفال : ٥٣]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ .... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ..... ﴾ [الرعد : ١١]

لا يُبدل الله النعم بالبلاء ، ولا يبدل النعم بالنقم إلا إذا بدل العباد ابتداء الشكر بالكفر ، والنعم بالمعاصي .

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعهـَا فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُزِيلُ النِّعَمِ
وَصُنْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ العِبَادِ فَإِنَّ الإِلَـهَ سَـرِيعُ النِّقَمِ

قد يقول قائل : إننا نرى كثيرًا من أهل الكفر والإلحاد وكثيرًا ممن يتاجرون في الحرام ، ويأكلون الحرام ، ويتاجرون ويتعاملون بالربا ، غارقين في النعم ، فما جوابك على ذلك ؟!!

والجواب من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى رواه أحمد والبيهقي في الشعب ، وصححه الألباني في السلسلة من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا رَأَيْتَ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ** » ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٤-٤٥][1].

فليس زيادة النعم معناه الرضا ، وليس نقص النعم معناه السخط ، فإذا رأيتم عبدًا من العباد على المعصية وأعطاه الله من فضله ، فكن على يقين جازم أن هذا استدراج له من الله جَلَّ وَعَلَا ، فالذنوب والمعاصي تزيل النعم وتحل النقم .

اسمع لحبيبك المصطفى ﷺ وعُضّ على هذا الحديث بنواجذك ، الحديث رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ رُوحَ القُدُسِ – أَي جِبْرِيلَ** عليه السلام –

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٤٥) رقم (١٧٢٤٤) والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، وهو في صحيح الجامع (٥٦١) .

نَفَسَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ،وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتَبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيةِ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))[1].

اعلم بأن رزقك مقدر ، ووالله لو عشت ألف سنة لن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تحول بينك وبين ما قدره الله لك من الرزق ، ولن تستطيع قوة على وجه الأرض أن ترزقك برزق لم يقدره لك الرزاق .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦]

فإن الرزق من عند الله ، ولا ينال ما عند الله إلا بطاعته .

قال جَلَّ فِي عُلَاهُ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣]

قال جَلَّ فِي عُلَاهُ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤]

قال جَلَّ فِي عُلَاهُ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣]

فلا تطلب ما عند الله بمعصية الله ، فإن الرزق من عند الله ، وما عند الله لا ينال إلا بالطاعة .

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٨٥) .

ثالثا : الذنوب والمعاصي سبب لسوء الخاتمة

من عاش على شيء مات عليه ، يأتي العاصي الذي عاش للشهوات والملذات والذنوب فيحاول جاهدًا على فراش الموت أن يحرك شفتيه بكلمة التوحيد فيغلب عليه الذنب ، ويطبع الذنب على قلبه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه .

يغلب عليه الذنب وتطبع المعصية على قلبه ، ولا ينطق اللسان إلا بما طبع في القلب ، فإذا ما حاول أن ينطق بكلمة التوحيد يغلب على اللسان ما طبع في القلب طيلة الحياة الدنيا ، فيشعر بثقل شديد كأن الشفتين جبلًا لا يريد أن يتزحزح ، بل وربما ينطق اللسان بما سكن في القلب من حب الشهوات ، والملذات كما صرح بذلك أهل العلم كابن القيم والطبري وابن الجوزي وغيرهم .

ذكر ابن القيم أن رجلًا نام على فراش الموت وكان تاجرًا لا هم له إلا التجارة ، تعلق قلبه بحب المال ، ولم يؤد حق الكبير المتعال قيل له : قل : « لا إله إلا الله » فما كان يرد عليهم إلا بقوله : ألفين .. ثلاثة آلاف .. أربعة آلاف ، وظل يكرر ذلك حتى خُتِمَ له بهذه الكلمات .

قال الحافظ ابن كثير : لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه .

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »[1].

أيها الأخوة الكرام : إن من أخطر آثار الذنوب والمعاصي أنها سبب لسوء الخاتمة ، أيها اللاهون ، أيها العصاة ، أيها المذنبون هيا من الآن فإن أقرب غائب ننتظره هو الموت ، فالموت لا يترك صغيرًا ولا كبيرًا ، ولا صحيحًا ولا مريضًا ، ولا رجلًا ولا امرأة .

أَبَتْ نَفْسِي تَتُوبُ فَمَا احْتِيَالِي ... إِذَا بَرَزَ العِبَادُ لِذي الجَلَالِ

وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ سُكَارَى ... بِأَوْزَارٍ كَأَمْثَالِ الجِبَالِ

وَقَدْ نُصِبَ الصِّرَاطُ لِكَي يَجُوزُوا ... فَمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ عَلَى الشِّمَالِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسِيرُ لِدَارِ عَدْنٍ ... تَلَقَّاهُ العَرائِسُ بِالْغَوَالِي

يَقُولُ لَهُ الْمُهَيْمِنُ يَا وَلِيِّي ... غَفَرْتُ لَكَ الذُّنُوبَ فَلَا تُبَالِي

فعد إلى الله .. وتب إلى الله .. واعلم أنك إذا عشت على الطاعة مت على الطاعة ، اترك صحبة السوء أيها الشاب ، وهيا إلى بيت الله .. إلى صحبة الخير والإيمان .. إلى صحبة الطهر والعفة و البراءة ، هيا عد إلى الله ،

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) في الجنة وصفة نعيمها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

وأقبل إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، فإن من أخطر آثار الذنوب والمعاصي أن تغلب المعصية على قلبك وأنت على فراش الموت فيختم لك بالمعصية والسوء والعياذ بالله .

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة ، وأن يتقبل منا ، وإياكم صالح الأعمال . وأعرج على ما تبقى بعد جلسة الاستراحة ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ، وأحبابه ، وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

رابعًا : قادة النجاة

قادة النجاة لهذه السفينة في المجتمع بأسره ، هم العلماء ، هم الدعاة ، هم الصالحون المصلحون الذين يطيعون الله جَلَّ وَعَلَا ويتحركون بين الناس ليذكروهم بالله ، ويأمروهم بالمعروف ، وينهوهم عن المنكر فلا تحرم نفسك من هذا الخير .

ما الذي يحول بينك وبين دعوة رجل إلى الصلاة بكلمة طيبة رقيقة وأنت في طريقك إلى بيت الله ؟!

هذا هو سبيل النجاة ، وهؤلاء هم قادة النجاة .

تعلم أن امرأتك أو ابنتك تخرج كاسية عارية متبرجة ، ولا يحترق قلبك، ولا تجري الدماء في عروقك ، فأنت على خطر عظيم .

تنظر إلى إخوانك من المسلمين على التقصير والانحراف ، والمعاصي والذنوب ، وتضحك بملء فمك ، وتأكل ملء بطنك وتنام ملء عينك ، وكأن الأمر لا يعنيك ، أنت على خطر عظيم .

ففي الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ »[1].

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٤٩) في الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن : باب ما جاء في تغيير المنكر باليد ، وأبو داود (١١٤٠) في صلاة العيدين ، والنسائي (٨/ ١١١) في الإيمان ، وابن ماجة (٤٠١٣) في الفتن .

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

فمر بالمعروف بمعروف وانْهَ عن المنكر بغير منكر بالكلمة الطيبة ، إن كنت قادرًا على التغيير بيدك دون أن يترتب على ذلك أضرار ، أو ما هو أكبر من المنكر ذاته ، فغير بيدك وإن عجزت أن تغير بيدك فغير بلسانك بكلمة رقيقة رقراقه ، بكلمة طيبة ، فإن عجزت فبقلبك ، وتغيير المنكر بالقلب لا يتم إلا بشرطين :

الأول : أن يرى الله من قلبك البغض لهذا المنكر .

الثاني : أن تترك المكان الذي يرتكب فيه المنكر ، وأنت عاجز عن تغييره ، أما أن تظل مستأنسًا متلذذًا بالمنكر وأهله فأنت على معصية ، بل وعلى خطر عظيم .

يقول النبي ﷺ : « **إِنَّ مِنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ** »[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٣٠) وقال الشيخ شاكر إسناده صحيح ورواه أبو داود رقم (٤٣٣٨) في الملاحم ، باب الأمر والنهي . وصححه الألباني .

وعن حذيفة بن اليمان ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشَكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ** »[1].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب العظيم لهذا الدين ، ولو تركناه لفشت الضلالة ، وعمت الجهالة ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولن يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، فَمُر بالمعروف ، لا أقول بالعصا ولكن بالحكمة والرقة .. بالكلمة الطيبة .. بالموعظة الحسنة .

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥]

أيها الأحبة :

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٦٩) في الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠) .

خامسًا : متى نتوب

أيها اللاهي أيها الساهي :

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا وَاذْكُـرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ

لَمْ يَنْسَـهُ المَلَكَـانِ حِـينَ نَسِيتَهُ بَلْ أَثْبَتَـاهُ وَأَنْـتَ لَاهٍ تَلْعَـبُ

وَالـرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَـةٌ أُودِعْتَهَا سَـتَرُدُّهَا بِالرَّغْـمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ

وَغُـرورُ دُنْيَـاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَـا دَارٌ حَقِيقَتُهَـا مَتَـاعٌ يَذْهَـبُ

اللَّيْلُ فَاعْلَـمْ وَالنَّهَـارُ كِلَاهُمَـا أَنْفَاسُـنَا فِيهِمَـا تُعَـدُّ وَتحْسَـبُ

فمهما كانت ذنوبك ، ومهما كانت معاصيك لا نجاة لك إِلَّا بالتوبة والأوبة إلى الله ، فهيا اسلك سبيل النجاة ، وتب إلى الله ، وعد إلى الله ، واعلم بأن الله سيفرح بتوبتك مهما كانت ذنوبك إن تبت إليه وعدت .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]

...الدعـــاء

الفهـــــــرس



الجزء الحادي عشر

دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى[1].

((وَلَقَدْ جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلافٍ ، وَمَا فِيهِمْ إِلا مَنْ رَقَّ قَلْبُهُ ، أَوْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ ؟!

فَصِحْتُ بِلِسَانِ وَجْدِي : إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالعَذَابِ غَدًا فَلا تُعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي ، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لا لأَجْلِي ، لِئَلا يَقُولُوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ)) .

---

(١) صيد الخاطر : ص (١٨٦) طبعة دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ محمد حسان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

وبعد ...

فهذا هو الجزء الحادي عشر من الخطب .

أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصًا لوجهه وأن يتقبل منا صالح الأعمال .

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه
أبو أحمد محمد بن حسان
مصر ـ المنصورة

دُعَاة لا أَدْعِيَاءُ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أما بعد :

فحياكم الله جميعًا أيها الأخوة الفضلاء الأعزاء ، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعًا من الجنة مَنْزِلًا ، وأسأل اللهَ العظيمَ الحليمَ الكريمَ - جَلَّ وَعَلَا - الذي جمعني مع حضراتكم في هذا البيت الطيب المبارك على طاعته ، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبَّتي في الله : ((**دعاة لا أدعياء**)) هذا هو عنوان لقائي مع حضراتكم في هذا اليوم الطيب المبارك ، وكعادتي حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من تحت أقدامنا ، فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في هذا الموضوع المهم في هذه العناصر التالية :

أولًا : **طبيعةُ الطريق** .

ثانيًا : **الدعاةُ صنفان** .

ثالثًا : **عدلٌ وإنصاف** .

وأخيرًا : **لا تقنطوا .. فالصبح من رحم الظلماء مسراه** .

فأعيروني القلوب والأسماع جيدًا ، والله أسأل أن يجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أحبتي في الله :

إن طريق الدعوة إلى الله ﷻ طريقٌ طويلٌ شاق .. حافلٌ بالعقبات والمحن والأشواك .. مفروشٌ بالدماء والأَشْلاَء .. محشو بالأذى والمحن والفتن والابتلاء .. يدوي في جنباته عويل المجرمين من المنافقين ، ممن يملكون أحدث أبواق الدعاية .

هذا الطريق لو كان هينًا ، لينًا ، سهلًا ، مفروشًا بالورود والزهور والرياحين ، لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة ، ومن ثم تختلط حينئذٍ دعوة الحق بدعاوى الزور والباطل .

إن طريق الدعوة هو طريق الأنبياء .. إنه طريق نوح .. وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمدٍ صلوات الله عليهم وعلى جميع إخوانهم من النبيين والمرسلين .

وهذه المحن والابتلاءات - على طرق الدعوة - ليست عبثًا ، ولا عذابًا من الله لأهل الحق - من النبيين ، والمرسلين ، والعلماء الربانيين ، والدعاة الصادقين - كلا .. كلا .. ولكن هذه المحن والابتلاءات ، هي المحك الحقيقي للتمييز بين دعاة الحق ودعاة الباطل ، ولكن هذه الابتلاءات ، وهذه المحن هي المحك الحقيقي لتمحيص السائرين على طريق الدعوة لرب العالمين ، ولتطرد هذه المحن الزائفين والمتاجرين ، والمنافقين ، والمخادعين ، حتى لا يثبت على طريق الدعوة إلى الله إلَّا من

تجردت نفوسهم ، وأخلصت ضمائرهم لربهم - جَلَّ وَعَلَا - وراحوا ليروى أحدهم شجرة الدعوة ، بعرقه ، وروحه وجهده ، ودمه ، وهو يعلم علم اليقين أنه مهما طال الطريق ومهما اشتدت المحن والفتن والابتلاءات يعلم ﴿ ... إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ... ﴾ [الأعراف : ١٢٨]

ويعلم علم اليقين أن العاقبة في نهاية الطريق للمتقين . أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا جميعًا من المتقين .

أيها المسلمون : ائتوني بسيرة نبي من الأنبياء ، أو رسول من الرسل ، لم يُبتَلَ ، ولم يُؤذ ، ولم يَلْقَ من قومه العنت والتكذيب والإيذاء .

فهذا أول رسل الله إلى الأرض بنص حديث الصحيحين الطويل - وهو حديث الشفاعة - هذا نبي الله نوح الذي بُعِثَ في قومه ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] تصور هذه المدة الطويلة لم يَدَعْ فيها نبي الله نوح سبيلاً للدعوة إلى الله إلا وسلكه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل

لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾
[نوح : ٥ - ١٣]

ما لكم لا توحدون الله حق توحيده .. ولا تعبدون الله حق عبادته .. ولا تقدرون الله حق قدره .. ومع ذلك قال تعالى : ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ [القمر : ٩]

نوح مجنون ؟!! ... **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟!!**

وهذا - خليل رب العالمين - إبراهيم عليه السلام الذى دعا قومه بالحكمة البالغة والكلمة الرقراقة الطيبة قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ - ٧٣]

وقال : ﴿ ... يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٢ ، ٤٥]

انظر إلى هذه الرِّقة الرقراقة والرحمة البالغة .. دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأقام عليهم الحجة الدامغة البالغة ، ومع ذلك قال له أقرب الناس إليه قال له أبوه : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٦]

وقال له قومه : ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات :٩٧]

وقالوا : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾
[الأنبياء : ٦٨]

فهذه عقوبة خليل الله إبراهيم أن يلقى في الجحيم وأن يلقى في النيران المشتعلة المتأججة .

وهذا نبي الله موسى ، إنه الكليم الذى اصطفاه رب العالمين وصنعه على عينه قال له ربه جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه : ٤١]

وقال له ربه جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ انطلق موسى بأمر الله إلى فرعون وملئه ، فدعاهم بالحكمة البالغة والكلمة اللينة امتثالًا عمليا منه - وهارون - لقول رب العالمين : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤].

ومع ذلك لما ذهبا إلى فرعون وأقاما عليه الحجة ، ماذا قال فرعون ؟ : ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦] موسى مفسد ؟! وفرعون هو المصلح ؟!.

وهذا نبي الله عيسى الذى بعثه الله إلى بني إسرائيل بالآيات البينات الدامغات والأدلة الواضحات ، والبراهين الجليات ، فدعاهم إلى عبادة رب الأرض والسماوات ، فاتهموه بالسحر ، بل ورماه البعض بأنه ولد زنى قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ

إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦]

وهذا نبي الله يوسف يُلْقى في غيابت الجب والسجن قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [يوسف : ٣٥ -٣٦]

وهذا نبي الله صالح الذي بعثه الله إلى قومه ثمود فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر : ٢٣ ، ٢٥] نبي الله صالح كذابٌ أشر ؟!!

وهذا نبي الله هود بعثه الله ﷻ لقوم « عاد » ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ومع ذلك : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٦]

هود سفيه !! تدبروا التاريخ لتعلموا طبيعة الطريق .

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٦ - ٦٨]

وهذا نبي الله شعيب الذي بعثه الله إلى قومه « مدين » فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ومع ذلك ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن

قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨]

وهذا نبي الله لوط الذي دعا قومه إلى عبادة الله وحده وإلى الفضيلة والعفة والطهارة ، ومع ذلك قال تعالى : ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل : ٥٦]

لماذا يخرج لوط والذين آمنوا معه ؟! ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ !!

هذه تهمتهم .. أنهم أناس أهل طهر !! أهل عفة !! وستظل الطهارة جريمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .!!

وهذا لبنة التمام ومسك الختام ، المصطفى أشرف من مشى على أرض ، وأطهر نبي بُعثِ ، وأشرف مخلوق وُجِد على ظهر هذه الأرض ، هذا إمام النبيين ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين اتهمه قومه بالكذب ، والسحر والشعر ، والكهانة ، والجنون ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر : ٦]

وقال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص : ٤] الأمين المصطفى ساحرٌ كذاب ؟! المصطفى ﷺ مجنون ؟!

وأُلْقِيَ التراب على أشرف وأطهر رأس ، ووضعت النجاسة على أطيب ظهر ، وهو ساجد بين يدي الله[1] ، وأقبل إليه الوغد الحقير عقبة بن أبي

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٣٨٥٤) في مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من =

معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ وهو يقول ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[1] [غافر : ٢٨]

بل جاء اللعين أبو جهل والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : « قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قال : قيل : نعم . قال : واللاَّت والعُزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب .... »[2].

ويُتهم رسول الله ﷺ في شرفه .. في عرضه .. في طهارته .. وهو الطاهر الذي فاضت طهارته على العالمين .. اتهم في صيانة حرمته ، وهو القائم على صيانة الحرمات كلها في أمته .. اتهم في عائشة .. رُمِيَت زوج المصطفى بالزنا !!

إنه ابتلاء يصدع القلوب .. تصور أن رسول الله قد رُمِيَت امرأته .. ومن ؟ عائشة أحب زوجات النبي إلى قلب النبي !!!

جريمة شنعاء .. وتهمة نكراء .. وظل الوحي غائبًا عن المصطفى شهرًا

= المشركين بمكة ، ومسلم رقم (١٧٩٤) في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين .

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٨٥٦) في مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه ، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٢٠٤) .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري مختصرًا رقم (٤٩٥٨) في التفسير ، ومسلم رقم (٢٧٩٧) في صفة القيامة ، باب قوله : « إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى » واللفظ له ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (٢/ ٣٧٠) .

كاملًا لم تتنزل عليه آية في حق عائشة ، وتصدع قلب المصطفى ، وخرج ببشريته - بأبي هو وأمي - ليسأل أصحابه عن أخلاق عائشة - رضوان الله عليها -.

تقول عائشة لما علمت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم حتى أظن أن البكاء فالق كبدي .

ويقول المصطفى ﷺ لعائشة بعدما تشهَّد : « **أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ...** ».

تصور ما تحمله هذه الكلمات من حجم المأساة ومن حجم المعاناة التي يحملها قلب رسول الله ﷺ ، وعائشة لا تعرف جوابًا إلا أن تلتفت إلى النبي ﷺ وإلى الصديق وأمها وتقول : فوالله ما أجد لي ولكم مثلًا إِلَّا أبا يوسف إذ قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] حتى أنزل الله براءتها [١].

تُتَّهمَ عائشة وهي الزهرة الطاهرة التي ترعرعت في أشرف بيت بعد بيت النبي ﷺ ، ثم انتقلت من بيت الصديق إلى بيت النبي ﷺ لتسمع

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري رقم (٢٦٦١) في الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهم بعضا ، ومسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة ، باب في حديث الإفك .

القرآن غضًّا طريًّا من فم رسول الله ﷺ ؟!! ويُتهم المصطفى ؟!! ويُتهم أطهر بيت في الأمة . بيت رسول الله ؟ ويُتهم بيت صديق الأمة بيت أبي بكر ﷺ ؟!

هذه هي طبيعة الطريق .. طريق طويل شاق ..حافلٌ بالعقبات والأشواك مفروش بالدماء والأشلاء .. محفوفًا بالأذى والابتلاء .. يدوي في جنباته بل في كل شبر منه ، يدوي فيه المجرمون – ممن يملكون أحدث أبواق الدعاية والإعلام – لتشويه صور الأطهار ولتلطيخ سمعة الأبرار الأخيار .

أيها المسلمون : هذه هي طبيعة الطريق لأن الله ﷻ قد قضى هذه السّنة الكونية الثابتة قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ – ٣]

لابد من التمحيص لطرد الزائفين ، المخادعين ، المتاجرين بالدعوة ، حتى لا يثبت على الصف إلا من صَفَتْ نفسه ، وطَهُرَتْ نيته ، وصَفَتْ سريرته لحمل دين الله جَلَّ جَلَالُهُ ، لأنه شرف لا يستحقه إِلَّا المخلصون .. إلا من يسيروا على درب النبيين والمرسلين .. بقلب طاهر .. ونية صادقة صافية .

فالدعاة إلى الله صنفان : وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز شديد ، ففي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال : كان الناس يسألون

رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « **نَعَمْ** » قلت : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « **نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ** » قلت : وما دخنه ؟ قال : « **قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ** » قلت : فهل بعد ذلك الخير - أي الذي شابه الدخن - من شر ؟ قال : « **نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا** » قلت : يا رسول الله صفهم لنا . فقال : « **هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** »[1] وفي رواية الإمام مسلم قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى « **وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ** » .

نعم .. فهم من ألطف الناس بيانًا .. ومن أجمل الناس هندامًا .. ومن أحلى الناس بيانًا .. ومن أخبث الناس جنانًا .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦]

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٠٦) في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم (١٨٤٧) في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ... ﴾ [المنافقون : ٤]

يجلس الرجل على كرسي في « ماسبيرو » ويقول : تصور أنهم يُحَرِّمون الاختلاط ؟!! تصور هذا الإرهاب ؟!! يُحَرِّمون الاختلاط بلا قيود أو ضوابط ، وتخرج أخرى لتقول : تصور أنهم يُحَرِّمون المصافحة بين الرجال والنساء ؟! ويقول معلقا : أين النية الطيبة ؟ أين قول النبي : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ** » ، ويخرج آخر فيقول : تصور أنهم يحرمون الجينز على البنات في الجامعات ؟ حتى أني خشيت أن يخرج واحد ليقول : تصور أنهم يحرمون الزنا ؟!!.

إِنْ قُلْتَ قَالَ اللهُ قَال الرَّسُولُ ... هَمَزُوكَ هَمْزَ الْمُنْكِرِ الْمُتَعَالِـي
أَوْ قُلْتَ قَالَ : الصَّحَابَةُ وَالأُلُو ... تَبعٌ لَهُم فِي القَـوْلِ وَالأَعْمَـالِ
أَوْ قُلْتَ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ ... وَأَبُو حَنِيفَـة وَالإِمَـامُ الغَالِـي
صَدُّوا عَنْ وَحْي الإِلَهِ وَدِينِهِ ... واحْتَالُوا عَلَى حَرَامِ الله بِالإِحْلَالِ
يَا أُمَـةً لَعِبَـتْ بِدِين نَبِيِّهَـا ... كَتَلَاعُبِ الصِّبْيَانِ فِي الأَوْحَالِ
حَاشَ رَسُولُ الله يَحْكُم بِالهَوَى ... وَالجَهَلِ ، تِلْكَ حُكُومَة الضُّلَّال

ما هذا التطرف أيها المتطرفون تريدون أن تحرموا علينا كل شيء .

ما هذا التنطع ؟!

في أخبار اليوم - وهى جريدة رسمية - كتب أحدهم تحت عنوان « هلك المتنطعون » يتّهمني ويقول : هذا الرجل لا يُذَكِّر الناس أبدًا في

كل لقاءاته إلا بالنار ، ثم قال : قال له صديق والله لقد صرنا نخشى على أولادنا من سماع الشيخ حسان لأنه لا يُذَكِّر الناس إلا بالنار ، ثم يتضرع هذا الصحفي إلى الله ﷻ ويدع الله علينا فيقول : رب لا تذر على الأرض من هؤلاء ديارًا !! التهمة أنني أُذَكِّر الناس بالنار ! سبحان الله ، وما أروع وأمتع ما قاله ابن القيم - في صنفٍ خبيثٍ من الدعاة - قال : « قومٌ جلسوا يدعون الناس إلى الجنة بأقوالهم ويدعون الناس إلى النار بأفعالهم ، فإذا قالت أقوالهم للناس : هلموا إلينا قالت أفعالهم للناس : لا تسمعوا إلينا ، فهم في الظاهر أَدِلَّاء ، ولكنهم في الحقيقة قطاع طرق » ، فالظواهر ظواهر الأنصار ، والبواطن قد تحيزت إلى المنافقين والمخادعين والفجار !!

لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والكفران ، فلكل واحدٍ منهما وجهان ولسانان ، وجهٌ يلقى به المؤمنين ووجهٌ يلقى به إخوانه من المجرمين : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٤ - ١٦]

وأَنَّا لهم الهدى ؟! وهم يعلنون الحرب على الأصول ، وعلى ثوابت وأركان الدين ، يعلنون الحرب على النص النبوي الصريح ، بل وعلى النص القرآني الصريح ، وهؤلاء هم قادة الفكر والتوجيه في الأمة ، بل

ويشار إليهم بالبنان ، فهم المفكرون ، والمثقفون ، وهم المتنورون ، وهم قادة الأخلاق وقادة التوجيه ، وقادة الفكر ، وأصحاب الصفحات ، والإذاعات الطويلة ، يتكلمون في كل شيء ، وفى أي شيء ، وفى أي وقت !!

وأنا أتساءل : لماذا لم يُدْعَ واحدٌ من هؤلاء « المتطرفين » في زعمهم ليجلس مع هؤلاء الجالسين في « ماسبيرو » ليسمع الناس قول « المتطرفين » كما سمعوا قول الآخرين ؟! لماذا لا يُقَدَّم هؤلاء للناس ليسمع الناس كل واحدٍ من هؤلاء بلا قيود ، ولا حدود ؟! ، وكما قال الإمام أحمد : بيننا وبينهم يوم الجنائز ، فأنا أقول لهؤلاء : بيننا وبينكم ساحات المساجد !!

فنحن لا نُكْرِه الناس على الذهاب لهؤلاء الدعاة الفضلاء ، فهي سنة ربانية باقية لله سبحانه في أرضه ألا وهي وجود طائفة من أهل الحق ، نحن ورب الكعبة لا نقصد إخواننا من الدعاة من غير الرسميين فقط ، كلا ، بل أنا أتحدث عن أهل الحق من دعاة الأزهر والأوقاف ومن دعاة أنصار السنة والجمعية الشرعية ، من أنصار الحق ودعاة السنة في أي أرضٍ كانوا وفى أي مكان وجدوا ، فنحن لا نفرق بين دعاة الحق مهما كانت أماكنهم ومهما تعددت اختصاصاتهم أقول : إن الله تعالى قد أودع الكون سنة ربانية ، ألا وهي بقاء طائفة من أنصار الحق ، ودعاة السنة ليبقى لله في الأرض من يقوم بحجته ، قال المصطفى ﷺ والحديث في الصحيحين « **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ**

خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »(١).

لابد أن تبقى هذه الطائفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا هو الصنف الثاني الكريم من دعاة الحق .. من دعاة التوحيد الخالص .. من دعاة السنة .. من الدعاة إلى الأخلاق الكريمة .. من الدعاة إلى الإسلام جملة وتفصيلًا .. إنهم فكر الأمة الحر .. إنهم وعي الأمة المستنير .. إنهم قلب الأمة النابض بالحياة .. إنهم الشموع التي تحترق لتضيء للأمة طريق نبيها ﷺ .. إنهم الدعاة الربانيون ، والدعاة الصادقون الذين لا يدعون إلى قومية أو عربية ، ولا يدعون إلى شارة أو راية ، ولا يتعصبون تعصبًا بغيضًا أعمى لجماعة بعينها أو لشيخ بعينه .. فجماعتهم هي جماعة المسلمين .. وإمامهم هو إمام الهدى ومصباح الدجى محمد ﷺ .. ومنهجهم هو القرآن والسنة بفهم سلف الأمة الأخيار .. إنهم المتحركون لدعوة العزيز الغفار بفهمٍ دقيق ، ووعيٍ عميق ، لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]

إنهم قادة سفينة الإنقاذ وسط هذه الأمواج المتلاطمة ، والرياح الهوجاء من أمواج ورياح الفتن .. إنهم الداعون إلى تصحيح العقيدة وتخليص

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٤١) ، في المناقب ، ومسلم رقم (١٩٢٣) واللفظ له في الإمارة ، باب قوله ﷺ « **لا تزال طائفة من أمتي ...** ».

العبادة وتقويم ، وتهذيب ، وإصلاح الأخلاق .. إنهم بحق قادة الأمة .. إنهم ورثة الأنبياء .. إنهم العلماء .. إنهم الدعاة الصادقون .. لابد من بقاء هذه الطائفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن ثَمَّ تُعْلَن الحرب عليهم بمنتهى الضراوة والشراسة فَيُتَّهَمُوا بأنهم الأصوليون .. والوصوليون .. والفضوليون .. والمتأخرون .. وهم سر أزمة الأمة .. وهم سبب نكبات الأمة .. وهم .. وهم .. وهم .. إلى آخر هذه التهم المعلبة .

أسألكم بالله هل سمعتم واحدًا من هؤلاء الدعاة يُحَرِّم استخدام الجراحة في عالم الطب ، ويفتي بوجوب استخدام الحجامة ؟.

هل سمعتم واحدًا من هؤلاء الدعاة يُحَرِّم استخدام أشعة الليزر ويفتي بوجوب العودة إلى علم الكي ؟!!

هل سمعتم واحدًا من هؤلاء الدعاة يحرم سكنى ناطحات السحاب ، وسكنى أبراج السماء ، ويفتي بوجوب العودة إلى ضرب الخيام بالصحراء ؟!

هل سمعتم واحدًا من هؤلاء الدعاة يُحَرِّم استخدام السيارة والطائرة والباخرة ويفتي بوجوب استخدام الإبل والحمير ؟!!

هل سمعتم واحدًا من هؤلاء الدعاة يُحَرِّم استخدام القنبلة والصاروخ في حرب الأمة لأعدائها ، ويفتي بوجوب حربهم بالرمح والسيف ؟!!

هل سمعتم واحدًا من هؤلاء الدعاة من يُحَرِّم استخدام وسائل الاتصال الحديثة ؟!!

نريد قليلًا من الإنصاف يا سادة .. يقول أحدهم - في حق هؤلاء الصادقون - وطلاب علمهم : الملتحون الجُدُد تذكرك بعض أشكالهم بالصحابة ويذكرك البعض الآخر بكفار قريش .

ويقول آخر : الملتحون الجدد ضعاف الشخصية ، لا يناقشون ، ولا يتحدثون ، لأن ثقافتهم محدودة .

ويقول آخر : أُحذِّركم من الذي يصلى الصلوات الخمس في جماعة ثم يغتسل من جنابة الزنا في حَمَّامِ المسجد . هل هذا حوار أم إشعال للنار ؟!!

نخاطب المفكرين ، والأدباء ، والعقلاء ، هل هذا حوار أم إشعال للنار؟! هل هذا فكرٌ وأدبٌ وإبداع أم سب وقذف ؟

نريد قليلًا من الإنصاف لنتعرف على المتطرفين الحقيقيين ، نريد قليلًا من العدل لنعلم مَن الذي يعمل لصالح هذا البلد ، ولصالح الأمة ؟ ومن الذي يعمل لتقويض بناء هذا البلد ، ومقدراته كلها ؟! نريد قليلًا من الإنصاف ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [النجم : ٢٢] أن يُتَّهَم هؤلاء بالتطرف ، وأن يُحْكَم على أولئك بالعقلانية والعصرنة والعقلنة إن صحَّت هذه الألفاظ والكلمات ، نريد قليلًا من الإنصاف لنتعرف على الحقيقة ، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء بإيجاز شديد .

عدل وإنصاف

وبداية أَوَدُّ أن أحذر أحبابنا وشبابنا وطلاب العلم الشرعي ممن يحبون هؤلاء الدعاة الصادقين . أَوَدُّ أن أحذرهم أن ينحدروا إلى الوقوع - بسبب هذه الحرب - في عِرْض شيوخنا ودعاتنا وعلمائنا الرسميين من الأزهر ومن الأوقاف ، احذروا هذا ... لأن الحرب معلنة على كل الدعاة الصادقين من الرسميين وغير الرسميين ، فأنا أعلنها لله : الأزهر سيظل قلعة شامخة في مصر للعلماء الربانيين وللدعاة الصادقين ، فالأزهر يراد له الآن أن يُدَمَّر ، وأن يُحَطَّم ، بل رأينا على صفحات الجرائد من يتطاول على رموز الأزهر علمائه وعلى الشيوخ الأفاضل ممن يقولون قولة الحق في الأزهر والأوقاف .

أُحذِّر شبابنا وطلابنا ألا يقع أحدهم في عِرْضِ واحدٍ من هؤلاء العلماء ، فنحن نُجِلُّ كل علمائنا الصادقين ، ونرحم علماءنا إن ذَلُّوا ، وإن أَخْطأوا وهذا هو منهج أهل السنة .

اعلم يا أخي .. وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني الله وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ... اعلم بأن لحوم العلماء مسمومة ، وأن عادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب .

فنحن لا نقع في علمائنا ونُجلُّ علماءنا في الأزهر والأوقاف ، ونُجلُّ

علماءنا في مصر ، والسعودية ، والأردن ، واليمن ، وفى كل بقاع الأرض .
هذا منهج أهل السنة ، ولكن مع ذلك إذا قال أحدٌ من شيوخنا وكبرائنا قولة تخالف القرآن والسنة ألقينا بقوله عرض الحائط - ونحن نُجلُّه ونُقدِّره - نحن لا نعبد العلماء ، ولا نعبد الشيوخ ، ولا نعبد الدعاة ، بل نعبد الحَيّ الذي لا يموت ، ولكن اعرف الحق تعرف أهله ، فإن الحق لا يُعْرَفُ بالرجال ولكن الرجال هم الذين يُعْرَفُونَ بالحق .

فلو قام رجلٌ من شيوخنا الرسميين وقال قَوْلَةَ حق ، وضعنا قولته على رؤوسنا وفى قلوبنا وفى أعيننا ، وإن قام شيخٌ من شيوخنا وشيوخكم ممن نحبهم وتحبونهم فقال قولة تخالف الحق ضربنا بقولته عرض الحائط ، هذا هو العدل وهذا هو الإنصاف ، وأيضًا لو ارتقى المنبر رجلٌ من الرسميين من الأزهر أو من الأوقاف وهو لا يُحْسِن أن يقرأ الآية قراءة صحيحة ، ولا يُحْسِن النطق بالعربية ، ولا يحسن أن يُفَرِّقَ بين الحديثِ الصحيحِ والضعيفِ والموضوع ، فنحن من العدل والإنصاف أن نقول له : لا .. لا ترتقى منبر رسول الله ﷺ حتى تتعلم ولا حَرَج - وإن حصلت على الماجستير والدكتوراه - أن تجلس بين أَيْدى وأَرْجُل العلماء لتتعلم منهم الناسخ والمنسوخ ، المجمل والمبين ، الدليل ومراتب الدليل ، العام والخاص ، فطلب العلم هو الجلوس بين أيدي العلماء العاملين ومطالعة كتب المصنفين من أهل الحق ، هذا هو منهج السلف في التلقي وسيظل

هذا المنهج هو المنهج الأمثل في التلقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال الشاطبى - رحمه الله - : أنفع الطرق لتحصيل العلم طريقان :

الطريق الأول : هو المشافهة « وهو أن يجلس طالب العلم بين يدي شيخه ومعلمه » فإن الله يفتح بين يدي شيخه ومعلمه ما لا يفتح به عليه دونه .

أما الطريق الثاني : فهو مطالعة كتب المصنفين من أهل العلم ، بشرط أن يكون الطالب فاهما لمصطلحات أهل العلم ، وقال : كان العلم قديمًا في صدور الرجال ثم انتقل إلى بطون الكتب ، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال - أي من العلماء - فلابد من التلقي على أهل العلم .

أَعْلَمُ أهل الأرض بحديث المصطفى هو الشيخ الألباني - رحمه الله - بشهادة إمام أهل السنة - في هذا العصر فيما نعلم - وهو سماحة الشيخ العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - المفتي العام الرسمي للمملكة السعودية . يقول ابن باز في حق الشيخ الألباني : لا نعلم أحدًا هو أعلم بحديث رسول الله ﷺ في الأرض من أبي عبد الرحمن الشيخ الألباني - رحم الله الشيخين - وأنا أسأل : ما وظيفة الألباني ؟ ما شهادات الألباني ؟ ساعاتي !! ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ الألباني لم يحصل على شهادة رسمية .. وأنا أسأل أيضًا : ما شهادة الإمام أحمد ؟ ما شهادة الإمام الشافعي ؟ ما شهادة الإمام مالك ؟ ما شهادة الإمام أبي حنيفة ؟ شهادتهم أنهم طلبوا العلم

على أيدي العلماء الأجِلَّاء ، وأخلصوا لرب الأرض والسماء ، ففتح الله عليهم ، أوليس ربنا هو القائل : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

أولم يقل عبد الله بن مسعود : إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنب يعمله .

أولم يقل الإمام مالك للشافعي : يا شافعي إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا ، فلا تطفئه بظلمة المعصية .

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١]

إن الأمة الآن تمر بمحنة يجب على كل العقلاء أن ينتبهوا إليها .

لماذا يعاب علينا وتُلقى علينا التهم في كل المناسبات ؟!!

نتهم بأننا لا نحدث الناس إِلَّا في الموت ، ونتهم بأننا لا نحدث الناس إِلَّا في النار ، وما الذي يعاب علينا في ذلك ؟!!

أولم يقل نبينا ﷺ « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ »[1] أليس ذلك أمر من النبي ﷺ ؟!.

افتح القرآن من أوله إلى آخره سترى أن كل الأوامر وكل النواهي للترغيب - في النهاية - في الجنة والتحذير من النار قال تعالى : ﴿ حمٓ ۝١

---

(١) رواه الترمذى (٢٣٠٨) في الزهد ، باب ما جاء في ذكر الموت ، والنسائي (٤/ ٤) في الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت ، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٦٨٢) .

تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر : ١ - ٣]

وقال تعالى : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩ - ٥٠]

ورأى النبي ﷺ رجلًا يتضرع في الدعاء ، فقال له المصطفى ﷺ : ((**بِمَاذَا تَدْعُو ؟**)) فقال الرجل : يا رسول الله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ولكني أدعو بدعوتين اثنتين قال المصطفى : ((**مَا هُمَا ؟**)) قال . أقول : اللهم إني أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار . فقال له النبي المصطفى ﷺ : ((**حَوْلَهُمَا أَنَا وَمُعَاذٌ نُدَنْدِنُ**))[1].

ما الذي يعاب علينا إن ذَكَّرْنا الناس بالموت ، في عصرٍ طغت فيه الماديات والشهوات . وهل نحن نحذر من النار ، ولا نبشر بالجنة ؟!!

ما الذي يعاب علينا في ذلك ؟! ثم ما الذي يعاب علينا إن أفتينا بحرمة الاختلاط بدون قيود أو ضوابط ؟! ثم ما الذي يعاب علينا إن حذرنا من التبرج ؟!! وهل نحن لا نتكلم إلَّا في ذلك ؟!!

إننا نؤكد أنه ما من قضية من قضايا الأمة الكبيرة في الخارج أو الداخل إلَّا وتكلمنا فيها نشخص الداء ونحدد الدواء من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ،

---

(١) رواه أبو داود (٧٩٢) في الصلاة وابن ماجة رقم (٩١٠) في إقامة الصلاة ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (٣/ ٤٧٤ ، ٥/ ٧٤) وهو في صحيح الجامع (٣١٦٣) .

في العقيدة تكلمنا فَشَخَّصْنا داء الأمة وحددنا الدواء ، في جانب الأخلاق تكلمنا ، في قضية الخلع تكلمنا ، والزواج العرفي ، والأزمة السكانية ، والأزمة الاقتصادية ، وقضية المخدرات ، قضية القدس ، البوسنة والهرسك ، الأقليات الإسلامية ، الاستنساخ ، عبدة الشيطان ، ما من قضية من القضايا إلا وطرحناها .. إلا وبيناها .. إلا وتكلمنا فيها .

وائتونا بقضية واحدة لم تطرح من قِبَلِ هؤلاء الدعاة الأفاضل الأجلاء ، نريد قليلًا من الإنصاف ، وأود أن أختم هذا العنصر بدرس عملي من دروس الإنصاف فما أحوج الأمة لهذا الإنصاف .

لما عزل أبو بكر ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ﷺ عن قيادة الجبهة في بلاد الشام وولى الصديقُ قيادة الجيش خالد بن الوليد ، أرسل الصديق رسالة إلى أبي عبيدة يقول له فيها « بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكرٍ إلى أبي عبيدة ابن الجراح ، سلام الله عليك ، وبعد .. فإني قد ولَّيت خالد بن الوليد قيادة الجيش في بلاد الشام ، فاسمع له وأطع ، ووالله ما وليته الإمارة إلا لأني ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك ، وأنت عندي يا أبا عبيدة خير منه ، أراد الله بنا وبك خيرًا والسلام » .

يا له من إنصاف وعدل خالد رجل الساعة ، فليتنحَ أبو عبيدة وليتقدم خالد .. هذا هو العدل .. هذا هو الإنصاف .. ويرسل الصديق الأمر ، فيرسل خالد بن الوليد رسالة إلى أمين الأمة إلى أبي عبيدة فيقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى أمين الأمة أبي عبيدة ابن الجراح ، سلام الله عليك وبعد ، فإني قد بلغني أمر خليفة رسول الله ﷺ يأمرني بالسير إلى بلاد الشام للقيام على جندها والتولي بشأنها وأمرها ، ووالله ما طلبت ذلك ، وما أردته ، فأنت مع موطنك الذي أنت فيه يا أبا عبيدة لا نستغني عن مشورتك ولا عن رأيك ، فأنت سيدنا وسيد المسلمين أراد الله بنا وبك خيرًا والسلام .

انظروا إلى عظمة أبي عبيدة وهو قائد الجيوش .. هل قال أبو عبيدة لابد من القيام بانقلاب عسكري على أبي بكر ، وعلى أهل المدينة ، فأنا قائد الجيش ؟!! كلا .. كلا .. هؤلاء لم يعملوا من أجل الكراسي الزائلة ، ولا من أجل المناصب الفانية ، ولا من أجل العهر السياسي ، ولا من أجل الدجل الإعلامي والإعلاني . كلا وإنما تَنَحَّى أبو عبيدة عن القيادة ليصبح جنديا بعد أن كان بالأمس القريب قائدًا مطاعًا إنه العدل .. إنه الإنصاف .

وفي الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال « ... **طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ ، إن كَانَ فِي الحِرَاسَةِ ، كَانَ في الحَرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، وَإِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ** »[1].

يعمل لله تبارك وتعالى لا يعنيه إن كان في الصدارة بين صفوف القادة أو

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٨٨٧) في الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو وبدايته « **تعس عبد الدينار ..** » .

في المؤخرة بين صفوف الجند ، ما دام يعمل ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى .

أيها الأحبة :

ما أحوج الأمة في هذا الظرف الحرج إلى القلوب المتجردة .. إلى العدل والإنصاف ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام :

وأخيرًا : لا تقنطوا .. فالصُّبْح من رَحِمِ الظلماءِ مَسْرَاهُ

أيها الأحبة : مهما انتفخ الباطل وانتفش ، فإنه زاهق ، ومهما انزوى الحق وضعف - كأنه مغلوب - فإنه ظاهر بإذن الله ، هل تُصدِّقُون الله جَلَّ وَعَلَا ؟!

قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١]

وقال ربنا جَـلّ وَعَـلَا : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨]

وقال ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الصف : ٨]

وقال ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣]

وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠]

وقال الصادق المصدوق - الذي لا ينطق عن الهوى - كما في مسند أحمد ومستدرك الحاكم بسندٍ صححه الألباني من حديث تميم الداري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يَعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلاَمَ ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ** »[1].

والبشائر كثيرة بل أنا أؤكد لحضراتكم بأن من أعظم أسباب هذه الهجمة الشرسة على الدعاة الربانيين هو هذه الصحوة المباركة التي بدأت تتنزل الآن في كل آفاق الأرض ، كَتَنزلِ حبات النَّدىَ على الزهرة الظمأى والأرض العطشى .

انظـروا إلى هذا المشهد الذي يُسْعِدُ كل مؤمن ويحـرق قلب كل منـافق

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٣) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٠ ، ٤٣١) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (٣) .

شبابٌ في ريعان الصبي ، وفتيات في عمر الورود . هذه الصحوة هي سر هذه الحرب الشرسة الضروب .. لماذا ؟ لأن جيل الرواد من المفكرين والأدباء تصوروا أنهم بعد كتاباتهم المُرَّة كالحنظل طوال السنوات الماضية وأفلامهم ومسرحياتهم ، ومسلسلاتهم ، وبرامجهم .. إلى آخره .

تصوروا أنهم سيخرجون جيلًا لا يعرف شيئًا عن محمد بن عبد الله ﷺ ، فوجدوا صحوة كريمة من شباب وفتيات في عمر الورود .. وجدوا شبابًا قد ولى ظهره لواشنطن ، وبانكوك ، ومدريد ، وباريس ، وتل أبيب ، ووجه وجهه للقبلة التي ارتضاها الله لحبيبه المصطفى وجدوا كوكبة تبكي وتقول ما قاله السابقون الأولون : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

فجيل الروَّاد يرقص الآن رقصة الموت . لا يعلنون الحرب على الدعاة فحسب ، لا .. ، بل على النصوص الصريحة القرآنية والنبوية بل يعلنون الحرب على رب البرية !! ذلك أن هذه الصحوة تغيظهم . ألا فليعلم هؤلاء وأولئك أن الجولة المقبلة لدين ابن عبد الله .

يصرح معهد الإحصائيات البيوجرافية في فرنسا أنه عام ٢٠٥٠م سيصير الإسلام أكثر الأديان انتشارًا على وجه الأرض .

فالإسلام في ذاته كمنهج ، منهج يتفق مع الفِطَرِ السَّوية ، فالجولة المقبلة في هذه الحرب الضروس لدين المصطفى ﷺ .

فَلَئِنْ عرَفَ التَّارِيخُ أَوْسًا وَخَزْرَجَا ... فَللَّهِ أَوْسٌ قَادِمُـونَ وخَـزْرَجُ
وإنَّ كُنُوزَ الغَيْبِ تُخْفى طَلاَئِعًا ... حُرَّةً ، رَغْمَ المكـائِدِ تُخْـرجُ
صبحٌ تَنَفَّسَ بالضِيَـاءِ وأَشْرَقَ ... والصَّحْوةُ الكُبْرى تَهزُّ الفَيْلَقَ
وشَبِيبةُ الإِسْـلاَمِ هَـذَا فَيْلَقٌ ... في سَـاحَةِ الأَمْجَـادِ يَتْبَعُ فَيْلَقَ
وقَوَافلُ الإِيْمَان تَتَّخِذَ المَدَى دَرْبًا ... وتَصْنَـعُ لِلْمُحيْـطِ الزَّوْرَقَ
وما أَمْرُ هذه الصَّحْوَةِ الكُبْرى ... سِوَى وَعْدٌ مِنَ الله الجليلِ تحققَ
هِيَ نَخْلَةٌ طَابَ الثَّرىَ فَنَمَى له جِذْعٌ ... قَـوِيًّا في التُّـرَابِ وأَعْـزَقَ
هِيَ فِي رِيَاضِ قُلُوبنَـا زَيْتُونَةٌ ... فِي جِذْعِهَا غُصْن الكَرَامَةِ أَوْرَقَ
فَجْرٌ تَدَفَّقَ ، مِنْ سَيَحْبِسُ نُورَهُ ؟ ... أرنِي يَدا سَدَّتْ عَلَيْنَا المَشْرِقَ !
يَا نَهْرُ صَحْوِتِنَا رَأَيْتُكَ صَافِيًا ... وَعَلَى الضِّفَافِ رَأَيْتُ أَزْهَار التقى
قالوا : تَطَرَّفَ جِيلُنا لَمَّا سَمَى قَدْرًا ... وأَعْطَـى للطَّهَـارَةِ مَوْثِقَـا
وَرَمَوْهُ بالإِرْهَابِ حِينَ أَبَى الخَنَا ... وَمَضَى عَلَى دَرْبِ الكَرامَةِ وَارْتَقى
أو كَانَ إرهـابًا جِهَادُ نَبِيِّنَا ؟! ... أم كَانَ حَقًّا بالكتابِ مُصَدِّقَا ؟
أَتَطَـرُّفٌ إِيمانُنَـا باللَّـهِ ؟! ... في عَصْرٍ تَطَرَّفَ فيه الهَوَى وَتَزَنْدَقَ
إِنَّ التَّطَـرُّفَ أَنْ نَـذُمَّ مُحَمَّـدًا ... والمُقْتَدِينَ به ، وأَنْ نَمْدَحَ عفْلَقَ
إِنَّ التَّطَرُّفَ أَنْ تَرَى مِنْ قَوْمِنَـا ... مِن صَانِعِ الكُفْرِ اللَئِيمِ وَأَطْـرقَ
إِنَّ التَّطَـرُّفَ أَنْ نُبَادِلَ كَافِـرًا ... حُبًّـا وتَمْنَحـه الوَلاَءَ مُحَقَّقَـا
إِنَّ التَّطَرُّفَ وَصْمَةٌ في وَجْهِ مَنْ . ... حَـوّلوا البوسْـنَةَ رَمَـادا مُحْرِقَـا

شَتَّانَ بين النَّهْرِ يَعْـذُبُ مَاؤُهُ والبَحْرُ بالمِلْـحِ الأُجَـاجِ تَمَـزَّقَ
فَيَا جِيلَ صَحْوَتِنَا أعيذُكَ أَنْ أَرَى فِي الصَّفِّ مِنْ بَعْدِ الإِخاءِ تَمَزُّقَا
لَكَ في كتاب الله فَجْرٌ صَادِقٌ فاتْبَعْ هُدَاهُ ، ودَعْكَ مِمَّنْ فَرَّقَا
لَكَ في رَسُوْلِكَ أُسْوةٌ فَهُوَ الذي بالصِّدْقِ والخُلُقِ الرَّفِيعِ تَخَلَّقَ
يَا جِيلَ صَحْوَتِنَا سَتَبْقَى شَامِخًا ولَسَوْفَ تَبْقَى باتْبَاعِكَ أَسْمَقَا

اللهم أنت غياثنا فبك نُغَوِّثُ ، وأنت عياذنا فبك نعوذ ، وأنت ملاذنا فبك نلوذ .. يا منقذ الغرقى .. ويا منجى الهلكى .. ويا سامع كل نجوى .. **اللهم** احفظ إخواننا الدعاة ، **اللهم** احفظ مشايخنا من الدعاة الربانيين والدعاة والعلماء الصادقين ، **اللهم** احفظ مصر من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، واشفِ صدور قومٍ مؤمنين بنصرة الإسلام وعز الموحدين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل منا ولا بيننا شقيًّا ولا محرومًا . **اللهم** اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى . **اللهم** اقبلنا وتقبل منا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأٍ أو زللٍ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وأقم الصلاة .

الأمن والأمان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وزكى الله هذه الأنفس ، وشرح الله هذه الصـدور ، وأسأل الله - جَلَّ وَعَلَا - أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال ، وأن يجمعني وإياكم في الدنيا دائمًا وأبدًا على طاعته ، وفي الآخرة مع سيد النبيين في جنته ومستقر رحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله .

إن العالم اليوم محروم من الأمن والأمان ، رغم هذه الوسائل الأمنية المذهلة التي يُخْترع منها كل يوم الجديد والجديد ، ورغم هذا التخطيط الهائل المبني على الأُسس العلمية والنفسية لمحاربة الجريمة - بالرغم من هذا كله - فإن العالم بِأَسْرِه مازال محرومًا من الأمن والأمان .

وإن الملايين من البشر في عالمنا اليوم ، يعيشون في حالة من الرعب والفزع !! والذعر والخوف والقلق !! بل وينتظرون الموت في كل لحظة من لحظات حياتهم لما يرونه من إبادة للجنس البشري ، ولما يرونه من رُخْصٍ شديد للدم البشري بل لقد تحولت هذه الوسائل الأمنية ذاتها - من رؤوس نووية وطائرات وقنابل وصواريخ - والتي اخْتُرِعَت وابتكرت لحماية العالم وأمنه واستقراره تحولت هذه الوسائل إلى مصادر رعب ، وفزع ، وهلاك ، وخوف ، واضطراب !! وتعالت الأصوات .. وصرخ المفكرون ،

والباحثون ، والأدباء ، والسياسيون هنا وهناك ، لنَزع هذه الرؤوس ، وتقليص هذه الوسائل هنا أو هناك .

وبالرغم من هذا كله أقول : لازالت الملايين من البشر في عالمنا اليوم تعيش حالة من القلق ، والفزع ، والخوف ، والاضطراب !!

وهكذا أيها الأحبة حُرِمَ العَالَمُ اليومَ من الأمن والأمان - على كثرة هيئاته ومنظماته ، وقوانينه ، ومواثيقه - حُرِمَ - بعد هذا كله - من نعمة الأمن والأمان ، بل - ووالله - لا أكون مغاليًا إن قلت : أصبح الإنسان - في عالمنا اليوم - يفعل بأخيه الإنسان ما تخذل الوحوش أن تأتيه في عالم الغابات .

إن العالم الآن - بعد أن حُرِمَ من الأمن والأمان - نراه قد حُرِمَ من الرخاء الاقتصادي على الرغم من كثرة الأسواق ، والأموال ، والبنوك ، والتجارات .. على الرغم من دخول التقنيات الحديثة في كل مجالات الاقتصاد !!.. ولازالت الملايين من البشر في عالمنا المنكوب تبحث عن لقمة الخبز فلا تجدها !!.. ولازالت الملايين من البشر تَبْذُل مَاءَ وجهها للحصول على ثوب تستر عورتها !!.. ولازالت الملايين من البشر تبحث وتبذل نفسها للحصول على المسكن !!.. ومنهم من يموت جوعًا .. ومنهم من يموت عطشًا .. ومنهم من يموت بردًا .. ومنهم من يسكن الجبال ويعيش بين المقابر والأطلال .. فقد حُرِمَ العالم من الرخاء والسعة !!

حُرِمَ العالم – اليوم – من الطمأنينة النفسية ، والسعادة القلبية ، وانشراح الصدر بعد الأمن والأمان وبعد السعة والرخاء !!

أيها الأحباب : إن الإنسان إن لم يتوفر له الطمأنينة النفسية ، والسعادة القلبية وانشراح الصدر ، لا يستلذ بعيش وإن كان غنيا .. ولا يهنأ بثوب وإن كان فاخرًا .. ولا يهنأ بمركب ولو كان فارهًا .. هذه فِطْرَة الله – جَلَّ وَعَلَا – التي فَطَرَ الناسَ عليها ، فلا تظن أن هذا المال .. وهذا المتاع .. وهذا الجاه .. وهذه الشهرة .. وهذه المناصب .. تعيد للنفس طمأنينتها ، وتعيد للقلب انشراحه ، أو تعيد للإنسان السعادة – وإن كان هذا جزء قليل من أجزاء السعادة لا أنكره – إلا أن راحة القلب ، وانشراح الصدر ، وطمأنينة النفس ، لا تتحقق بمثل هذا ، وإنما لابد لها من دواء آخر .

أيها الأحباب :

إن الحرمان الأمني ، والاقتصادي ، والنفسي – الذي يعيشه العالم اليوم – وصفه الله جَلَّ وَعَلَا في القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾

[طه : ١٢٣ - ١٢٧]

هذا والله - الذي لا إله إلا هو - هو الضنك الذي وصفه ربنا جَلَّ وَعَلَا في القرآن آنفًا ، ووصفه من لا ينطق عن الهوى ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم في المستدرك ، وابن ماجه في السنن ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ التِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمِ الذينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزان ، إِلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المَؤُنَةِ وجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ولَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وعَهْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، ومَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إِلَّا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بيْنَهُمْ** »[1].

يقول النبي ﷺ : « **لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ التِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِم** » من منا بالأمس القريب كان يسمع عن الإيدز ؟! من منا كان يسمع عن الأزمة القلبية ؟! من منا

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٠١٩) في الفتن ، باب العقوبات ،وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٠) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٠) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦) وصحيح الجامع (٧٩٧٨)

بالأمس القريب كان يسمع عن جلطة المخ ؟! من منا بالأمس القريب كان يسمع عن الزهري والسيلان والفشل الكلوي ؟! من منا كان يسمع عن مثل هذا وذاك ؟! « **ولَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المؤُنَةِ وجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ** » .

والله ما نقص المكيال والميزان فحسب ، ولو نقص المكيال والميزان فقط لكان الأمر هينًا ، بل لقد انقلبت الموازين بأثرها واضطربت المقاييس كلها .

« **ولَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ولَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا** » والله لقد تحايلنا على الزكاة ومنعنا الصدقات - إلا من رحم الله جَلَّ وَعَلا - وهذا المطر الذي يتنـزل بعد هذا كله إنما هو رحمة من الله لأجل البهائم ، والشيوخ الركع ، والأطفال الرضع ، ووالله لو نزل بلاء بهذه الأرض ، فإن الحشرات والهوام يلعنان بني آدم لأنه لا ينْزل البلاء إِلَّا بذنب ، ولا يرفع البلاء إلا بتوبة ، ومن أخبار بني إسرائيل التي لا تصدق ولا تكذب قال ﷺ : « ... **وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ** »[1] .

ذكر الحافظ ابن كثير أنه على عهد سليمان - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - أجدبت الأرض ، وجف الضرع ، وهلك الناس ، فقال سليمان لبني إسرائيل : هيا بنا لنخرج إلى صلاة الاستسقاء ، ونتضرع إلى الله

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٤٦١) في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، والترمذي (٢٦٧١) في العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بنى إسرائيل .

- جَلَّ وَعَلَا - لينْزل علينا المطر ، وفي طريقٍ مَرَّ على وادي النمل ، فنظر سليمان وسمع نملة تناجي ربها - جَلَّ وَعَلَا - وهو الذي فك الله له رموز لغة النمل والطير كما قال الله ﷻ حكاية عنه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٨ - ١٩]

عرف سليمان لغة النمل فاستمع إليها وهي تقول : اللهم إنك تعلم أنه لا ينْزل البلاء إلا بذنب ، ولا يرفع البلاء إلا بتوبة ، ونحن خلق من خلقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم .

« **وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَـدُوا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ** » .

أيها المسلمون : لقد نقضنا العهود - إلا ما رحم ربك - وعدنا لا نحترم المواثيق ، فما الذي حدث ؟! ، سُلبت أرضنا ، وضاعت أملاكنا ، وأصبحت الأمة أسيرة في أيدي أبناء القردة والخنازير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله « **وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكتَابِ الله ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ** » بأبي هو وأمي ﷺ هاهو الضنك .. وذلكم هو الشقاء .. ذاك هو الهلاك الذي وصفه النبي ﷺ ، حينما يُعْرِض الناس في كل زمان ومكان عن منهج الله جَلَّ وَعَلا .

هكذا أيها الأحبة حرمان أمنى .. وحرمان اقتصادي .. ضيق في الصدر ضنك بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ .. ضَنْكٌ وشقاء .. ولا أكون مبالغًا إذا قلت : أنه ما من يوم إلا وتُسْفَكُ فيه دماء .. وتَتَمَزَّقُ فيه أَشْلاَء وتُحْرَقُ بيوت .. وتدمر مصانع ومدارس ومزارع وصوامع .. بل وتباد حضارات بأكملها على أيدي هذا الإنسان الذي اخترع بنفسه وبيديه وسائل إبادته ووسائل فنائه ، ووسائل تدميره في هذه الحياة !!

إنه الضنك بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤]

نتيجة عادلة .. وجزاء عادل !!

أحبتي في الله :

احفظوا عنى هذه العبارات وانقلوها ورددوها ألا وهي :-

إن هذه الحياة البشرية من صنع الله : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ .

ولن تُفْتَح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ، ولن تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي سيقدم إليها من يد الله .

إن البشرية - بكل ما تملك من حضارات ، ووسائل تقنية حديثة - لتبدو تافهة القيمة مبتورة الهدف معدومة النفع إن لم تكن مرتبطة بمنشئها الأول وقدوسها الأجل الأعظم .

أيها الأحبة الكرام : لابد من عودة العالم إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، وسيظل العالم كله بصفة عامة ، والإسلامي منه بصفة خاصة يمشي في هذه الهاجرة ، ويلفح وجهه هذا الحر القاتل ، وسيظل يمشي في هذا التيه والظلام ، وسيظل يمشي ويمر بهذا القلق ، والضيق ، والضنك ، والذُّعر ، ما لم يرجع إلى منهج الله – جَلَّ وَعَلَا – مرة أخرى ، لأن العالم الإسلامي فضلًا عن العالم الشرقي والغربي قد أعرض عن منهج الله ، وأعرض عن ذكر الله ﷻ إلَّا من رحم الله – تبارك وتعالى – أين العالم من قول الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ؟!!

أين القرآن في بيوتنا وفى معاملتنا الاقتصادية ، وفي أحكامنا ، وفي مصانعنا وفي مزارعنا ؟!! بل أين أخلاق الإسلام بين المسلمين ؟!!

والله لقد اتصلت عليّ أخت كريمة فاضلة من مدينة رابغ بالمملكة السعودية وهي تبكي وتصرخ وتتألم لما رأته من أحوال المسلمين في الحج ، وفي الطواف حول البيت تقول الأخت : معذرة ليس هذا طواف ، ولكنه قتال .. نزال .. صراع .. القوى يفتك بالضعيف .. الرجل لا يراعي للمرأة حرمة .. ولا يراعي لها حجابًا .. إن المرأة التي صرخت يوم أن كُشِفَتْ عورتها فقالت : واإسلاماه فماذا كانت النتيجة ؟ جيوش جرارة أَجْلَت هؤلاء اليهود من المدينة ، ولكن المسلمة في بيت الله نُزِع حجابها على أيدي لا أقول اليهود !! .. كلا وإنما على أيدي إخوانها من المسلمين وإنا لله وإنا إليه راجعون !!!

تقول : والله يا شيخ ، ونحن نطوف كانت معنا أخت فاجأتها غيبوبة ونظرنا نبحث لها عن قطرة ماء ، فنظرنا فوجدنا امرأة في الطواف تحمل إبريقًا من الماء البارد .. فحمدت الله ﷻ أن كان الماء قريبًا منا ، وذهبنا مسرعين إليها وقلنا نريد قليلًا من الماء .. أختك تموت !! تقول : والله لقد أبت هذه المرأة المسلمة أن تعطينا قطرة ماء حول بيت الله الحرام !!!

رحم الله أيامًا مَرَّتْ جُرْعَةُ الماء على الأطهار ، الأبرار ، الأخيار ، فكان كل واحد يؤثر أخاه على نفسه ، ومرت جرعة الماء على الجميع حتى عادت مرة أخرى إلى الأول وكان الكل قد سعد بالشهادة ، وبجنة عرضها السماوات والأرض ، أين نحن من هؤلاء ؟! أين أخلاق الإسلام ؟!

إن الإسلام خُلُقٌ .. الإسلام واقع ومنهج حياة .. الدين المعاملة .. فأين إسلامنا العظيم ؟! أين الرحمة ؟! أين الحب ؟! أين السماحة ؟! أين الوُدُّ ؟! أين قوله ﷺ « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** »[1] ؟!

أين قوله ﷺ « **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمكُم مَنْ فِي السَّمَاءِ** »[1] . أين قوله ﷺ : « **الرحَمَاءُ يَرْحَمهُم الرَّحْمَن** » أين قوله ﷺ : « **مَثَلُ**

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٣) في الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومسلم رقم (٤٥) في الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمـان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من خصال الخير .

الْمُؤمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وتَرَاحُمِهِمْ ، وتَعَاطُفِهِمْ كَمَثِلَ الجَسَدِ الوَاحِدِ »[٢] أين هذا الجسد الواحد ؟!!

لقد أصبح المسلم ينهش في هذا الجسد ، وإن استطاع أن يأكله لأكله بل ووالله إنا لنأكله في الليل والنهار وهو ميت كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢]

إن العالم الإسلامي سيظل يعيش في هذا القلق والضنك بعيدًا عن منهج الله - جَلَّ وَعَلَا - وإن أراد السعادة والسيادة ليرجع إلى أصل عزه ، ومصدر شرفه وفخره وكرامته ألا وهو الإسلام ، ورضي الله عن الفاروق عمر الذي قال « كنا أذل قومٍ فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله » .

نعم أيها الأحبة لقد حقق منهج الله في الأرض الأمن ، والأمان ، والسعة والرخاء والطمأنينة القلبية ، والسعادة النفسية ، وانشراح الصدور .

لا أقول هذا رجمًا بالغيب .. لأنه واقع .. لأنه تاريخ مفتوح صفحاته لكل من أراد أن يقرأ ، وأن يتعرف على الحقائق .. نعم .. تحقق الأمن والأمان

---

(١) رواه الترمذي رقم : (١٩٢٥) في البر والصلة ، باب في رحمة الناس ، وأبو داود (٤٩٤١) في الأدب باب في الرحمة وهو في صحيح الجامع رقم : (٣٥٢٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٠١١) في الأدب باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم واللفظ له رقم (٢٥٨٦) في البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

لا أقول للمسلمين الذين نفذوا منهج الله ، وإنما أقول لليهود والنصارى الذين عاشوا تحت ظلال منهج الله في أي بقعة من أرض الله جَلَّ وَعَلا .

نعم .. ذلكم هو اليهودي - وكلكم جميعًا يعلم القصة وغيرها كثير وكثير - اليهودي الذي سرق درع عليّ ، وعليّ حينئذ كان خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، ولما رأى عليّ الدرع عند اليهودي قال : هذا درعي لا أتركه فقال اليهودي : بل هو درعي !!

أتدرون ماذا حدث ؟! مَثُلَ عليّ - أمير المؤمنين وخليفة المسلمين - مع اليهودي أمام قاضي المسلمين ، وقف في ساحة القضاء أمام شريح - رحمه الله رحمة واسعة - ولما دخل عليّ مع اليهودي أمام شريح فنادى شريح على عليّ قائلًا يا أبا الحسن ، فغضب عليّ فظن شريح سوءًا قال : ما الذي أغضبك ؟ فقال عليّ : يا شريح أما وقد كنيتني - أي ناديت عليَّ بكنيتي - وقلت : يا أبا الحسن ، فلقد كان من واجبك أن تُكَنِّي اليهودي هو الآخر . ما هذا الخلق ؟! وما هذا الدين العظيم ؟! ومَثُلَ عليّ واليهودي أمام شريح ، فنظر شريح إلى عليّ وقال : يا عليّ ما قضيتك ؟ قال : الدرع درعي ، ولم أبع ولم أهب ، فنظر شريح إلى اليهودي فقال : ما تقول في كلام عليّ ؟!

فقال اليهودي : الدرع درعي وليس أمير المؤمنين عندي بكاذب !!

فنظر شريح إلى عليّ وقال : هل عندك من بَيِّنة ؟ فالبينة على من ادعى واليمين على من أنكر . قال : لا ، وكان شريح رائعًا بقدر ما كان أمير

المؤمنين عظيمًا ، وقضى شريح بالدرع لليهودى ، وأخذ اليهودي الدرع وخرج ومضى غير قليل . ثم عاد مرة أخرى ليقف أمام عليّ وأمام القاضي وهو يقول : ما هذا الدين وما أروعه ؟! أمير المؤمنين يقف أمامي خصمًا أمام قاضي من قضاة المسلمين ، ويحكم القاضي بالدرع لي ، والله .. ليست هذه أخلاق بشر ، إنما هي أخلاق أنبياء ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فَسَعِدَ عليّ ، وقال اليهودي : يا أمير المؤمنين .. الدرع درعك ، فقد سقطت منك ، فأخذتها ، فنظر عليّ مبتسمًا وقال : أما وقد شرح الله صدرك للإسلام فالدرع مني هدية لك ، هذا الأمن والأمان لمن ؟! لأبناء يهود تحت ظلال الإسلام الوارفة .

هذا يهودي ، وذاك قبطي الذي سبَّه ابن عمرو بن العاص في مصر ، فغضب ابن والي مصر كيف يسبقه القبطي وجاء بعصا ، وضرب هذا القبطي في رأسه ، وقال خذها ، وأنا ابن الأكرمين ، وما كان من هذا القبطي الذي عرف عظمة الإسلام إلا أن يسابق الريح إلى واحة العدل ، إلى المدينة المنورة - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا - إلى أمير المؤمنين ، إلى فاروق الأمة عمر بن الخطاب ﷺ ، ويرفع له الشكوى ، فما كان من عمر إلا أن يرسل فورًا بأن يأتي عمرو مع ابنه ، لأن ابنه ما تجرأ على فعلته إلا لوجود أبيه في الولاية ، ويأتي عمرو بن العاص من مصر مع ولده ، ويقفان أمام أمير المؤمنين عمر ﷺ ويقف القبطي ، ويرفع عمر العصا للقبطي ويقول

له : اضرب ابن الأكرمين – اقتص – هذا هو العدل في الإسلام !! هذه هي عظمة دين محمد ﷺ !! ويأخذ القبطي العصا ، ويضرب رأس ابن عمرو ، وهنا ينظر الفاروق عمر إلى عمرو ، ويقول قولته الخالدة الشهيرة التي لا أقول تكتب بمداد الذهب وإنها تكتب بمداد من النور : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟!!

بالله .. ما أروعه .. وما أتقاه .. وما أنقاه !! وبالله ما أعظم إسلامنا !!

ويوم أن فتح أبو عبيدة بن الجراح بلاد الشام وفرض عليهم الجزية شريطة أن يدافع عنهم ، وأن يحميهم من حرب الروم على أيدي هرقل ، ويوم أن سمع أبو عبيدة ﷺ بأن هرقل قد جهز له جيشًا جرارًا خاف أن لا يستطيع أن يدافع عن هؤلاء الذين أخذ منهم الجزية فرد عليهم الجزية مرة أخرى ، وقال : لقد سمعتم بهرقل أنه قد جهز لنا جيشًا ، ونخشى أن لا نتمكن من الدفاع عنكم مرة أخرى .

هذا منهج الله .. يحقق الأمن والأمان في أرض الله لا للمسلمين فحسب ، وإنها لليهود وللنصارى الذين عاشوا في ظلاله الوارفة اليانعة .

نريد أن تتضح الحقائق للذين يخافون من دين الله ﷻ ، الذي وفر لهم الأمن والأمان أكثر مما وفرته له دياناتهم وقوانينهم ومواثيقهم .

ومنهج الله قد حقق ثانيًا الرخاء الاقتصادي ، والله لقد جاء اليوم الذي أرسل فيه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز مناديًا ينادي في الناس من كان

فقيرًا فحاجته من بيت مال المسلمين ، فَأَمِنَ الفقراء ، وظَلَّتْ البَرَكَةُ بَارِكَةً فِي بَيْتِ المَالِ .

رحم الله زمانًا كانت حبة القمح فيه بمقدار نواة التمرة ، وكُتِبَ عليها هذا يوم أن كانت بركة الله في الأرض ، كما قال عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند : حبة القمح بمقدار نواة التمر يوم أن كانت البركة في الأرض .

ونادى المنادي مرة أخرى : من كان عليه دينٌ ، فسداد دينه من بيت مال المسلمين ، وسدَّتْ الديون ، وبقيت البركة باركة في بيت المال !!

وراح المنادي مرة ثالثة : يا معشر الشباب من أراد منكم الزواج ، فزواجه من بيت مال المسلمين ، فزوج الشباب !!

فقد حقق منهج الله الرخاء في الأرض ، ألسنا على يقين بقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦]

ألسنا على يقينٍ بقول الله ﷻ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح : ١٠ - ١١]

ذلكم وعد الله ﷻ لقد حقق منهج الله تبارك وتعالى الطمأنينة النفسية والسعادة القلبية ، وهذا ما نعلق عليه بإيجاز بعد جلسة الاستراحة . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وسلم .

أيها الأحبة ..

لا سعادة ، ولا فلاح ، ولا نجاحَ إلا بالعودة مرة أخرى إلى منهج الله كما أراد الله - جَلَّ وَعَلَا - وكما أراد رسول الله ﷺ ، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان فحسب ، ولكن الإيمان حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة كبيرة ذات أعباء ، ومسئولية عظمى ذات مقتضيات ، ورحم الله الحسن حين قال :

ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال ، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبِلَ منه ، ومن قال خيرًا وعمل شرا لم يقبل منه .

إننا في أمس الحاجة إلى أن نُحَوِّلَ إسلامنا إلى واقع ، وإلى عمل ، وأُذَكِّر نفسي وإياكم وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يشرفنا وإياكم بالعمل لهذا الدين ، وأن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين .

.... الدعـــاء

الخلوة والاختلاط

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

إن الإسلام منهج حياة متكامل ، لا يقوم على العقوبة ابتداءً ، وإنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة الطاهرة ، ثم يعاقب بعد ذلك من ترك هذه الأسباب الميسرة ، وذهب ليتمرغ في الوحل ، والطين ، والتراب ، طائعًا مختارًا غير مضطر .

إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع طاهر نظيف ، لا تستثار فيه الدوافع والشهوات الكامنة ، لذا فقد وضع مثل هذه الضمانات ، والضوابط ، والقيود .

إن الإسلام العظيم إنما هو تشريع الذي يعلم من خلق :

﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤]

إنه دين الله جَلَّ وَعَلَا وشرع النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام .

أيها الأحبة في الله ..

ومن أعظم الضمانات الوقائية التي وضعها الإسلام سياجًا واقيًا للمرأة المسلمة أولا ، ولأفراد المجتمع الإسلامي ثانيًا ، أن حرَّم الخلوة بين المرأة الأجنبية والرجل الأجنبي ، حرَّم الاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء ، لأن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين النفسي ؛ لأن الله قد أناط به امتداد الحياة على ظهر الأرض ، لذا فهو ميل

دائم لا ينقطع ولا ينتهي ، والمرأة بطبيعتها فُطرت على الأنوثة والجمال ، وحب الزينة ، ليتم الانسجام بينها وبين زوجها كما أراد الله .

والإسلام لا يتنكر لتلك الفطرة التي فُطِرت عليها المرأة ، ولم يعاكسها الإسلام في أنوثتها وحبها للزينة والجمال ، ولكن الإسلام أحاطها بسياج من الوقاية لا كما يقول زعماء وعبيد المَدَنِيَّة السوداء : أنكم تخافون على نسائكم أكثر من خوف الغرب الملحد والكافر على نسائه ، نقول ليس كذلك يا دعاة الغربية والمدنية - تحت ستار التحرر والتطور الأسود - وإنما لأن المرأة في الإسلام هي دُرَّة مصونة ، ولؤلؤة مكنونة ، لا يريد الإسلام لها أن تعبث بها الأيدي الآثمة ، ولا تمتد إليها النظرات السامَّة .

فهي الأم ، والأخت ، والزوجة ، والابنة ، والعمة ، والخالة ، فهي في غاية من الصَّوْنِ والحفظ والعفاف . الإسلام ما أحاط المسلمة بهذه الضمانات إلا حماية لها وحرصًا عليها ابتداءً ، ولأفراد مجتمعها المسلم الذي تعيش فيه انتهاءً ، فالخلوة مُحَرَّمَة بين الرجال والنساء ، والاختلاط مُحَرَّمٌ في دين الله جَّلَ وَعَلَا ونظرًا لأن هذا الموضوع طويل أيها الأحبة ، فسوف أركز الحديث في عدة عناصر :

أولًا : خطورة الخلوة بالمرأة الأجنبية ، والأدلة على تحريمها .

ثانيًا : صور من الخلوة المحرمة شرعًا .

ثالثًا : مأساة من الواقع ، وعظة من القرآن .

رابعًا : خطورة الاختلاط ، والأدلة على تحريمه .

خامسًا : صور من الاختلاط المحرم شرعًا .

سادسًا : مأساة من الواقع وصورة مشرقة من القرآن .

سابعًا : هل من مُدَّكِرْ ؟!! .

فأعيروني القلوب والأسماع أيها الأحبة في الله .

أولاً : خطورة الخلوة بالمرأة الأجنبية والأدلة على تحريمها

الخلوة هي : أن ينفرد الرجل بامرأة أجنبية عنه ، في غيبة عن أعين الناس . هذه خلوة محرمة في دين الله ، ولو كانت بين أصلح الرجال وأتقى النساء ، فهي حرام في دين الله ﷻ والأدلة على تحريمها كثيرة : ففي البخاري ومسلم من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال عليه الصلاة والسلام « **لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ ، ولاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إلا ومَعَهَا مَحْرَمٌ** » فقام رَجُلٌ فقال : يا رسول الله إن امرأتي خرجت حَاجَّة . وإني أُكْتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا قال : « **اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ** »[1] هل تفلسف هذا الرجل وقال : يا رسول الله .. كيف أدع الجهاد في سبيل الله وأذهب لمرافقة زوجتي ؟ أنا أثق في أخلاقها يا رسول الله !! أنا لا أشك في تربيتها يا رسول الله !! كيف تأمرني بهذا : فهي بنت بيت التُّقَى ، والوَرَع ، والدين ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٠٠٦) في الجهاد والسير ، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة ، ومسلم رقم (١٣١١) في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم في الحج وغيره .

والالتزام ؟!! كلا .. كلا .. فإن المرأة هي المرأة وإن الرجل هو الرجل ، والمرأة تضعف أمام شهوتها وغريزتها ، ولو كانت ذات شرف ، ومنصب ، وجمال ، إلا مَنْ عصم الكبير المتعال جَّلَ وَعَلَا .

هذه هي مكانتك عندنا أيتها الأخت الكريمة الفاضلة ، هذه هي مكانتك عندنا أيتها المسلمة الكريمة .. أنت دُرَّتنَا المصونة .. أنت لؤلؤتنا المكنونة ، التي حرص الإسلام على ألا تمتد إليك الأيدي العابثة ، ولا أن تلوثك النظرات الآثمة .. بل أنت مُكَرَّمَة في دين الله ، وعزيزة في شرع رسول الله ﷺ .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده و الترمذي في سننه وقال حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم في المستدرك وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الإمام الذهبي من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامرأَةٍ لاَ تَحِلُّ له ، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ** »[1]

وفي مسند الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه ﷺ قال : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآَخِرِ فَلاَ يَخْلُوَنَّ بامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ** » ، إن الشيطان شريك في هذا اللقاء ، فيزين المرأة للرجل ولو كانت دميمة ، وسيزين الرجل للمرأة ولو كان قبيحًا ،

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٦٦) في الفتن وأخرجه أحمد في المسند (٣ / ٤٤٦) ، وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك (١/ ١١٥) من حديث عمر بن الخطاب وصححه الألباني في الصحيحة (٤٣٠) .

وكثيرًا ما نرى رجلًا قد أعطاه الله امرأةً حسناء جميلة ، على خلق ، وذات دين ، وتراه قد ترك هذا الحسن وهذا الجمال الحلال ، وذهب إلى امرأة قبيحة دميمة لا دين لها ولا خلق ليفعل بها الفاحشة !! ما هذا ؟! إنه التزيين .. إن الشيطان قد زينها له وزينه لها .

كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي وقال : حديث حسن غريب قال ﷺ : « **إِذَا خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ** » إذا خرجت المرأة على غير شرع الله ، وعلى غير الضوابط التي وضعها رسول الله ﷺ يستشرفها الشيطان ، يزينها في قلوب الرجال ويزين الرجال في قلبها ، وربما تكون المرأة تقية نقية طاهرة وخرجت لحاجة من حوائجها الضرورية إلا أن الشيطان لا يدعها وإنما يزينها للرجال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !!

فما ظنك بعد ذلك بامرأة متبرجة متعطرة متزينة ، ولذا حذر النبي ﷺ تحذيرًا صريحًا واضحًا كما في حديث البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : « **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحَمْوَ ؟ ، فقال ﷺ : « **الحَمْوُ المَوْتُ** »[١] وزاد مسلم قال الليث : الحمو أخو الزوج وأقاربه . إذا دخل

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٢٣٢) في النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ، ومسلم رقم (٢١٧٢) في السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية .

أخوك على زوجتك فخلا بها فهي خلوة محرمة في دين الله ، سترى كثيرًا من الناس يعجبون لهذا الكلام ويقولون : ما هذا التطرف الذي أنتم فيه ؟! وهؤلاء نقول لهم : هذا كلام رسول الله ﷺ ، ونسألكم هل أنتم أعلم بالناس من رب الناس ؟! هل أنتم أعلم بطبائع البشر ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ ؟!

الحمو هو : أخوك وأقاربك ، وأقارب الزوجة من غير المحارم لا يدخلون على زوجتك في غيبتك وإلا فالموت ، وإلا فالهلاك ، وإلا فالدمار بموعود رسول الله ﷺ .

ربما لا تقع المعصية من أول مرة ، والشيطان له خطوات ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إن له مداخل يا عباد الله .

وهذا يجرنا إلى العنصر الثاني من عناصر هذا اللقاء ألا وهو :

مأساة من الواقع

وهذه مأساة طالعتنا بها جرائدنا التي راحت هي الأخرى تنم عن نفسها بمنتهى الصراحة والوضوح كوضوح الشمس في رابعة النهار . وسوف ألخص هذه المأساة بقدر ما يسمح به الحياء والمقام ، وتتلخص هذه المأساة في قصة امرأة غاب عنها زوجها ، وترك لها من وسائل الإفساد والفساد ما الله به عليم ، ترك إلتلفاز .. ذلكم الشيطان الذي جثم على الصدور في البيوت والقلوب ، ودخل عقر دور المسلمين برغبتهم ولا

حول ولا قوة إلا بالله ، يبث الرذيلة بثًّا ، ويدمر الأخلاق تدميرًا على مرأى ومسمع منا ، هذه المرأة كان لبناتها غرفة خاصة بهن وضعت بداخلها التلفاز والفيديو ، وبعد مرور الزمان ومضى الأيام ، دخل البنات بشريط جنسي - والعياذ بالله - ليشاهدنه في غرفتهن الخاصة وأصبح الأمر عاديًّا لدى البنات بعد ذلك والأب غائب ، والأم مشغولة لا تدري عن حال بناتها شيئًا ، ودخل عم البنات يومًا عليهن في البيت وكان يدخل كعادته بغير ضوابط ، وبدون قيود وبدون شروط ، أمر عادي إنه عم البنات .. إنه أخ الزوج فماذا في ذلك ؟! .

دخل العم إلى غرفة البنات وهو لا يعلم شيئًا ، وبتلقائية وضع يده على زر التشغيل في جهاز الفيديو اللعين ليقضي بعد الوقت حتى يرجع البنات ، وإذ به يرى الفاجعة الكبرى يرى الشريط الذي نُسي في هذا الجهاز ، ويضعف هذا الرجل أمام هذه المناظر التي تحول العُبَّاد الزهاد إلى فساق فجار . يضعف ويجلس ليرى ، وتدخل عليه زوجة أخيه بكأس من الشاي أعدته له فترى المرأة ما يُحَوِّل التَّقَيات الطاهرات إلى فاسقات ماجنات ، وباختصار بقدر ما يسمح به الحياء والمقام أوقع الشيطان بينهما وزنا بها ، وتكرر هذا الأمر مرات ومرات ، والمؤلم في هذه المأساة يا عباد الله أن المرأة تقول : إن ذلك أصبح أمرًا عاديًّا ، وأرسلت هذه المرأة رسالة إلى أهل الفتوى من العلماء والدعاة تقول : إن ما يزعجني في هذه الأيام أنني

حامل من أخ الزوج .. فماذا أصنع ؟! إنا لله وإنا إليه راجعون !!

هذه ثمرة حنظل مرة من ثمرات البعد عن كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ ، يوم أن عاند الناس شرع ربهم وشرع نبيهم .. هذه هي الثمار يا عباد الله .

الرسول ﷺ حَذَّرَ تحذيرًا صريحًا فقال : « **الحَمْوُ المَوْتُ** » فأَبَيْتَ إلا أن تعاند أمر رسول الله ﷺ وقلت : أنا أثق في أخلاق زوجتي ، ولا أشك في تربيتها وأثق في أخلاق أخي ، ولا أشك في تربيته !!

هذا يا عبد الله .. لا ننكره ، ولكن المرأة تضعف أمام شهوتها ، وكذلك الرجل إلا مَنْ عصم الله جَلَّ وَعَلَا ، وإلا مَنْ رحم الله جَلَّ وَعَلَا وهذا يجرنا للحديث عن العنصر الثالث من عناصر اللقاء ألا وهو :

صور من الخلوة المحرمة شرعًا

أولًا : من صور الخلوة المحرمة .

أن تفتح المرأة بيتها في غياب زوجها أو أحد محارمها إلى أصدقاء زوجها وإلى أقاربها من غير المحارم ، وإلى أقارب الزوج من غير المحارم . وقد لا تقع المصيبة أول مرة ؛ لأن للشيطان خطوات كما قال رب الأرض والسماوات جَلَّ وَعَلَا . فهذه خلوة محرمة في دين الله ﷻ .

ثانيًا : من صور الخلوة المحرمة .

أن يخلو السائق بالمرأة في السيارة في غيبة عن أعين الناس ، وهذا مما ابتلي به كثير من المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وربما كان السائق

شابًّا وسيمًا جميلًا يخلو بالمرأة في سيارة واحدة ، في بعض الطريق ، في غيبة عن أعين الناس ، ولا يعلم طبيعة الحوار الذي يدور في السيارة إلا الذي يسمع ويرى .

ثالثًا : من صور الخلوة المحرمة .

أن يخلو الخطيب بخطيبته بحجة أن يتعرف كل منهما على أخلاق الآخر وبعد ذلك نندم يوم لا ينفع الندم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

رابعًا : من صور الخلوة المحرمة .

أن تذهب المرأة وحدها بغير محرم إلى الطبيب ؛ فيخلو الطبيب بها بحكم عمله ؛ فيكشف جسدها بحكم وظيفته وهي خلوة محرمة في دين الله .

إن اضطرت المرأة إلى الطب فلتذهب إلى طبيبة مسلمة فإن عجزت جاز لها أن تذهب إلى الطبيب مع محرم لها .

ومن أخطر صور الخلوة المحرمة : أن يخلو الخادم في البيت بالمرأة وحدها وأن يخلو الرجل بالخادمة في البيت وحده ، وكم وقع من المآسى والمصائب بسبب ذلك . أن يخلو الخادم بالمرأة . وربما يكون الخادم شابًّا وسيمًا جميلًا وربما يكون الزوج مُسِنًّا ، أو كبيرًا ، أو دميمًا ، أو هاجرًا لفراش زوجته ، فتقع المصيبة ؛ لأن الكلفة ترفع على مدى الأيام والزمان ، والرسول يخبر بأنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

أيها المسلمون : أليست لنا في القرآن عظة ؟!! أليست لنا في القرآن عبرة ؟!

ألم يحكِ القرآن قصة امرأة شريفة عزيزة وجيهة غنية جميلة مع يوسف عليه السلام ! ألم يقص القرآن علينا قصة امرأة عزيز مصر مع خادم لها في البيت . هي من هي ؟ هي في غاية الشرف والجمال والمال والجاه والسلطان ، وهو من هو ؟ هو عبد لها ليس خادمًا فحسب بل هو عبد لها وخادم عندها في بيتها يعيش معها في بيت واحد وتحت سقف واحد . ما الذي جرى ؟ هكذا بإيجاز شديد وبدون مقدمات كما قال الله سبحانه : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ [يوسف : ٢٣]

هكذا بوضوح بصراحة بمنتهى المراوغة المكشوفة الجاهرة ﴿ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ تقول لمن ؟ لشاب في كامل فتوته ، وكامل قوته ، وكامل جماله وشبابه ، بل وغَلَّقَتْ عليهما لا أقول بابًا واحدًا ولكن عدة أبواب ، ولكن يوسف كان قلبه موصولا بالله ﷻ : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أنَّى للقلوب الموصولة بالله أن يؤثر عليها الشيطان . ألم يقل ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢-٨٣]

ولقد حكم الله ليوسف أنه من عباده المخلصين ﴿ ... كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤]

الذي لا تأثير ولا سلطان للشيطان عليهم ، ولكن المرأة العنيدة التي ضعفت أمام شهوتها ، وأمام غريزتها ، لعبد من عبيدها ، ولخادم من

خدامها تنتصر لكبريائها الذي وضعه يوسف في الوحل والطين والتراب ، فينتشر الخبر ويسري كسريان النار في الهشيم ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

[يوسف : ٣٠ - ٣١]

وكأن هذا الإعلان السافر من هؤلاء النسوة قد دفع المرأة لتعترف اعترافًا صريحًا ، وأن تنتصر لكبريائها وشهوتها ، انتصارًا متبجحًا ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف : ٣٢]

وهنا لم يغتر يوسف بعصمته ، وإنما اعترف بعجزه ، وضعف بشريته ، ولجأ إلى الله الحفيظ العليم جَلَّ وَعَلا ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ لم تعد الدعوة من امرأة العزيز وحدها بل أصبحت الدعوة منهن جميعًا ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٣٣] لم يقل كيدها وإنما قال : كَيْدَهُنَّ ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٤] الذي يسمع

ويرى ، ويعلم القلوب التقية النقية ، من القلوب الكاذبة المنافقة ، إنه السميع العليم - سبحانه وتعالى - هذا نموذج وعظة من قرآن الله ومن كتاب الله الذي نقرؤه في الليل والنهار .

أحبتي في الله :

نرجىء ما تبقى من عناصر اللقاء إلى ما بعد الاستراحة ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وآله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة :

رابعًا : خطورة الاختلاط والأدلة على تحريمه

والاختلاط أيها الأحباب هو : اختلاط الرجال بالنساء من غير المحارم في مكان واحد بدون حجب ولا حواجز .

إن الاختلاط - حتى في بيت الله الحرام - خطر جسيم ، وشر عظيم .

لقد قال الله سبحانه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

وقال الله سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾

ولكننا نرى النساء يدافعن ويزاحمن الرجال حتى حول بيت الله الحرام بصورة يندى لها الجبين خجلًا ، ويقشعر لها البدن أسفًا وحزنًا !!

ترى النساء يدافعن الرجال بصورة متبجحة - إلا من رحم الله - جَلَّ وَعَلَا - وهن كثرة ولله الحمد والمنة ، فإن الخير لا ينقطع في هذه الأمة أبدًا إلى قيام الساعة - فإننا نرى نساءً على قمة الحياء والالتزام والورع والدين ، نسأل الله أن يكثر من أمثالهن ، وأن يزيدهن حياءً وشرفًا وعفة.

أيها المسلمون : ألا تعلمون أن الرسول ﷺ قد خصص بابًا في مسجده للنساء حتى لا يختلط النساء بالرجال .

قال نافع : لما خصص النبي ﷺ باب النساء ، قال عبد الله بن عمر : والله لن أدخل منه أبدًا فما دخل منه عبد الله حتى توفاه الله ﷻ.

وهو باب معروف الآن في مسجد رسول الله ﷺ بباب النساء إلى جوار باب جبريل عليه السلام ، وكان ﷺ يأمر الرجال أن يتأخروا وألا ينصرفوا بعد السلام حتى ينصرف النساء ؛ حتى لا يختلط الرجال بالنساء ، وقال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة : « **خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا ، وَشَرُّهَا آخِرُهَا ، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا** »[1] حتى

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٤٤٠) في الصلاة ، باب تسوية الصفوف .

لا يقترب الرجال بالنساء ، ولا يقترب النساء من الرجال ، وكانت المرأة في العهد النبوي المبارك تستحي من الرجال ، لا تدافع الرجال ، ولا تزاحمهم في المساجد والطرقات ، وإنما كانت تطوف حول بيت الله ، بعيدة ، بعيدة عن أعين الرجال ، وعن مدافعة الرجال ، ولما جاءت امرأة - والحديث في البخاري - إلى عائشة - رضي الله عنها - قالت : قومي بنا نستلم الحجر يا أم المؤمنين فقالت : انطلقي .. إليك عني ، وأبت - رضى الله عنها - أن تقوم لتطوف مع هذه المرأة خشية أن تدافع الرجال أو تزاحم الرجال .

كما روى الإمام الشافعي في مسنده جاءت امرأة إلى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقالت : يا أم المؤمنين لقد طفت بالبيت سبعًا ، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثًا . أي قَبَّلَتْ الحَجَرَ مرتين أو ثلاثة .

أتدرون ماذا قالت عائشة ؟ قالت : لا آجرك الله ، تدافعين الرجال أما كبَّرت ومررت ، تدافعين الرجال عند الحجر ؟!!

إن الحياء هو شرف المرأة ، ورأس مالها ، وعظيم بضاعتها ، والحياء والإيمان قرينان إذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر . والرسول ﷺ يقول : « **إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ** »[1] .

(١) السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٦٤) ، آداب الزفاف ص ٣٥ .

إن الحياء خصلة عظيمة من صفات المرأة المسلمة المؤمنة النقية التقية ، فنسأل الله أن يرزقنا ونساءنا الحياء والتقى إنه ولي ذلك ومولاه .

أيها الأحبة :

لقد قالت كاتبة إنجليزية : إن الاختلاط بين الرجال والنساء شيء يألفه الرجال وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا !!

والحمد لله أثبتت الدراسات والإحصائيات كذب وافتراء ما كان يدعيه عبيد المدنية الغربية ، وعبيد التطور والتحرر تحت ستار المدنية الأسود ، كانوا يقولون إن الاختلاط يهذب غريزة الرجل !! إن الاختلاط يخفف من الكبت الجنسي بين الرجل والمرأة !! فعلام هذا الغلو والتطرف ؟!!

مهلًا .. مهلًا .. يا دعاة الاختلاط ارجعوا واقرءوا الدراسات والإحصائيات لتعلموا أن كثرة الاختلاط ! كثرة للجرائم والفواحش والزنا والعياذ بالله .

اتقوا الله يا عباد الله ؛ واعلموا بأنكم موقوفون بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا ، وستسأل بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا عن هذه البنت وعن هذه الزوجة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

ويقول النبي ﷺ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٨٩٣) في الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة .

ومن صور الاختلاط المحرم أيها الأحبة : أن يختلط الرجال بالنساء فيما يسمى بالجلسات العائلية ، وتظهر المرأة فيها على أتم زينة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهذا اختلاط محرم في دين الله .

أيضًا من صور الاختلاط : الاختلاط في دور التعليم وأصبح الأمر واضحًا لكل مسلم ، بأن معظم دور الدراسة والتعليم قد تحولت إلى سباق علني واضح لأرقى الموديلات ، وأحدث الأزياء ، وأرقى العطور ، والبرفانات

ومن صور الاختلاط المحرم : الاختلاط في أماكن العمل ، وهذا ما يغفل عنه كثير من الطيبين والطيبات . الإسلام لا يحرم عمل المرأة إذا اضطرت ، وألجأتها الضرورة إلى ذلك ، لكن بضوابط وشروط وقيود ، ونحن في حاجة أن تعمل المرأة في مواطن الطب لتطبب النساء لا الرجال ، وفي حاجة إلى المعلمة المسلمة لتعلم البنات لا الأولاد والشبان .

وهكذا أيها الأحبة .. أكتفي بهذا القدر ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا وإياكم ، وأن يجعلنا وإياكم ممن : ﴿ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يتقبل منا ، وأن يرزقنا وإياكم الزهد والحياء والإخلاص والتقى والعفاف ، **اللهم** احفظ بناتنا ، **اللهم** احفظ نساءنا .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، **اللهم** مَكِّنْ لدينك يا رب العالمين ،

ربنا إننا مغلوبون فانتصر ، اللهم إنا نشكو إليكَ خيانة الخائنين ، وضعف الموحدين . اللهم ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واغفر ذنبنا ، واستر عيبنا ، وفك أسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا . اللهم تَوَلّ خلاصنا ، اللهم إنا نسألك أن تجعل بلدنا مصر واحةً للأمن والأمانٰ وجميع بلاد المسلمين . اللهم ارفع عن مصر الغلاء والوباء والبلاء وجميع بلاد المسلمين . اللهم ارفع عن مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم لا تجعل لأحدٍ منا في هذا الجمع المبارك ذنبًا إلا غفرته ، ولا مريضًا بيننا إلا شفيته ، ولا دينًا إلا قضيته ، ولا ميتًا إلا رحمته ، ولا عاصيًا إلا هديته ، ولا طائعًا إلا وثبته ، ولا حاجة هي لك رضى ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل منا ولا بيننا شقيًّا ولا محرومًا ، اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى . اللهم اقبلنا وتقبل منا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأٍ أو زللٍ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وأقــم الصــلاة .

بناء المساجد وفضل صلاة الجماعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

« **بناء المساجد وفضل صلاة الجماعة** » هذا هو عنوان لقائنا اليوم مع حضراتكم ، وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا سريعًا فسوف أُركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية :

أولًا : بناء المساجد والتجارة الرابحة .

ثانيًا : فضل السعي إلى المساجد .

ثالثًا : حكم الصلاة في المساجد .

وأخيرًا : دور المسجد في الإسلام .

فأعيروني القلوب والأسماع أيها الخيار جعلني الله وإياكم من ﴿ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولا : بناء المساجد والتجارة الرابحة

إن الدنيا دار ابتلاء .. وبوتقة اختبار .. ودار ممر ، وليست دار مقر .

قال خالقها جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وقال : حسن

صحيح واللفظ له وصحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث أبي كبشة الأنماري ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((**ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنّ وأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ، مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصبَرَ عليها إلا زَادَهُ اللهُ بها عِزًّا ، ولا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ ، إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا بَابَ فَقْرٍ ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عبدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وعِلْمًا فهو يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ ، ويَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، ويَعْرِفُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ ، وعبدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا ولَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بغير عِلْم لاَ يَتَّقى فيه رَبَّهُ ، ولاَ يَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزرُهما سَوَاءٌ**))[1].

أيها الحبيب الكريم :

إن المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، ومالُك الحقيقي هو ما قدمت ، ومال وارثك هو ما أبقيت وما أخرت ، لما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأصحابه : ((**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ**

---

١١) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٦) في الزهد ، باب ما جاء في مثل الدنيا ، وابن ماجه (٤٢٢٨) في الزهد ، ورواه أحمد في المسند (٤ / ٢٣٠ ، ٢٣١) .

مِنْ مَالِهِ ؟ » قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، فقال النبي ﷺ : « **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ** »[1].

لذا ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي وهل لَكَ يا ابنَ آدَمَ من مَالِكَ إلا ما أكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أو تَصَدَّقْتَ فأمضَيْتَ ؟** »[2].

ولما أمر النبي ﷺ عائشة أن تتصدق بالشاة ، وعاد إليها فقال : « **مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟** » قالت : ما بقي إلا كتفها . قال : « **بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا** »[3].

فمالك أيها الحبيب هو ما قدمت لنفسك في هذه الحياة الدنيا ، أما المال الذي تتركه للورثة يتنعمون به ، فليس بمالك حقًّا ، وإنما ستسأل عنه بين يدي الله - جَلَّ وَعَلَا - هم يتنعمون به ، والله يسألك من أين جئت به ؟ وفيما أنفقته ؟! ولذا ورد في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ : فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ ، يَتْبَعُهُ أهلُهُ ، ومالُهُ ، وعملُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، ويَبْقَى عَمَلُهُ** »[4].

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٦٤٤٢) في الرقاق ، باب ما قدم من ماله فهو له .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٥٨) في الزهد ، باب الزهد ، والترمذي (٣٢٥١) في تفسير القرآن ، والنسائي (٦/ ٢٣٨) في الوصايا .

(٣) رواه الترمذي (٢٤٧٠) في صفة القيامة وقال هذا حديث صحيح ، وصححه الألباني في المشكاة (١٩١٩) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥١٤) في الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم رقم (٢٩٦٠) في الزهد والرقاق ، والترمذي (٢٣٨٠) في الزهد .

نعم يرجع الأهل ويُقسم المال على ورثتك ، ولا يدخل معك في قبرك إلا عملك ، ويُنادى عليك بلسان الحال : رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك وللحساب عرضوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، ولم يبق معك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت .

إن أهل العلم والإيمان وأُولُو النُّهَى هم الذين عرفوا حقيقة الدنيا ، وعرفوا حقيقة المال ، وعلموا أن الدنيا مهما عَظُمَتْ فهي حقيرة ، ومهما طالت فهي قصيرة ، وأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر ، وأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر ، وأن الدنيا دار ممر ، وليست دار مقر ، فزرعوا فيها ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وغرسوا فيها ، وزرعوا ، ورغم ذلك كانت في أيديهم لا في قلوبهم ، وهذه هي حقيقة الزهد .

فالزهد أن نعمر هذا الكون فنَزرع ونصنع ونتاجر ، وتبقى الدنيا مع هذا كله في أيدينا - ننفقها يمينًا ويسارًا في سبيل الله - لا في قلوبنا .

ورضي الله عن أبي بكر الصديق ﷺ من أمر النبي بالصدقة يومًا فجاء بكل ماله[1] !!

هؤلاء كانت الدنيا في أيديهم ، فكانت قريبة من البذل والعطاء أَمَّا نحن - إلا من رحم الله ﷻ - فإن الدنيا في قلوبنا ، فأصبحت بعيدة عن

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨) في الزكاة ، باب في الرخصة في الرجل يخرج من ماله ، والترمذي (٣٦٧٥) في المناقب ، باب مناقب أبي بكر الصديق ﷺ ، وقال الترمذي : حسن صحيح وحسنه شيخنا الألباني - رحمه الله - .

البذل والعطاء في سبيل الله .

ورحم الله الإمام ابن القيم يُثْنِي على أبي بكر الصديق ويقول : هذا هو أبو بكر الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حَبِّ الإيثار ، فألقى له الصديق حَبَّ الحُب على روضِ الرضا واستلقى الصديق على فراش الموت آمنًا مطمئنًا ، فرفع الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة ثم تركه هنالك ، وعلى شجرة الصدق يغرد بأغلى وأعلى فنون المدح وهو يتلو في حقه قول ربه : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[الليل : ١٧ - ٢١]

هؤلاء القوم كانت الدنيا في أيديهم مع العمارة ، ومع الصناعة ، ومع التجارة ، ومع الزراعة ، وهذه هي حقيقة الزهد في الدنيا ، أما أن نتبتل في المساجد وندعي الزهد لله ، وندع الجهاد في سبيله ، وندع العمارة والصناعة والتجارة والزراعة فليس هذا بزهد حقيقي ، فإن أزهد الناس في الدنيا هو رسول الله ﷺ ومع ذلك عَمَّر الكون وجاهد في سبيل الله وتاجر وزرع ودعا إلى العمل بكل صورة ووسيلة ، وهذه هي حقيقة الزهد ، ورحم الله من قال :

إِنَّ لِلَّـهِ عِبَـادًا فُطَنَـا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتَنَا

نَظَـرُوا فِيْهَـا فَلَمَّا عَلِمُـوا ... أَنَّهَـا لَيْسَتْ لِحَـيٍّ وَطَنَـا

جَعَلُوهَـا لُجَّـة وَاتَّخَـذُوا ... صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

أيها الحبيب الكريم :

هيا بنا لنتعرف على حقيقة الدنيا من عليّ زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعًا ، فهو يلخصها تلخيصًا دقيقًا ، ومن بديع ما قاله ليذكرنا بحياتنا الدنيا وبمراحلها القصيرة وإن طالت في نظر أحدنا أو في أعيننا .

سَفَرِي بَعِيدٌ وَزَادِي لن يُبَلِّغَنِي ... وَقُوَّتِي ضَعُفَتْ وَالمَوْتُ يَطْلُبُني
وَلِي بَقَايَا ذُنُوبٍ لَسْتُ أَعْلَمُهَا ... اللهُ يَعْلَمُهَا فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ
مَا أَحْلَمَ الله عَنِّى حَيْثُ أَمْهَلَني ... وَقَدْ تمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيسْتُرُنِي
وَأَنَا الَّذِي أُغْلِقُ الأَبْوَابَ مجْتَهِدًا ... عَلَى المَعَاصِي وَعَيْنُ الله تَنْظُرني
كَأَنَّنِي بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنطَرِحًا ... عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي
وَقَدْ أَتَوْا بِطَبِيبٍ كَي يُعَالجَني ... وَلمَ أَرَ الطِّبَّ فِي ذَا الْيَوْمِ يَنْفَعُنِي
وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ المَوْتُ يجذِبُني ... مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بَلاَ رِفْقٍ وَلاَ هَوَنِ
وغَمَّضُونى وَرَاحَ الكُلُّ وَانْصَرَفُوا ... بَعْدَ الإِيَاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا الْكَفَنِ
وَقَامَ مَنْ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ فِي عَجَلٍ ... نحوَ المُغَسِّلِ يأتيني يُغَسِّلني
فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي ... مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وَأَفْرَدَنِي
وَأَوْدَعُونِي عَلَى الأَلْوَاحِ مُنْطَرِحًا ... وَصَارَ فَوْقِي خَرِيرَ المَاءِ يُنَظِّفُنِي
وَأَسْكَبَ المَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي ... غُسْلًا ثَلاثًا وَنَادَى الْقَوْمَ بِالْكَفَنِ
وَأَخْرَجُونِي مِنَ الدُّنْيَا فَوَا أَسَفَا ... عَلَى رَحِيلٍ بِلاَ زَادٍ يُبَلِّغُنِي

وَحَمَّلُوني عَلَى الأَكْتَافِ أَرْبَعَـةٌ مِنَ الرِّجَالِ وَخَلْفِي مَنْ يُشَيِّعُني
وَقَدَّمُونِي إِلَى المحرَابِ وَانْصَرَفُوا خَلفَ الإمامِ فَصَلَّى ثم وَدَّعنـي
صَلُّوا عَلَيَّ صَلاَةً لاَ رُكُـوعَ لَهَا وَلاَ سُجُودَ لَعَلَّ اللَّـهَ يَرْحَمُنِـي
وأَنْزَلُونِي إِلَى قَـبرِي عَلَى مَهَلٍ وَقَدَّمُوا وَاحِـدًا مِنْهُمْ يُلَحِّدُنِـي
وكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِي لِيَنْظُرَني وَأَسْبَلَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَغْرَقَنِـي
وَقَالَ هُلُّوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَاغْتَنِمُوا حُسْنَ الثَّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي المِنَنِ
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ مِنْكَ يَا أَمَلِـي فَإِنَّنِي مُوثَـقٌ بِالذَّنْبِ مُرْتَهَنِ
تَقَاسَمَ الأَهْلُ مَالِي بَعْدَمَا انْصَرَفُوا وَصَارَ وِزْرِي عَلَى ظَهْرِي فَأَثْقَلَنِي
يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاكْتَسِبي فِعْـلًا جَمِيلًا لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنـي
وَامْنُنْ عَلَـيَّ بِعَفْـوٍ مِنْـكَ يَا أَمَلِـي فَإِنَّــكَ أَنْـتَ الرَّحْمَــنُ ذُو المِنَــنِ

أيها الحبيب الكريم ..

لقي الفضيل بن عياض رجلًا فسأله : كم عمرك ؟ قال : ستون سنة . قال الفضيل : إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله يوشك أن تصل . فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال الفضيل : هل عرفت معناها ؟ قال : نعم .. عرفت أني لله عبدٌ ، وإني إلى الله راجع . قال الفضيل : من عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف بين يديه ، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول ، ومن عرف أنه مسئول فلْيُعِدّ للسؤال جوابًا ، فبكى

الرجل وقال : يا فضيل وما الحيلة ؟ قال الفضيل : يسيرة . قال الرجل : ما هي يرحمك الله ؟ قال : أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي .

أيا عَبْدُ كَمْ يَرَاكَ اللهُ عَاصِيَا ... حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلِلْمَوْتِ نَاسِيَا
أَنَسِيتَ لِقَاءَ الله وَاللَّحْدَ وَالثَّرىَ ... ويومًا عَبُوسًا تَشِيبُ فِيهِ النَّوَاصِيَا
لَوْ أَنَّ المَرْءَ لم يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى ... تَجَرَّدَ عُرْيَانًا ، ولَوْ كَانَ كَاسِيَا
ولَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَدُومُ لأَهْلِهَا ... لَكَانَ رَسُولُ الله حَيًّا وَبَاقِيَا
ولكنَّهَا تَفْنَى ويَفْنَى نَعِيمُهَا ... وتَبْقَى الذُّنُوبُ والمَعَاصِي كَمَا هِيَ

لما علم أهل الإيمان وَأولو النُّهَى ذلك راحوا يزرعون الدنيا للطاعات والخيرات والإنفاق في سبيل رب الأرض والسماوات ، وعلموا أن من أعظم الأعمال الصالحة ومن أربح التجارات مع رب الأرض والسماوات بناء المساجد ، ولم لا تكون هذه التجارة من أربح التجارات ؟!! وقد قال خير البريات محمد ﷺ كما في الصحيحين من حديث عثمان « **مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** »[1].

الله أكبر !! أي ربحٍ هذا ؟!! وأي تجارةٍ هذه ؟!! وفى رواية أحمد من

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٥٠) في الصلاة باب من بنى مسجدا ، ومسلم رقم (٥٣٣) في المساجد باب فضل بناء المساجد .

رواية ابن عباس وهو حديث صحيح قال ﷺ : « **مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ**[1] **لِبَيْضِهَا ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ** »[2] .

وانتبه أيها الحبيب فإن هذا الإعداد وهذا البناء والجلال والجمال إنما هو إعداد البشر للبشر فما بالك بإعداد رب البشر في جنات النعيم التي لم يخطر نعيمها على قلب بشر كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ : قال الله تعالى : « **أَعْدَدْتُ لعبادِيَ الصَّالِحِينَ : مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** »[3] ومصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

ولا أريد أن أطيل في هذا العنصر أكثر من هذا لأُعَرِّجَ سريعًا على بقية العناصر .

ثانيًا : فضل السعي إلى المساجد

يا من حُرِمْتَ من المال .. أَخْلِص النيَّةَ .. واصدق الله في نيتك .. سترى الخير الكثير ، والفضل العظيم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ الله لَهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا**

---

(١) مفحص قطاة : عش الطائر .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٤١) وهو في صحيح الجامع (٦١٢٩) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٢٤٤) في بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، ومسلم (٢٨٢٤) في الجنة في فاتحته .

غَدَا أَوْ رَاحَ »[1] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا أن النبي ﷺ قال « **مَنْ تَطَهَّرَ في بيتِهِ ثم مَشَى إلى بَيْتٍ من بُيُوتِ الله ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً من فَرَائِضِ الله ،كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً والأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً** »[2].

وفى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا أن النبي ﷺ قال : « **أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ به الدَّرَجَاتِ ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « **إِسْبَاغُ الْوَضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، فَذَالِكُمُ الرِّبَاطُ** »[3].

والأحاديث في فضل السعي إلى المساجد كثيرة ولكن نكتفى بهذا القدر خشية الإطالة .

ثالثا : حكم الصلاة في المساجد

وهذا من أهم العناصر في هذا اللقاء ، فإن هذه البيوت العامرة ما بُنِيَتْ إلا للصلاة ، ما بُنِيَتْ ليهجرها المسلمون في الصلوات بصفة عامة وفي الفجر بصفة خاصة ، وهيا ابحث عن مساجد المسلمين في صلاة الفجر ستجدها تبكي وتشتكي حالها إلى الله جَلَّ وَعَلَا !! أين المسلمون ؟! أين

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٦٢) في الأذان ، باب من غدا إلى المسجد ، ومسلم رقم (٦٦٩) في المساجد ، باب المشي إلى الصلاة .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٦٦٦) في المساجد ، باب المشي إلى الصلاة .

(٣) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥١) في الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، ومالك في الموطأ (١ / ١٦١) في قصر الصلاة ، والترمذي (٥١) في الطهارة ، والنسائي (١/ ٨٩ ، ٩٠)

المؤمنون ؟! أين الطائعون لله جَلَّ وَعَلَا ؟! لقد هُجِرَتْ بيوت الله في الصلوات لا سيما في صلاة الفجر ، وهذا لا يُرضي الله ولا يُرضي رسول الله ﷺ ، فما بنيت المساجد إلا ليجتمع المسلمون ليصلوا فيها جماعة لله رب العالمين .

ولذلك قال الإمام البغوي في شرح السنة اتفق أهل العلم أن لا رخصة لأحد يتخلف عن صلاة الجماعة إلا بعذر من خوف ، أو مرض ، أو مطر ، أو جوع ، أو طعام ، أو قضاء للحاجة ، أو نحو ذلك .

وقد كان النبي ﷺ حريصًا كل الحرص - حتى في مرضه - على الصلاة في الجماعة ، وكذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - بل كان الصحابة يُسيئون الظن بمن تخلف عن صلاة الجماعة .

اسمع ما رواه الإمام مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قال : « **مَنْ سَرَّهُ أن يَلقَى اللهَ تَعالَى غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنبيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى ، وَإِنَّهنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَى ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيوتِكُمْ كَمَا يُصلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكُمْ ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ، ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى مَسْجِدٍ مَنْ هَذَهِ الْمَسَاجِدِ ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً ، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَة ، وَيَحُطُّ عَنْهُ سَيِئَةً ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجَلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ**

حَتَّى يُقَام فِي الصَفِّ »[١].

وهكذا أيها الأحبة حَذَّرَ النبي ﷺ تحذيرًا شديدًا من التخلف عن صلاة الجماعة كما في الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال : « **لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصَّلاَة فَتُقَام ، ثُم آمُرَ رَجُلاً فيُصَلِّي بالنَّاسِ ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُون الصَّلاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ** »[٢].

أيها الحبيب الكريم :

هل هناك وعيد أشد من التخلف عن صلاة الجماعة ، إن الله تعالى لم يسقط صلاة الجماعة عن المسلمين في ميدان القتال ، في أرض المعارك والحروب ، بل أوجب الله عليهم صلاة الجماعة ، وأمر نبيه أن يصلي في الوقت الذي تقف فيه طائفة أخرى لتحرس الأولى ، فإذا ما انتهت الطائفة الأولى جاءت الأخرى لتصلي جماعة مع رسول الله ﷺ فقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء : ١٠٢]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٦٥٤) في المساجد ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥٧) في الأذان ، باب فضل صلاة العشاء في الجماعة ، ومسلم (٦٥١) في المساجد .

الله أكبر !! إن الله ﷻ لم يُسقط صلاة الجماعة عن المسلمين في ميدان الحرب فكيف تَسْقُط عنهم في حال السِّلْمِ ؟!

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلني وإياكم من : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

ويبقى لنا عنصر أخير في إيجاز شديد ألا وهو دور المسجد في الإسلام وذلك بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده تعالى ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد ..

أيها الأحبة أود أن أُذَكِّرَ أحبابي بصفة خاصة بالحرص على صلاة العشاء وصلاة الفجر ؛ لأنه قد ورد في الصحيحين أن النبيﷺ قال : ((**لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِن الفَجْرِ والعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا ولَوْ حَبْوًا**))[1].

فلا تكسل عن صلاة العشاء وصلاة الفجر ؛ لأن هذه صفة من صفات

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥٧) في الأذان ، باب فضل صلاة العشاء في جماعة ، ومسلم (٦٥١) في المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة .

المنافقين . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[النساء : ١٤٢]

ولا تكن أيها الحبيب ممن قال الشاعر فيهم :

تَأْتِـي إِلـىَ الصَّـلاةِ فِي فُتُـورٍ ... وَكَأَنَّكَ قَـدْ دُعِيتَ إلى البَـلاءِ

فَإِنْ أَدَّيْتَهَــا جَــاءَتْ بِنَقْصٍ ... لما قَدْ كَانَ مِنْكَ من شِرْكِ الرِّيَاءِ

وإِنْ تَخْلُـو عَنِ الإشْرَاكِ فِيهَـا ... تُدَبِّــرُ للأُمُــورِ بِالاتِّقَــاءِ

وَيا لَيْـتَ التَّـدَبُّرَ فـي مُبَـاحٍ ... ولَكِـنْ فـي المَشَـقَّةِ والشَّـقَاءِ

وإن كُنْتَ المصلي يومًا بين خلقٍ ... أَطَلْـتَ رُكُوعها بالانحنَـاءِ

وَتَعْجَل خَـوْفَ تَأْخِير لِشُغْلٍ ... وَكَأَنَّ الشُغْلَ أَوْلَـىَ مِنْ لِقَـاءِ

وَلَوْ كُنْتَ المُجَالِسَ يَوْمًا لأنْثَى ... قَطَعْتَ الوَقْتَ مِنْ غَيْرِ اكْتِفَاءِ

أَيَا عَبْدُ لا يُسَاوِى اللهُ مَعَكَ أُنْثَى ... تُنَاجِــيهِ بِحُـبٍّ أَوْ صَفَــاءِ

يا عبد الله أقبل على الله جَلَّ وَعَلَا .. وحافظ على صلاة الجماعة لا سيما على صلاة العشاء وعلى صلاة الفجر وعلى صلاة العصر « **مَنْ صَلَّى البَرْدَيْن**[1] **دَخَلَ الجَنَّةَ** »[2].

---

(١) البردين : العصر والفجر

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٧٤) في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر ، ومسلم رقم (٦٣٥) في المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما .

وأخيرًا : دور المسجد في الإسلام

إن المسجد كان دارًا للعبادة ، وكان مأوى الفقراء والأيتام ، وكان ساحة للعمل السياسي الشريف ، وكان واحة للحب والألفة والإخاء والتعامل ، وكان دارًا للتربية والتعليم ، نعم لقد كان المسجد لكل شيء ، فلقد تخرج منه الأطهار وتخرج منه الأبرار ، فالمسجد هو الحضن التربوي الطاهر الذي ينبغي أن نعود به مرة أخرى إلى رسالته ليُخَرِّجَ الأخيار والأطهار والأبرار ، الذين ينفعوا أنفسهم ، وينفعوا أوطانهم وبلادهم ، أسأل الله - جَلَّ وعَلا - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

.... الدعـــاء

سماحة الإسلام والإرهاب الغربي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله ..

حياكم الله جميعًا أيها الأخوة الفضلاء الأعزاء ، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعًا من الجنة منْزلًا ، وأسأل الله الكريم - جَلَّ وَعَلَا - الذي جمعني مع حضراتكم في هذا المكان الطيب المبارك على طاعته إن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار مقامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله ..

« سماحة الإسلام والإرهاب الغربي » هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك ، وكما تعودت حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من تحت أقدامنا ، فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :-

أولًا : **صورٌ مخزية للإرهاب الغربي .**

ثانيـًا : **صورٌ مشرقة للتسامح الإسلامي .**

ثالثـًا : **لا تيأسوا من روح الله .**

وأخيرًا : **هذا هو طريق النجاة .**

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يُقِرَّ أعيننا بنصرة الإسلام وعزِّ الموحدين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : صورٌ مخزية للإرهاب الغربي

أحبتي في الله .. إن الصراع بين الحق والباطل قديمٌ بقدم الحياة على ظهر هذه الأرض ، والأيام دُوَل - كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ولا شك أن الدولة الآن للغرب الذي كسب الجولة الأخيرة وهزم الأمة الإسلامية - عسكريًّا ، واقتصاديًّا ، وفكريًّا ، ونفسيًّا ، وعلميًّا - بعد أن تخلت الأمة عن أسباب النصر بانحرافها عن منهج ربها ونبيها ﷺ وذلك مصداقًا لقول ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١]

راح الغرب المنتصر يسوم الأمة المهزومة سوء العذاب ، ويمارس في حقها كل أشكال وألوان الإرهاب الفكري ، والنفسي ، والاقتصادي ، والعسكري في الوقت الذي يمارس فيه الإعلام الغربي لونًا قذرًا من ألوان الإرهاب الفكري بوصم الإسلام والمسلمين بالأصولية ، والإرهاب ، والتطرف ، والوحشية والبربرية ، والجمود ، والتخلف ، والرجعية إلى آخر هذه التهم المعلبة الجاهزة .

لكن شاءت إرادة الله - جَلَّ وَعَلَا - أن تسقط ورقة التوت ، وأن تتمزق خيوط العنكبوت الذي طالما وارى بها النظام الغربي كوارثه الغليظة يوم أن قرر مراهق البيت الأبيض أن يضرب السودان وأفغانستان ، بالصواريخ والطائرات ، ويقطع الإرسال الإعلامي ليخرج علينا إرهابي البيت الأبيض بوجهه الكالح العبوس ليزف إلينا نبأ الغارات الجوية على السودان وأفغانستان بنفس الطريقة التي زف بها إلينا سلفه جورج بوش

نبأ ذبح العراق ، وبنفس الطريقة التي خرج بها سلفهما رونالد ريجان ليزف إلينا نبأ الغارات الجوية على ليبيا .

مسلسل متكرر والضحايا يتساقطون من الموحدين والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يُضْرَبُ السودان ذلك البلد الوديع الآمن الذي لا ذنب له إلا أنه أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية ورفض كل أشكال الهيمنة الغربية والأمريكية ، ولقد حاول الغرب بكل سبيل أن يمزق الأواصل الأخوية والعلاقات الودية بين مصر والسودان ليدخل البلدان دوامة صراع دموي قاتم لصالح الغرب ولكن الله سلم ، وتعاملت مصر - سَلَّمَهَا الله - مع المكر الشيطاني الغربي بغاية الحكمة والذكاء .

يُضرب السودان ، ويُضرب أفغانستان بحجة محاربة الإرهاب !!

ستحارب أمريكا - رائدة الحضارة الغربية - الإرهاب في كل مكان في العالم وفعلها ليس من الإرهاب في شيء !

تجويع الشعوب الآمنة ، وضرب الشعوب الوديعة ليس من الإرهاب في شيء !

قتل آلاف الأطفال في الصومال ليس من الإرهاب في شيء !

قتل العشرات والمئات من أطفال ليبيا ليس من الإرهاب في شيء !

إبادة كاملة في هيروشيما ونجازاكي ليس من الإرهاب في شيء !

إبادة شعب الهنود الحمر ليس من الإرهاب في شيء !

المعاملة العنصرية اللونية البغيضة في أمريكا ليس من الإرهاب في شيء !

محاربة المكسيك بمنتهى الشراسة والخِسَّة في عام ١٩١٤ لمجرد أن المكسيك لم يقفوا ليحيوا العلم الأمريكي ليس من الإرهاب في شيء !

فَقَتْلُ امْرِئٍ أَمْرِيكي فِي غَابَةٍ جَرِيمَـــــــةٌ لا تُغْتَفَـــرْ
وقَتَـــلُ شَــعْبٍ آمِــنٍ مَسْــأَلَةٌ فِيهَـــا نَظَـــرْ

ما دام الإرهاب يمارس بأيدٍ أمريكية فليس من الإرهاب في شيء !

وينبغي للعقلاء ألا ينسبوا هذا إلى الإرهاب ولا إلى التطرف . أما إن تكلم مسلم مجرد كلمة أو إن أخطأ مسلمٌ خطأً حركيًا هنا أو هنالك ، ركزت المجاهر المكبرة على هذا الخطأ . ليوصف الإسلام كله وليوصف المسلمين جميعًا بالإرهاب ، والتطرف ، والأصولية ، والوحشية ، والبربرية ، والجمود والرجعية ، والتخلف ، والتأخر ، إلى آخر هذه التهم المعلبة التي لم تعد تنطلي الآن إلا على السذج والرعاع .

أمرٌ عجب أتذكر الآن ذلكم المشهد الخبيث لجندي بريطاني يقتل مسلمًا من المسلمين فيدافع المسلم عن نفسه فيعض الجندي البريطاني فما كان من الجندي البريطاني ، إلَّا أن قتله نظير هذه العضة ، ثم يذهب هذا الجندي الشرس إلى أخيه ليشكو إليه تطرف المسلم وإرهاب المسلم !! فيقول له تصور أنه عض يدي وأنا أقتله ، هذا الإرهابي عض يدي وأنا أذبحه !!

فإذا كان الفعل من المسلم فهذا هو التطرف ، وهذا هو الإرهاب !!

إذا كان ضرب السودان وضرب أفغانستان بحجة محاربة الإرهاب في كل مكان ، فيجب على رائدة الحضارة الغربية - أمريكا - أن توقف إرهابها للعالم ابتداء . ثم أين هي من الإرهاب والتطرف اليهودي الذي يمارس الآن بعنجهية واستعلاء في فلسطين ولبنان وهضبة الجولان ؟!!

أين رائدة الحضارة من هذا الإرهاب والتطرف ؟

أين مجلس الأمن ؟!! أين هيئة الأمم ؟!!

أين المنظمة العالمية لحقوق الإنسان ؟!!

أين من يتغنون بالديمقراطية ، والحرية ، ويندوون بالتطرف والإرهاب ؟

أين النظام العالمي ؟!! أين السلام العالمي ؟!!

أين النظام العالمي أما له أثر ؟! ألم ينعق به الأبواق ؟!

لقـــد بَـدَا كَـذِبُ السَّـلام ... وزَاغَـــتِ الأَحْــــدَاقُ

يا مَجْلَسَ الخَوْفِ الَّذِي في ظِلِّهِ ... كُسِرَ الأَمَـانُ وضُـيِّعَ المِيثَـاقُ

أَوَ مَا يُحَرِّكُكَ الَّـذِي يَجْرِى لَنَا ... أَوَ مَا يثيرُكَ جُرْحنَـا الدَّفَّـاقُ

وَحْشِيَّةٌ يَقِفُ الخَيَـالُ أَمَامَهَـا ... مُتَضَـائِلًا وتَمُجُّهَـا الأَذْوَاقُ

ينبغي على كل عاقل الآن في أرض العرب والإسلام أن يعرف حقيقة الغرب طالما بُحَّتْ أصواتنا بحقيقة الغرب ، ولكن الأمة لا تريد أن تسمع عن الله ، لا تريد أن تسمع عن رسول الله ﷺ .

قَالُوا لنا : الغـربُ ، قلـتُ : صِنَاعةٌ وسِيَاحةٌ ومَظَاهِرٌ تُغْرِينَا
لَكِنَّـهُ خـالٍ مِنَ الإيمَـانِ لا يَرْعَى ضَعيفًا أو يَسُرُّ حَزِينًا
الغَرْبُ مَقْبَرَةُ المَبَادِئ لَمْ يَزَلْ يَرْمِي بِسَهْمِهِم المُغْرِيَات الدِينَا
الغَـرْبُ مَقْـــبَرَةُ العَدَالـة كُلَّمَا رُفِعَتْ يَدٌ أَبْدَى لها السِّكينَا
الغربُ يَكْفُرُ بالسَّـلامِ وإِنَّمـا بسَلاَمِهِ المَوْهُـوم يَسْتَهْوِينَـا
الغَرْبُ يَحْمِلُ خِنْجَرًا وَرَصَاصَة فعَلَامَ يَحْملُ قَومنَا الزَيْتُونَا ؟
كُـفْرٌ وإِسْـلامٌ فأَنَّـى يَلْتَقِـي هَـذَا بِذَاكَ أَيُّهَـا اللاَّهُـونَا
أَنا لاَ أَلُوم الغَرْبَ في تَخْطِيطِهِ ولَكِـنْ أَلُومُ المُسْلِمَ المَفْتُونَا
وأَلُـومُ أُمّتَنَـــا الَّتي رَحَلَـتْ عَلى دَرْبِ الخُضُوعِ تُرَافِقُ التِّنينا
وأَلُـومُ فينـا نَخْـوَةً لم تَنْتَفِضْ إِلَّا لتَضْرِبَنَـــا عَلَـى أَيْدِينَـــا
يَا مَجلسَ الخَــوْفِ إِلَى مَتَــى تَبْقَى لِفُجَّـارِ الحُـرُوبِ رَهِينَا
إلى مَتَى تَرْضَى بِسَلْبِ حُقُوقِنَا مِنَّا وتطلُبنَـــا ولا تُعْطِينَـــا ؟
لَعِبَتْ بِكَ الـدُّوَلُ الكبــــارُ فَصِرْتَ في مَيْدانِهِنَّ اللاَّعِبَ المَيْمُونَا
يا مَجْلِسًا غَدَا فِي جِسْمِ عَالِمَنَا مَرَضًا خَفِيًّا يُشْبِهُ الطَّاعُـــونَا
شـكرًا لَقَــدْ أَبْرَزْتَ وَجْـــهَ حَضَارةٍ غَرْبِيّةٍ لَبِسَتِ القِنَاعَ سِنِينَا
شُكرًا ، لقد نَبَّهْتَ غَافِلَ قَوْمنَا وجَعَلْتَ شَكَّ الوَّاهِمِينَ يقينًـا
يَا مَجْلَسَ الأَمْنِ انْتَظِر إِسْلاَمنَا سَيُرِيكَ مِيزَانَ الهُدَى ويُرِينَـا
إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ فَسَلْ فِرْعَوْنَ عَنْ غرقٍ ، وسَلْ عَنْ خَسْفِهِ قَارُونَا

أين مجلس الأمن من الإرهاب اليهودي في فلسطين وفي جنوب لبنان ، وفى هضبة الجولان وفي كل مكان ؟ رئيس وزراء إسرائيل يعربد كيفما شاء ويضرب بالمواثيق الدولية عرض الحائط ولا يحترم عالمًا غَرْبيا ولا عالمًا إسلاميا ، فليعربد كيفما شاء .

عَرْبِدْ كَمَا شِئْتَ يا هَـذَا النتنيـاهو ... مَا عَادَ في البَيْتِ مِنْ رَبٍّ سَتَخْشَاهُ
مَا ضَرَّ لو تَحْتَسِي في الصَّبَاحِ قَهْوَتنَا ... عَلى الأَرِيكَـةِ في كِـبْرٍ عَهِدْنَاهُ
مَا ضَرَّ لو تَسْرِق الأَنْفَاسَ مِنْ رِقَّتِي ... وَتَسْتَبي حلْمـًا في اللَّيْلِ أَحْيَاهُ
ما ضَرَّ لو تُوئَدُ الأَشْعَارُ إنْ صَرَخَتْ ... وَتَجَلَّدَ البَّحْرُ لـو يُفْضِي بِنَجْـوَاهُ
لا تَخْشَى مِنْ سَيْفِنَا ، فالسَّيْفُ ... قَدْ صَدَأَتْ أَنْصَالُه فانْزَوَى والغِمْدُ وَارَاهُ
لَمْ يَعُدْ كَالأَمْسَ مَزْهُـوا بِطَلْعَتِهِ ... فأَيْنَ الْغِمْدُ وَالتِّذْكَـارُ سَـلْوَاهُ ؟
أَمَّا الجَوادُ الَّذِي كُنْتَ تَحْسَبه نَجْمُ ... السِّبَاقِ إذا المِضْمَـارُ نَـادَاهُ
فَقَـدْ تَخَلَّى عَنِ المَيْدَانِ فَعَـادَ ... مُنْهِـزَمًا والعَجْـزُ سَـلْوَاهُ
وأُمتي لا تَخَفْ مِنْها ، فَقَدْ هَرِمَتْ ... والشَّيْبُ في رَأْسِهَا قَدْ خَطَّ مَجْرَاهُ
حَليبَهَا لَمْ يَعُـدْ يَرْوي لَنَا ظَمَـأً ... وضَرْعُهَا قَدْ جَفَّ مُذْ جَفَّتْ خَلاَيَاهُ
عَرْبِدْ كَمَا شِئْتَ يا هَذَا النتنياهو ... فأُمَّتي تَعْشَقُ الشَّجْبَ وتَهْـوَاهُ
إِنْ عَمَّ خَطْبٌ بِهَا فَالكُلُّ أَلْسِنَةٌ ... للشَّجْبِ يا صَاحِبى والكُلُّ أَفْـوَاهُ
يَا أُمَّةً عَجْزُهَا قَدْ صَـارَ قَائِدُهَـا ... وضَعْفُهَا لَمْ يَعُدْ في الدَّرْبِ إِلَّا هُو
يا أُمَّـةً في خَـرِيفِ العُمْـرِ نَائِمَةً ... تَلُوكُ مَاضٍ لَهَا فِي القَـبْرِ مَثْـوَاهُ

هَانَتْ عَلَى نَفْسِهَا فاسْتُعْبِدَتْ وَوَنَتْ وسَلَّمَتْ كَنْزَهَا لِلِّصِ يَرْعَاهُ
آسَادُهَا رُوِّضَتْ فِي الأَسْرِ طَائِعَةٌ وأُسْدُهَا دُونَ أُسْدِ الأرضِ أَشْبَاهُ
فَعَرْبِدْ كَمَا شِئْتَ يَا هَذَا النتنياهو فَأُمَّتي تَعْشَقُ الشَّجْبَ وتَهْوَاهُ
إنْ عَمّ خَطْبٌ بِهَا فَالكُلُّ أَلْسِنَة لِلّشَجْبِ يَا صَاحِبِي وَالكُلّ أَفْوَاهُ
يَا قُدْسُ..هَذا زَمَانُ اللَّيْلِ فاصْطَبِري فَالْصُّبْحُ مِنْ رَحِمِ الظَّلْمَاءُ مَسْرَاهُ
يَا قُدْسُ لاَ تَقْنَطِي .. فَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ وَصَاحِب الحَقِّ لَيْسَ يَرُدُّهُ اللهُ
مَا دَامَ فِي القَلْب عَهدٌ قَدْ حَفِظْنَاهُ وفِي اليَمِينِ كِتَابٌ مَا تَرَكْنَاهُ

... حق أن يعربد رئيس وزراء إسرائيل كيف شاء .. فالعالم الإسلامي ساكن كمياه البحر الميت ، لا يجيد إلا الشجب والاستنكار .. وأين رائدة الحضارة الغربية من الإرهاب الصربي ؟!! الذي لازال يمارس إلى لحظتنا هذه ضد مسلمي كوسوفو ، تطهير عرقي واسع النطاق وإبادة جماعية بشعة للمسلمين على مرأى ومسمع من الغرب ، الذي يتغنى بالديمقراطية والحرية ، وعلى مرأى ومسمع من العالم العربي والإسلامي .

كُوسُوفُو تُبَادُ والعَالَمُ كُلُّهُ خِسَّةٌ وخِيَانةٌ ونِفَاقُ
كُوسُوفُو مِنْ دَوْلَةِ المَجْدِ عُثْمَان أَبُوهَا والفَاتِحُ العِمْلاَقُ
كُوسُوفُو مِنْ قَلْبِ مَكَّةَ بالتَوْحيدِ يَعْلُو لِوَاؤُهَا الخَفَّاقُ
تَرَكُوهَا ومِنْ حَوْلِهاَ مِنْ كِلاَبِ الغَرْبِ طَوْقٌ مِنْ خَلْفِهِ أَطْوَاقُ
قَدَّمْتَها الصُّلْبَانُ للغربِ قُرْبَانًا وللعُرْبِ كُلِّهُم عُشَّاقُ

حَفِظْنَا لِلمَرَّةِ الأَلْفِ عَنْكُم عَالَمُ الغَابِ مَا لَهُ مِيثَاقُ
ووالله لَوْ فَعَلْنَا بالصِّرْبِ مَا فَعَلُوهُ لَرَأَيْنَا مِثْلَ الَّذي رَآهُ العِرَاقُ

... أين العالم الغربي من الإرهاب الصربي ؟! من الإرهاب اليهودي ؟! من إرهاب أساطير الفساد الخلقي على وجه الأرض ؟! أين هم ؟!

أطفال البوسنة يُستخدمون - ولأول مرة في التاريخ - كدروع بشرية .. يفخفخ الأطفال بالألغام ثم يطلق الأطفال إلى أهاليهم من الجيش البوسني وعن طريق التحكم عن بعد - الروموت كنترول - تفجر الألغام في الأطفال وذلك على مرأى ومسمع من العالم الغربي !!!

لأول مرة يُستخدم أطفال المسلمين كفئران تجارب في البوسنة .

لأول مرة يُستخدم أطفال المسلمين كتجارة واسعة للرقيق في قلب أوربا في ظل قيادة العالم الغربي للبشرية - يوم أن تخلفت أمة القيادة عن القيادة ويوم أن انحرفت عن منهج الله ورسوله - انطلق الصرب ليحققوا على أرض الواقع ملحمتهم الشعرية الكبرى والمسماة بإكليل الجبل ، والتي تقول كلماتها : « سلك المسلمون طريق الشيطان ، دنسوا الأرض ملؤها رجسًا ، فَلْنُعِدْ للأرض خصوبتها ، ولنطهرها من تلك الأوساخ ، ولنبصق على القرآن ، ولنقطع رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ، ويتبع دين محمد ، فيذهب غير مأسوف عليه »

تلك عقيدة الغرب التي يُحَوِّلُونَهَا إلى واقع عملي ، ومنهج قذر على أرض الواقع ، في عالم يقود البشرية فيه الرجل الغربي الخائن ، والإرهابي المتطرف ، في الوقت الذي يمارس فيه إعلامه دورًا قذرًا من ألوان الإرهاب ، ويصف الإسلام والمسلمين جميعًا بالتطرف ، والأصولية ، والإرهاب ، وفي مقابل هذه الصور المخزية للإرهاب الغربي أُطَيِّبُ النفوس والقلوب ، بسماحة الإسلام ، وتمنيت لو أسمعت زعماء العالم الغربي جميعًا ، هذه الصُّوَر المشرقة للتسامح الإسلامي وهذا هو عنصرنا الثاني .

ثانيا : صور مشرقة للتسامح الإسلامي

أيها الأحبة الكرام : بكل أسف شُوِّهَتْ صورة الإسلام المضيئة ، بكل أسف لُطِّخَتْ صورة الإسلام الزكية ، فالإسلام الآن متهم - عند هؤلاء - بالتطرف والأصولية والإرهاب ، والإسلام هو دين الأمن والأمان .

أيها المسلمون: ارفعوا رؤوسكم لتعانق كواكب الجوزاء ، فإن الإسلام دين الأمن ، ودين الاستقرار ، ودين الرخاء ، بل أُعْلِنُهَا بملء فمي : إن اليهود والنصارى ما ذاقوا نعمة الأمن والأمان والاستقرار ، إلا في ظلال الإسلام وشريعة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، والتاريخ يحكم بيننا ، بل ولن استشهد حينئذ بأقوال أئمتنا المسلمين ، وإنما سأستشهد على هذه الحقيقة بأقوال كُتَّاب الغرب المنصفين الذين سجلوا للتاريخ !

أيها الأحبة ..

إن الإسلام العظيم لا يميز بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فالناس جميعًا على وجه الأرض سواء ، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح وجاء هذا الإعلان القرآني العظيم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والبيهقي من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع أو في أواسط أيام التشريق قال : « **أَيُّهَا النَّاسُ : أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ . أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَد ، وَلاَ أَسْوَد عَلَى أَحْمَرَ إِلا بالتَّقْوَى** »[1] ، وقرأ النبي ﷺ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

هذه هي حضارة الإسلام .. وهذا هو تسامح الإسلام .. لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .. فقد سوى الإسلام بين سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، ومعاذ الأنصاري ، وبلال الحبشي ، وحمزه القرشي ، وأنشدها سلمان بغاية الفخر :

أَبِى الإِسَلامُ لاَ أَبَ لي سِوَاهُ   إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥ / ٤١١) بإسناد صحيح .

والسؤال الآن : هل ظلّت مبادئ الإسلام السامية حبيسة الأدراج ؟!

كما ظلت مواثيق الأمم المتحدة حبيسة الأدراج لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به !!

هل حَبَسَتْ المدينة المنورة – تلك المدينة التي أعلنت لأول مرة مبادئ الإسلام السامقة – هذه الأسس السامية ، وهذه القوانين وهذه الأخلاق ؟!

كما حَبَسَتْ فرنسا بعد الثورة الفرنسية مبادئ الثورة في الحرية والديمقراطية على دولها ومستعمراتها التي ترزأ تحت حكمها ؟!

هل نصبت حضارة الإسلام لهذه المبادئ السامية تمثالًا مكذوبًا كتمثال الحرية المكذوب في قلب نيويورك ؟!!

هل حبس الإسلام تلك المبادئ السامية ؟

الجواب ... اقرأوا التاريخ ... اقرأوا سيرة النبي ﷺ لتعلموا وتُعَلِّموا الدنيا .

ثبت في الصحيحين من حديث عائشة – رضى الله عنها – « أن قريشًا أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ النبي ﷺ ، فكلم رسول الله ﷺ فقال : « **أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ؟!** » ثم قام فخطب فقال : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُم كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وأَيْمُ الله ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ**

يَدَهَا »[1].

تلك حضارة الإسلام ، وهذا عمر فاروق الأمة ﷺ لما نزل من المدينة لتسلم مفاتيح بيت المقدس أعطى لأهل « إيليا » من النصارى الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وأمر ألا تُهْدَم كنائسهم ، وأعطاهم الأمان للنفس والمال والكنائس .

وهـذا عمر بن عبد العزيز لمـا فُتِحت مدينـة « سمرقند » وأرسل أهـل « سمرقند » له رسالة ، قالوا فيها : بأن الفتح الإسلامي للمدينة فتح باطل ؛ لأن الجيش لم يدعنا للإسلام ، ولم يفرض علينا الجزية إن امتنعنا ، ولم يأذن لنا ، ولم يخبرنا بالمنابذة ، فلما عرض عمر بن عبد العزيز الأمر على قاض المسلمين أقر القاضي ببطلان الفتح الإسلامي لسمرقند ، فما كان من عمر ﷺ إلا أن أصدر الأوامر لقائد جيوشه في بلاد سمرقند بالانسحاب فورًا ، فخرج أهلُ سمرقند عن بكرة أبيهم بين يدي الجيش الفاتح ليعلنوا جميعًا القولة الخالدة « **أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله** » .

ولما فتح المسلمون الشام واستولوا على حِمْص ودمشق . سمع القادة المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح أن هرقل قد جمع جيشًا جرارًا لينقضَّ على الجيش الإسلامي انقضاضًا ساحقًا فما كان من قادة المسلمين إلا أن ذهبوا إلى أهل دمشق وأهل حمص ليخبروهم بأنهم لن يستطيعوا أن يدفعوا

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٧٨٨) في الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ومسلم (١٦٨٨) في الحدود باب قطع يد السارق .

عنهم في مقابل الجزية ، فردوا الجزية كلها إلى أهل حمص وأهل دمشق فخرجوا جميعًا مع أنهم يدينون دين النصارى خرجوا جميعًا يقولون : « **نشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** » لعدلكم أيها المسلمون أحب إلينا من الروم وظلمهم ، وإن كنا على مثل دينهم .

وأظن أنكم جميعًا تعلمون قصة اليهودي الذي سرق درع عليّ ﷺ ويقف اليهودي إلى جوار أمير المؤمنين أمام قاضٍ مسلم ، فيقول القاضي لعليّ : ما القضية ؟ فيقول عليّ : الدِّرْعُ دِرْعِي ، ولم أَبِعْ ولم أَهَبْ !! فيلتفت القاضي إلى اليهودي فيقول : ما القضية ؟ فيقول : الدِّرْعُ دِرْعي وَهَوَ مَعِي ، فيقول القاضي : هل معك من بَيِّنَة يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : لا ، فيقضى القاضي بالدرع لليهودي .. فالبيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر ، وينطلق اليهودي بالدرع وهو يكلم نفسه : أقف إلى جوار أمير المؤمنين في ساحة القضاء ويقضي القاضي المسلم بالدرع لي ؟!! والله إنها لأخلاق أنبياء .

فيرجع اليهودي إلى القاضي ويقول : أيها القاضي ، أما الدِّرْع فهو لعليّ وأما أنا فإني أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

فقال عليّ ﷺ : أما وقد أسلمت فالدرع هدية مني لك !!

وأظن أنكم جميعًا تحفظون قصة ذلكم الشاب القبطي الذي سابق محمد ابن عمرو بن العاص ، الذي كان حاكمًا لمصر وواليًا عليها ، فسبق القبطيُّ ابنَ حاكم مصر ، فضربه محمد بن عمرو بالسوط وهو يقول له : خذها ، وأنا ابن الأكرمين !! فانطلق هذا القبطي إلى الأسد القابع في عرينه في مدينة

المصطفى ﷺ ذلكم الرجل الذي يحب العدل ويكره الظلم بكل كيانه ، إنه عمر ﷺ ويدخل القبطي على عمر في مسجد النبي ﷺ ويقول : يا أمير المؤمنين .. هذا مقام العائذ بك ، فيقول عمر : ما القضية ، ومن أنت ؟ ، فيقول أنا قبطي من أهل مصر . فيقول عمر : ما القضية ؟! فيقول القبطي : سابقت محمد بن عمرو فسبقته فضربني بالسَّوْطِ وهو يقول لي : خُذْهَا وأنا ابن الأَكْرَمِينِ ، فقال له عمر : اجلس هنا ، وأمر الصحابة أن يكرموا هذا القبطي ، وكتب عمر كتابًا إلى والي مصر فقال : بعدما حمد الله وأثنى عليه : من عبد الله عمر بن الخطاب إلى والي مصر سلام الله عليك وبعد فإن انتهيت من قراءة كتابي هذا فاركب إليّ مع ولدك محمد .

فدخل عمرو بن العاص وفي خلفه ولده محمد على أمير المؤمنين عمر فقال فاروق الأمة : أين قبطي مصر ؟ فقال : هاأنذا يا أمير المؤمنين . قال : خذ السوط واضرب محمد بن عمرو فضربه على رأسه ، فقال : أَجِلْهَا على صلعة عمرو فقال : لا يا أمير المؤمنين .. لقد ضربت من ضربني قال : والله لو فعلت ذلك ما حُلْنَا بينك وبين ذلك ، فما تجرأ عليك ولده إلا لسلطان أبيه ، ثم قال عمر قولته الخالدة التي ترن في آذان الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال عمر : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟!

وهذا صلاح الدين يوم أن هزم الصليبيين في موقعة حطين وسمع أن ريتشارد قلب الأسد - ذلكم القائد المراوغ الخبيث - قد مرض مرضًا شديدًا

فما كان من صلاح الدين إلا أن أرسل إليه بطبيبه الخاص وبدواء من عنده .

ومحمد الفاتح - ذلكم السلطان الشاب المبارك - لما فتح القسطنطينية تحقيقاً للنبوءة النبوية ، وأعطى الأمان لأهل كنيسة آيا صوفيا الشهيرة .. أعطاهم الأمن والأمان على أنفسهم ، وعلى أموالهم ، وعلى كنيستهم ، ولم يصبهم بأي أذى ، أو بأي سوء !!

إنها سماحة الإسلام .. تلك أخلاقنا .. وهذا هو ديننا .. تمنيت ورب الكعبة لو أسمعت العالم كله بزعمائه أن الإسلام دين لا يقر الإرهاب أبدًا مهما كان لونه ، ومهما كان جنسه ، ومهما كان وطنه ، بل هو دين الأمن والأمان .. بل هو دين السماحة والرخاء والاستقرار.. ولكن بكل أسف شُوِّهَتِ الصورة المشرقة للإسلام ، وَرَكزَتِ المجاهر المكبرة على بعض الأخطاء الفردية من المسلمين هنا وهنالك ، حتى وُصِمَ الإسلامُ كله ، والمسلمين جميعا بالأصولية ، والتطرف ، والإرهاب .

أحبتي الكرام ... ومع ذلك أقول لكم في عنصرنا الثالث :

« لا تيأسوا من روح الله »

هل تظنون أن الكون كله ملك لعُبَّاد البقر من الأمريكان ؟!!

إن الكون كله ملك لله يتصرف فيه كيف شاء ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦]

فوالله الذي لا إله غيره ستسقط الحشرات الأمريكية كما سقطت الحشرات الروسية الماركسية .. تلك سُنَّةٌ ربانية لا تتبدل ولا تتغير .. فكما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الابتلاء للمؤمنين سُنَّة جارية ، فإنه قد جعل أيضاً أخذ الظالمين سنة جارية .

أَيْنَ الظَّالِمُونَ وأَيْنَ التَّابِعُونَ لهم في ... الغَّيِ ؟ بَلْ أَيْنَ فِرْعَونُ وهَامَانُ

أَيْنَ مَنْ دَوَّخوا الدُّنْيَا بِسَطْوَتِهِم ... وَذِكْرُهُم في الوَرَى ظُلْمٌ وطُغْيَانُ

هَلْ أَبْقَى المَوْتَ ذا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ ؟ لا ... أَوْ هَلْ نَجَى مِنْهُ بالسُّلْطَانِ إِنْسَانُ

والَّذِي خَلَقَ الأَكْوَانَ مِنْ عَدَم ... الكُلُّ يَفْنَى فَلاَ إِنْسٌ ولا جَانُ

أين فرعون ؟ أين هامان ؟ أين قارون ؟ أين الطواغيت ؟ أين الجبابرة ؟ أهلكهم الحي الذي لا يموت !! وبقى الإسلام شامخًا وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأرجو ألا تعصف رياح اليأس والقنوط بقلوبنا .. وأرجو أن نتعلم اليقين من هذا البدوي البسيط الذي يعيش في أرض الجزيرة في بلاد القصيم يوم أن خرجت الطائرات لأول مرة ، فذهب أحدهم يقول له أدعو الله فإن بريطانيا ستضرب بلاد المسلمين بالطائرات ، فقال : شو يا خويا الطائرات هذه ؟ قال : الطائرات هذه ؛ أجسام ضخمة تطير في السماء وتقذف الناس بالقنابل المحرقة ، فتحرق المزارع ، وتدمر المصانع ، والبيوت ، وتهلك البشر ، فقال هذا المؤمن البسيط قولة عجيبة قال : يا اخويا الطائرات دي فوق ربنا و لا ربنا اللي أعلى منها ؟!! قال : بل

الله أعلى وأَجَلّ . قال : إذًا ما تخاف فالله سبحانه وتعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء !! هذا هو اليقين الذي نحتاجه الآن .

بكل أسف تضع الأمة الخطة الخمسية ، والسنوية ، والشهرية ، وما وضعت أبدا ضمن خطة واحدة قوة وعظمة رب البرية ، الله .. مالك الملك .. لقد أصاب الله أمريكا في الأيام الماضية بإعصار - يسمونه بإعصار جورج - قتل ما يقرب من الثلاثمائة ، وشَرَّدَ ما يزيد على مليون ونصف أمريكي وأمريكية.. إعصار ؟! ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر ٣١]. ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٢ - ٤٤]

فلا تقنطوا أيها الأحباب ؛ فإن معنا رصيد فطرة الكون .. معنا رصيد فطرة الإنسانية .. وقبل كل ذلك وبعد كل ذلك معنا الله .. فيالها والله من معية لو علمت الأمة قدرها ، قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١].

وأخيرًا إخوتي الكرام :

أين طريق النجاة ؟!

وسوف نتعرف على معالمه بعد جلسة الاستراحة ، إن شاء الله تعالى .

الخطبة الثانية ..

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، وأحبابه ، وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها الأحبة الكرام : ما هو طريق النجاة ؟

المَعْلَمُ الأول : على طريق النجاة للأمة من هذا المأزق الحرج هو **العودة الصادقة إلى القرآن والسنة وإحياء عقيدة الولاء والبراء** فإن الكفر ملة واحدة والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه الآن ، وألا نسأم تكراره هو لماذا لم تحارب أمريكا التطرف اليهودي والتطرف الصربي ؟!

والجواب : لأن الكفر ملة واحدة تلك حقيقة قرآنية نبوية .

قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠]

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟

حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]

قال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]

الكفر ملة واحدة .. وأنا أسأل وأقول: متى سنربى أنفسنا، ونساءنا، وبناتنا وأولادنا، على عقيدة الولاء والبراء في شمولها وصفائها ؟.

متى ستزول حالة الغبش التي يحياها المسلمون إلا من رحم ربك ؟ متى ستزول هذه الحالة إن لم تزل الآن بعد هذه العلامات الناصعة البينة الواضحة على إرهاب وكفر وحقد هذه الأنظمة ؟

والعودة الصادقة إلى القرآن والسنة ليست نافلة ولا تطوعًا ولا اختيارا بل إنها شرط الإسلام وحد الإيمان ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن

يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦]

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١]

قال سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠]

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[يوسف : ٣٩]

العودة إلى القرآن والسنة ليست نافلة ولا اختيارا بل إنها شرط الإسلام وحَدُّ الإيمان .

المَعْلَمُ الثاني : **على طريق النجاة .**

ألا تضخم الأمة من قوة عدوها في الوقت الذي تُقَلِّلُ فيه من شأن طاقاتها ، وقدراتها ، وإمكانياتها .

فإن الأمة ليست ضعيفة ، ولا فقيرة ، لا من الناحية المادية ، ولا من الناحية الفكرية ، ولا من الناحية العلمية ، بل إن عقول الأمة في بلاد الشرق والغرب هي التي تبدع هنالك يوم أن أوصدت الأبواب في وجوهها في كثير من بلاد المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

فالأمة قوية وغنية وليست ضعيفة ولا فقيرة ، وليست مريضة ولا عاجزة ، ولكننا أُصبنا بطائفة من المُرْجِفِين ، ممن يضخمون قوة أعدائنا ، ويُقَلِّلُونَ

دومًا من شأننا وقدراتنا وطاقاتنا ، حتى أصيبت الأمة بأخطر هزيمة ألا وهي الهزيمة النفسية ، والمهزوم نفسيًّا مشلول الفكر والحركة .. فلنتحرر من هذه الهزيمة .

المَعْلَمُ الثالث : **رفع راية الجهاد في سبيل الله** .

أتمنى من كل قلبي لو تَبَنَّى رفع راية الجهاد زعيم عربي واحد بعد صلحه هو مع الله أولًا ، وتطبيقه لشرع الله في بلده ثانيًا ، وقال : يا خيل الله اركبي حي على الجهاد .

والله - الذي لا إله غيره - لانتفض من هذا النداء الشرق الملحد والغرب الكافر ، فهم يحرصون كل الحرص على أن تغيب قضية الجهاد عن الساحة لأنهم يعلمون أن راية الجهاد إن رُفِعَتْ لرفرفت راية الإسلام على كل بقاع الأرض ، كما رفرفت من قبل على أيدي سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم جميعًا -.

وفى الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالْعِينَةِ ، وَرَضِيتُمْ بالزَّرْعِ ، وتَبِعْتُم أَذْنَابَ البَقَرِ وَتَركْتُم الجِهَادَ فِي سَبِيْل الله ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلًّا لاَ يِنْـزِعُهُ عَنْكُم حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُم** »[1].

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع ، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند (٢ / ٢٨) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١١) .

المَعْلَمُ الرابع : المقاطعة الشاملة للمنتجات اليهودية والأمريكية .

يستطيع كل مسلم - الآن - أن يفعله ولا تَسْتَهِينُوا به ، لكن المصيبة أن كل مسلم يقول : وهل لو قاطعت أنا المنتج اليهودي والأمريكي سيتأثر الاقتصاد هنالك وسينتعش الاقتصاد المحلى ؟!

دعك من هذه السلبية القاتلة التي تخيم الآن في سمائنا .

يا أخي أنت مسئول .. فليحترق قلبك لهذه الأمة .. افعل شيئًا تستطيع أن تفعله .. والله - تبارك وتعالى - لن يسألك إلا في حدود قدراتك ، وطاقاتك ، وإمكانياتك .

أنت تقدر أن تفعل ذلك ، وإن قصرت فستسأل عن ذلك ، ولا تستهينوا بهذا ، فوالله لو قاطع المسلمون البضائع اليهودية والأمريكية لاختلت الحركة والموازين تمام الاختلال ، انظروا إلى حجم الواردات اليهودية والأمريكية إلى بلاد المسلمين ، لا تنظروا إلى مصر فحسب ولكن انظروا إلى الأمة .

وأخيرًا أيها الأحبة : لا تنسوا سِهام الليل - لست درويشًا والله بل أنا أعي ما أقول - وأعلم يقينًا أن التوكل الحقيقي هو الأخذ بالأسباب مع تعلق القلوب بمسبب الأسباب جَلَّ وَعَلَا ، فابذل ما استطعت وما تمكنت من الأسباب ، ولكن لا تنسى سهام الليل .. لا تنسى الدعاء .. وأنا أسألكم الآن سؤالًا واحدًا - وأستحلفكم بالله - هل كلنا يخص الأمة بدعوة في كل سجدة في صلاته ؟!

للأسف الشديد أن قلة قليلة فحسب من الأمة – ممن يحملون هَمَّ هذه الأمة في قلوبهم – هُم الذين يتذللون ويتضرعون إلى الله في كل سجدة أن يرفع الله الذل والهَمَّ عن أمة الحبيب المصطفى ﷺ . فلا تستهن بالدعاء ولا تيأس أبدًا من روح الله .

وأخيرًا أيها الأحبة : أُذَكِّرُ بقول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦]

وأُذَكِّر بقول الصادق المصدوق – الذي لا ينطق عن الهوى – كما في صحيح مسلم من حديث نافع بن عتبة أن النبي ﷺ قال : « **تَغْزُونَ جَزِيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ ، ثُمّ فارِسَ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ ، و تَغْزُونَ الدّجّالَ ، فَيَفْتَحُهُ الله** »[1].

والجولة القادمة بنص وعد النبي ﷺ هي غزو الروم ، ذلك وعدٌ لا يُكذب ، والله – جَلَّ وَعَلَا – يهيئ الكون كله الآن لهذه المرحلة ، إن الله يهيئ الأرض الآن للمهدي عليه السلام الذي سيقود الأمة كلها تحت ظلال الخلافة الراشدة لتغزو الأمةُ الرومَ بالتكبير لله الكبير – جَلَّ وَعَلَا – مصداقًا لقول البشير النذير الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٠٠) في الفتن ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

زَوَىَ لِيَ الأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَهَا ، وإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِىَ لِي مِنْهَا »[1].

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ،اللهم مَكِّنْ لدينك يا رب العالمين ، ربنا إننا مغلوبون فانتصر ،اللهم إنا نشكو إليك خيانة الخائنين وضعف الموحدين .اللهم ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واغفر ذنبنا ، واستر عيبنا ، وفك أسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .اللهم تَوَلّ خلاصنا ،اللهم إنا نسألك أن تجعل بلدنا مصر واحةً للأمن والأمان وجميع بلاد المسلمين . اللهم ارفع عن مصر الغلاء والوباء والبلاء وجميع بلاد المسلمين ،اللهم ارفع عن مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم لا تجعل لأحدٍ منا في هذا الجمع المبارك ذنبًا إلا غفرته ، ولا مريضًا بيننا إلا شفيته ، ولا دينًا إلا قضيته ، ولا ميتًا إلا رحمته ، ولا عاصيًا إلا هديته ، ولا طائعًا إلا ثَبَّتهُ ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) في الفتن ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، والترمذي رقم (٢١٧٧) في الفتن ، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

شعلة توقد شموس الحياة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أيها الأحبة :

«شعلة توقد شموس الحياة» هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك ، وكما تعودت حتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا سريعًا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم - تحت هذا العنوان - في العناصر التالية :

أولًا : الذِّكْرَى والجِرَاح !!

ثانيًا : رجال يمهدون الطريق .

ثالثًا : خطة محكمة .

رابعًا : طيف من الحنان .. وسحابة من الحب .

خامسًا : تضحية وفداء .

سادسًا : لماذا لم تهاجر ؟!

فأعيروني القلوب والأسماع والله أسأل أن يجعلنا من : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولاً : الذكرى والجراح

أحبتي في الله ...

لا حاضر لأمة تجهل ماضيها ، ولا مستقبل لأمة تنسى فضائلها ، وإذا كان الوقوف على الماضي لمجرد البكاء والنحيب والعويل فحسب هو شأن

الفارغين العاطلين ، فإن ازدراء الماضي بكل ما فيه من خير ونور هو شأن الحاقدين الجاهلين ، ولقد حاول أعداء الأمة بكل سبيل أن يَحُولُوا بين الأمة وبين ماضيها المشرق المجيد .. حتى لا تستمد الأمة من الماضي شعلة توقد شموس الحياة .. وحتى لا تستمد الأمة من الماضي دائمًا نسمة زكية تتدفق في عروق المستقبل والأجيال ، وبالفعل أصبحت سيرة النبي ﷺ تعرض لمجرد الإعجاب السالب أو لمجرد الثقافة الذهنية الباهتة الباردة ، وكأننا لسنا مطالبين أن نُحَوِّلَ هذه السيرة الزكية العطرة في حياتنا إلى واقع عملي وإلى منهج حياة .

فأمتنا المسكينة في هذه الأيام تحتفل بذكرى هجرة النبي ﷺ ، وجراحها تنْزف في كل مكان في فلسطين ، وفي كوسوفو ، وفي البوسنة ، وفي الصومال وفي كشمير ، وفي طجكستان ، وفي تركستان ، وفي الفلبين ، وفي الجزائر ، وفي كل مكان ، فالأمة جراحها تنْزف بغزارة ولا زالت تحتفل بذكرى الهجرة .. بل وتتغنى في حق النبي ﷺ بأبلغ الكلمات !!

نعم جراح الأمة تنْزف في كل مكان .. فقد انتهك عرضها .. واحتلت أرضها .. وضاع شرفها .. وزال عزها ، وأهين قرآنها ، ونبيها ، والأمة مهانة ذليلة .. والأمة في سُبَاتٍ عميق ، وإن تحركت الأمة من سباتها فهي لا تجيد إلا لغة الشجب والاستنكار . ولله در القائل :

يا أمةً عَجْـزُهَا قَـدْ صَـارَ قَائِدُهَـا ... وَضَعْفُهَا لمَ يَعُدْ في الضَّربِ إلاَّ هُو
يا أمـةً في خَـرِيفِ العُمْـرِ نائمــةً ... تَلُـوكُ ماضٍ لهَا في القَـبرِ مَثْـوَاهُ
هَـانَتْ عَـلَى نَفْسِهَا فَاسْـتُعْبِدَتْ ... وَوَنَتْ وَسَلَّمَتْ كَنْزَهَا للصِّ يَرْعَاهُ
آسادُهَا رُوِّضَتْ في الأَسْرِ طائعةً ... فَأُسْـدُه دُونَ أُسْـدِ الأرضِ أَشْبَاهُ
إنْ عَـمَّ خَطْـبٌ بها فالكـلُّ أَلْسِنَةٌ ... للشَّجْبِ يا صَاحِبِي والكُلُّ أَفْوَاهُ

ولله در القائل ..

أهٍ يا مُسْـلِمُون .. مُتْنَـا قُـرُونًا ... والمُحَـاقُ الأَعْمَـى يَلِيـهِ مُحَـاقُ
أي شَيْءٍ في عَـالَمِ الغَـابِ نَحْـنُ ؟ ... آدَمِيُّـونَ أَمْ نِعَـاقٌ تُسَـاقُ
نحَنُ لحَـمٌ للوحـوشِ والطَّيرِ مِنّا ... الجثَثُ الحُمْـرُ والـدَّمُ الدَّفَّـاقُ
وعَلَى المُحْصَنَاتِ تَبْكِـى البَـواكِي ... يَا لَعِـرْض الإسْـلامِ كيفَ يُـرَاقُ
قَـدْ هَوَيْنَـا لَمَّا هَـوَتْ وأَعِـدُّو ... مِـن الـرَّدَى تِرْيَـاقُ
واقْتَلَعْنَـا الإِيمَـانَ فاسْـوَدَّتِ ... الدُّنْيَا عَلَيْنَـا ، واسْوَدَّتِ الأَعْمَاقُ
وإِذا الجِـذْرُمَاتَ فـي بَاطِـنِ ... الأَرْضِ تمَوُتُ الأَغْصَانُ والأَوْرَاقُ

أهٍ يا مسلمون .. والله إن العين لتدمع ، وإن القلب ليتمزق كمدًا وأسى على ضعف المؤمنين والموحدين ، وعلى قلة حيلة الصادقين المخلصين من هذه الأمة ، وعلى تمرد المشركين وخيانة المنافقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن الأمة الآن تحتفل بذكرى الهجرة وهي لا تعي حقيقة ما تحتفل به ، فالأمة تتغنى بالهجرة على كل المستويات .. في كل بقاع الأرض ، وهي لا

تعي أن الهجرة شعلة توقد شموس الحياة ، وهي لا تعي أن الهجرة عطاء متجدد ، وهي تجهل أنها لن تسلك طريقها للعزة والكرامة - وسط صخور الكفر ، وحجارة الشرك العنيدة ، وأحجار النظام العالمي الجديد الصلدة - إلا برجال يحفرون هذه الصخور والحجارة بالعرق والدماء ، رجال يحاكون الأطهار الأبرار الذين ضحوا بأنفسهم ، وأوقاتهم ، وأولادهم ليمهدوا الطريق لهجرة النبي ﷺ . بل إن شئت فقل ليجعلوا جماجمهم وأشلاءهم ، ولحومهم ، ودماءهم سدا منيعًا يَعْبُر عليه المصطفى بعقيدته وبإسلامه العظيم إلى الدنيا كلها ، وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء .

ثانيًا : رجال يمهدون الطريق .

نعم لقد مَنَّ الله على النبي ﷺ برجال ضمدوا جراحه ﷺ .. إنهم نفر قليل مبارك ، كانوا اثني عشر نفر من الخزرج .. هذه هي البداية .. وهذه هي القاعدة ،هذا النفر القليل الكبير بايعوا مع النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى ، ثم انطلقوا مع معلمهم الرشيد الحكيم مصعب بن عمير ﷺ إلى يثرب ليزرعوا شجرة التوحيد بين صخور الشرك وحجارة الكفر في المدينة ، وسرعان ما ترعرعت شجرة التوحيد بل وأثمرت .

ولم لا ؟! وقد عادوا في العام التالي مباشرة ، وكانوا سبعين رجلًا ليبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية ، وفيها بايعوا رسول الله ﷺ على السمع

والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن يقولوا لله لا يخافوا لومة لائم ، وعلى أن ينصروا النبي ﷺ إذا هاجر إليهم ، ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ، وأموالهم وأولادهم وأزواجهم ، ولهم الجنة ، والحديث بطوله رواه أحمد وابن هشام والبزار وغيرهم وهو حديث صحيح .

نعم هذه أركان البيعة الثانية ، ولذا اعلم يقينًا أنه لا عزة للأمة ، ولا كرامة إلا إذا قام كل فرد فيها وأعلن هذه البيعة من جديد وعاهد ربه سبحانه ، وعاهد النبي ﷺ على أن يكون جنديا وَفِيًّا لأركان هذه البيعة بحروفها وكلماتها .

نعم .. لقد عاهدوا النبي ﷺ ، وبالفعل استطاع النبي ﷺ ، بفضل الله ثم بفضل دعوته الصابرة الحكيمة الراشدة ، ثم بفضل هؤلاء الرجال الأبطال الأطهار الأبرار من الأنصار أن يؤسس للإسلام وطنًا وسط صحراء تموج بالكفر موجًا .

وبالفعل بدأت طلائع الهجرة المباركة تصل إلى المدينة .. بدأ المقهرون المعذبون تحت سياط صناديد الشرك في مكة يهربون ، ويفرون ، وَيُضَحون بالوطن ، والأموال ، والعلاقات بل بالنفس والدماء من أجل العقيدة .. من أجل كلمة لا إله إلا الله .. من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، وحَلَّ المهاجرون - لا أقول في بيوت الأنصار ودورهم - وإنما حَلَّ

المهاجرون في عيون الأنصار وقلوبهم ، وصدق ربي إذ يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩]

نعم لقد حَلَّ المهاجرون في القلوب والعيون ، وهنا أمر الله نبيه أن يهاجر هو الآخر ، يقول ابن عباس ﷺ ، والحديث في مسند الإمام أحمد ، وسنن الترمذي ، وهو حديث حسن : « كان رسول الله ﷺ بمكة فَأُمِرَ بالهجرة ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] [1].

وهنا خطط النبي ﷺ للهجرة خطة محكمة دقيقة مسددة ، وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز لأُعَرِّجَ على كل عناصر الموضوع .

ثالثا : خطة محكمة

نعم .. خرج النبي ﷺ وصاحبه ، وقد وضع للهجرة خطة مدروسة دقيقة وأتمنى أن لو وعت الأمة هذا الدرس من رسول الله ﷺ ، فإنني أرى الأمة الآن قد تخلت عن التخطيط والتنظيم والأخذ بالأسباب كأمة النبي

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣١٣٨) في التفسير ، باب ومن سورة بنى إسرائيل وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٢٣) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .

ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله . نعم لقد خطط النبي للهجرة ابتداءً من أمره لعلي ﷺ لينام في فراشه ؛ ليخدع الطواغيت الذين أعمى الحقد أعينهم وقلوبهم ؛ لأنهم ما تجمعوا إلا للانقضاض على النبي لقتله ، فإن البرلمان الشركي في مكة قد عقد اجتماعًا طارئًا ، واتخذ قرارًا بالإجماع ، بقتل محمد ﷺ لقطع تيار نورها عن الوجود نهائيا ، ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وكان مما أنزل الله ﷻ من القرآن الكريم في ذلك اليوم : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠][1].

إن الله عصم نبيه ﷺ وحفظه ، فها هو يخرج بعد أن خدع - فالحرب خدعة - صناديد الكفر والشرك الذين ما انتهوا لخيبتهم الكبيرة العريضة إلا والصبح يتنفس في وجوههم ، فينظرون فيعلمون يقينًا أن الذي يتغطى بالبُرْد النبوي هو علي بن أبي طالب ، ذلكم الفدائي العظيم الذي عَلَّمَ الدنيا حقيقة التضحية ، وشرف البطولة ، وعظمة الفداء .

وينطلق المشركون ينقبون بين الصخور ، بل ويقلبون الحجارة في الجبال بل ، وينقبون بين الرمال على النبي المختار ﷺ ، ولكن انظروا إلى دقة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٤٨) وقال الشيخ شاكر في إسناده نظر من أجل عثمان الجزري وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧) : رواه أحمد والطبراني وفيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٤) وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي .

تخطيط النبي ﷺ ، فهو يعلم أنهم سيتجهون شمالًا إلى المدينة يبحثون عنه وصاحبه في دروبها وطرقها ، فيتجه جنوب مكة ليضلل المطاردين حتى تهدأ حركة المطاردين ، ويخرج بعد ذلك هو وصاحبه الصديق الأمين ، ويمكث النبي ﷺ في الغار ثلاثة أيام حتى تهدأ الحركةُ تمامًا ، وعبد الله بن أبي بكر يُكَلَّفُ هو الآخر - وهو الجندي الأمين في هذه المعركة - بأن يسمع الأخبار جيدًا بفهم دقيق ، ووعي عميق ؛ ليكون في النهار بين القوم وفي الليل بين يدي النبي ﷺ ينقل له أخبار القوم ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، ذلكم الراعي الأمين ، يأتي في أول الليل ليقدم اللبن والطعام للنبي وصاحبه ، ولتمحوا آثار أقدام الأغنام آثار الأقدام ، انظروا إلى التخطيط !! وبعد انتهاء المدة بحسب المكان المحدد والموعد المضروب ، ينتظر رجل مشرك وثق النبي في أمانته ، لكنه رجل عالم خبير بدروب الصحراء يعلم أقصر الطرق للمدينة ، فيأمره الصديق أن ينتظر في المكان المحدد بالبعيرين الذين أُعِدَّا لهذه الرحلة الطويلة الشاقة ، ويخرج النبي وصاحبه لينطلقا إلى يثرب .

أيها الأحبة الكرام :

خطة دقيقة محكمة .. أتمنى لو وعت الأمة الآن أن الأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل ولا يقدح فيه ، فإن رسول الله ﷺ لم يترك سببًا من أسباب الحيطة والحذر إلا وأخذ به ، وهو في الوقت ذاته يعلم أن الأسباب

وحدها لا تضر ولا تنفع ، ولا ترزق ولا تمنع ، إلا بأمر مسبب الأسباب - جَلَّ وَعَلَا - ويُفَاجَأ الصِّدِّيق بمفاجأة تهز قلبه هزا ، فتنحبس أنفاسه ، وهو ينظر إلى الطغاة المطاردين ، البغاة المجرمين يحاصرون المكان ، وفي أنفاس متهدجة منقطعة يقول لحبيبه وخليله : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا ؟ فيرد عليه النبي بلغة يحدوها الأمل وبقلب يملؤه اليقين : « **يا أبا بَكْرٍ ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا** »(١).

قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠]

فمن توكل عليه كفاه ، ومن اعتصم به نجاه ، ومن فوض إليه أموره هداه ، قال جَلَّ في علاه : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣]

تمنيت - بكل قلبي - أن لو وَعَتْ الأمة عظمة وحلاوة التوكل ، فأخذت هذا الدرس ، فأخذت بأسباب العزة والتمكين والنصرة والاستخلاف ، وتوكلت على الله ، وهي تعلم يقينًا أن الأسباب لا تنفع ولا ترزق ، ولا تمنع إلا بأمر مسبب الأسباب جَلَّ وَعَلَا .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٥٣) في فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين ، ومسلم (٢٣٨١) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ .

أيها الأحباب : إننى ألمح حبا غامرًا وطيفًا من الحنان العجيب الذى سربل به أبو بكر حبيبه المصطفى وهذا هو عنصرنا الرابع من هذا اللقاء .

رابعًا : طيف من الحنان .. وسحابة من الحب

والله لو وقفتم أمام قواميس لغة العرب ، لتقف على مترادفات الحب والإيثار ، والوفاء والإخلاص ، والصدق والشهامة ، والرجولة والغيرة والمروءة إلى آخر هذه المترادفات .. سترون المترادفات كلها تتواري خجلًا وحياءً أمام عظمة هذا العملاق الكبير ، الذي يزن بين الرجال وحده أُمَّةٌ ، الذي كان طيف من الحنان وسحابة من الحب ، الذي جعل من جسده الطاهر درعًا أمينًا يحمى به حبيبه وخليله المصطفى ﷺ .

فتراه في طريق الهجرة يكثر الالتفات خائفا على حبيبه ، ويسأله النبي ﷺ عن سبب ذلك فيقول الصديق : يا رسول الله .. إن مشيت أمامك خشيت أن تؤْتَى من خلفك ، وإن مشيت خلفك خشيت أن تُؤْتَى من أمامك .

فهو يخاف على النبي ﷺ من أولئك الذين خرجوا يطلبون رسول الله ﷺ حيا أو ميتًا ليحصلوا على هذه الغنيمة الثمينة التي رصدتها قريش لأي فارس يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه .

انظروا إلى حنان الصِّديق ... الصِّديق مع رسول الله ﷺ في هذا السفر

الطويل الشاق بلا نزاع ، ولكن يقول كما في الصحيحين من حديث البراء ابن عازب وفيه يقول أبو بكر ﷺ : « أدلجنا من مكة ليلًا ، فأحْيَيْنا ليلتنا ويومنا حتى أَظْهَرْنَا وقام قائم الظهيرة[1] فرميت ببصري : هل أرى ظِلا من ظل نأوي إليه ؟ ، فإذا صخرة فانتهيت إليها ، فإذا بقية من ظل لها فسوَّيْتُه ثم فرشت لرسول ﷺ فرْوَةً ثم قلت : اضطجع يا رسول الله ، فاضطجع النبي ﷺ ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطَّلَبِ أحد ، فإذا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا « يعنى الظل » فسألته : لمن أنت يا غلام ؟! قال : أنا لرجل من قريش ، فسماه فعرفته فقلت له : هل في غنمك من لبن ؟! قال : نعم . قلت : هل أنت حالب لي ؟! قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاةً من غنمه ، وأمرته أن ينفض ضرعها من التراب ، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا ، فضرب إحداهما على الأخرى ، فحلب لي كُثْبَةً من لبن . يقول الصديق : قد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فَمِهَا خِرْقَةٌ ، فأخذت أصب على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به إلى النبي ، فَوَافَيْتُهُ قد استيقظ فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رَضِيتُ . ثم قلت : يا رسول الله أو قد آن الرحيلُ يا رسول الله ؟ قال : « نَعَمْ » ، فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم

---

(١) الوقت الذي تعامد الشمس فيه على الأرض .

يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ، فقال : ((**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**))[1].

أيها الأحبة الكرام ..

ومن هنا استحق الصديق أن يتبوأ ذروة سَنَام الصِّديقية في هذه الأمة بجدارة واقتدار ، بل واستحق أن يكون رفيق النبي ﷺ في الدنيا ، وأن يكون رفيق النبي في القبر ، وأن يكون رفيقه في جنات النعيم ، فهو الخليل والصاحب في جميع الأسفار والأطوار ، وهو ضجيع النبي في الروضة المحفوفة بالأنوار ، وهو رفيق النبي في جنة العزيز الغفار .. ولم لا ؟! وقد كان الصديق أحب الخلق إلى قلب المصطفى ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص قلت : يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : ((**عائشة**)) قلت : من الرجال ؟ قال : ((**أَبُوهَا**)) قلت : ثم من ؟ قال : ((**عُمَرُ**))[2].

وها أنا ذا ألمح طيفًا آخر وسحابة أخرى من الحنان تظلل على النبي في آخر طريق الهجرة ، وعلى أول حبات التراب في يثرب ، أرى طيفًا من

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٥٢) في فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين ، ومسلم رقم (٢٠٠٩) في الزهد ، باب في حديث الهجرة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٦٢) في فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ ((**لَوْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خليلًا**)) ومسلم رقم (٢٣٨٤) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر ﷺ .

الحنان وسحابة من الحب من الأنصار الأطهار الأبرار الذين فرحوا باستقبال النبي المختار ، بل وقام سيد كل قبيلة يأخذ بخطام ناقة النبي يريد أن يتشرف باستضافة النبي ﷺ ، والرسول يقول لهم : « **خَلُّوا سَبِيلَهَا ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ** » أي في الموطن الذي يختاره الله لنبيه ستبرك الناقة فتركوا سبيلها ، وفى حائط لبني النجار من أخوال النبي ﷺ المختار ، بركت الناقة ، وانطلق أبو أيوب الأنصاري ﷺ ليأخذ رحل النبي ، وكانت دار أبي أيوب تتكون من طابقين .

عن أبي أيوب ﷺ أن النبي ﷺ نزل عليه ، فنَزل النبي ﷺ في السّفْلِ (أي : في الدور الأرضي) ، وأبو أيوب في العُلْوِ ، قال : فانتبه أبو أيوب ليلة ، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ ! فَتَنَحّوْا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « **السّفْلُ أَرْفَقُ** » فقال : لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحوّل النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل ، فكان يصنع للنبي ﷺ طعامًا ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه . فيتتبع موضع أصابعه ، فصنع له طعامًا فيه ثوم ، فلما رُدّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ ، فقيل له : لم يأْكل . ففزع وصعد إليه ، فقال : أحرام هو ؟ فقال النبي ﷺ « **لا ، ولَكِنِّي أَكْرَهُهُ** » قال : فإني أكره ما تكره - أو ما كرهته - [1] .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٢٠٥٣) في الأشربة ، باب إباحة أكل الثوم وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤١٥) .

أيها الأحبة ..

أي : إجلال هذا ؟! وأي حنان هذا ؟! وأي حب هذا ؟! بل وأي اتباع هذا ؟! لقد أحبوا النبي ﷺ وكرهوا ما كرهه النبي ﷺ وامتثلوا كل أوامر النبي ﷺ واجتنبوا كل نواهي النبي ﷺ ووقفوا عند حدود النبي ﷺ !!

فَمَنْ يَدعي حُبَّ النَّبيِّ وَلَمْ يَفِدْ من هَدْيِهِ فَسَفَاهَةٌ وهُراءُ
فالحُبّ أول شَرْطِهِ وفُروضِهِ إِنْ كَانَ صِدْقًا طَاعَةٌ وَوَفَاءُ

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

بل وهذا عروة بن مسعود الثقفي يرى النبي ﷺ مع أصحابه في الحديبية فيرجع إلى قومه من قريش ليقول لهم : يا قوم ، والله لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والنجاشي ، والله ما رأيت مَلِكا يعظمه أصحابه كما رأيت أصحاب محمد يعظمون محمدًا ، والله .. ما تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وقعت في كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَّكَ بها وجهه وجِلْدَهُ ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، ولا يرفعون أصواتهم عنده ، ولا يُحِدُّون النظر إليه إجلالًا له وتعظيمًا . والحديث رواه البخاري[1] بطوله .

أَيُّ حُبٍّ هذا أيها الأحبة الكرام ؟! وأي إجلال ؟!

---

(١) رقم (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) في الشروط ، باب الشروط في الجهاد .

أقول : لولا هذا الحب ما رأينا هذه النماذج المشرقة ، وما وقفنا على هذه الصور العظيمة الجليلة ، من صور التضحية ، والفداء ، وهذا هو عنصرنا الخامس من عناصر اللقاء ألا وهو :

خامسًا : تضحية وفداء

هذا هو الصديق ﷺ ، وهذا عبد الله بن أبي بكر ، وهذه عائشة ، وأسماء ، وعامر بن فهيرة ، ومن قبل هؤلاء أصحاب النبي المختار الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية الجماعية ، بالنفس ، والوطن ، والأرض ، والأهل ، والمال ، من أجل العقيدة إذ أن الهجرة لم تُكَرَّم ؛ لأنها سفر من مكة إلى المدينة ، ولم تكرم ؛ لأنها انتقال من مكان إلى مكان ، بل كُرِّمَتْ لأنها تضحية للعقيدة ، لأنها إعلاء لكلمة الله ، لأنها انتقال عقدي ونفسي وروحي وخلقي إلى حيث أراد الله ، وإلى حيث أراد رسول الله ﷺ ، وكيف يُنْسَى عليّ ﷺ في هذا الموطن ؟!!

ذلكم البطل الصغير الكبير لقد كان شابا في ريعان شبابه ، ينام في فراش النبي ﷺ ، ويتدثر بِبُرْدِهِ الأخضر الحضرمي ، بل وهو على أتم استعداد أن يتشح بالدماء ليفدِ بنفسه حبيبه المصطفى ﷺ ، والله .. كلما تذكرت هذا المشهد لعليّ ﷺ أشعر بضآلة حقيرة لنفسي ، وأعلم في الوقت ذاته لماذا انتصر الإسلام ؟ .

ففي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف قال : بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، فغمزني أحدهما وقال لي : يا عم .. هل تعرف أبا جهل ؟ فقلت له : نعم ، وما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ فقال : أُخْبِرْتُ أنه يَسُبُّ رسولَ الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال لي مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول في الناس فقلت : ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال : « **أَيُّكُمَا قَتَلَهُ** » قال كل واحد منهما : أنا قتلته ، فقال النبي ﷺ : « **هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا** ؟ » قالا : لا فنظر في السيفين فقال : « **كلاكُمَا قَتَلَهُ** »[1] .

هل تعرفون من البطلين ؟! هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضى الله عنهم أجمعين وعن جميع أصحاب النبي الذين تربوا على التضحية والبذل والفداء وحققوا الحب لرسول الله ﷺ .

أيها الأحبة الكرام :

لماذا لا نحرص على هذا الأجر ؟! لماذا نحرم أنفسنا من هذا الفضل ؟!

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣١٤١) في فرض الخمس ، باب من لم يخمس الأسلاب ، ومسلم رقم (١٧٥٢) في الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل .

لماذا لا يحرص أحدنا أن يُحَصِّلَ ثواب الهجرة ؟!

لذا كان سؤالي الأخير ألا وهو آخر عناصر اللقاء : **لماذا لم تهاجر ؟!** سؤال عجيب ولكن بالجواب يزول العجب والإشكال ؟!

سادسًا : لماذا لم تهاجر ؟!

إذا علمت أيها الحبيب أن الهجرة بالجسد في المدينة هي وحدها التي انقضت لقول ابن عمر كما في الصحيحين « **لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِية** »[1] ولكن بقيت هجرة .. هجرة باقية ولكن ما هي ؟!

إنها الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، ومن البدعة إلى السنة ، ومن الحرام إلى الحلال ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن الشر إلى الخير ، ومن المعصية إلى الطاعة ، فلماذا لم تهاجر ؟!

سأزف إلى حضراتكم بشارة في آخر اللقاء ، والله الذي لا إله إلا هو لو وضعت في كفة ووضعت كنوز الأرض في كفة لرجحت كفتها سأذكر فيها حديث النبي ﷺ ، والحديث رواه مسلم من حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال : « **العِبَادَةُ في الهَرْجِ[2] كَهِجْرَةٍ إلَيّ** »[3].

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٨٩٩) في مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه .

(٢) المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس .

(٣) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٤٨) في الفتن ، باب فضل العبادة في الهرج .

لماذا لم تهاجر ؟! هاجر الآن ، اتبع النبي في هذه الفتن ، عض على السنة بالنواجذ في هذه الفتن ، استمسك بالقرآن والسنة ، الزم غَرْسَ النبي ، وسِرْ مع العلماء الأفاضل الكرام ، ولا تمت إلا على الإسلام ؛ لتنال الآن أجر هجرة إلى النبي ﷺ .

مغبون ورب الكعبة من حُرِمَ هذا الفضل ، ومن حرم من هذا الخير فهاجر أيها المسلم من البدع إلى السنن ، ومن الحرام إلى الحلال ، ومن الشر إلى الخير ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن البعد عن الله ورسوله إلى القرب إلى الله ورسوله ، هذه الهجرة لا تنقطع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أيها اللاهي .. أيها الساهي .. أيها العاصي .. أيها الصَّاد عن سبيل الله أيها المحروم من قرب الله .. متى ستتوب إلى الله ؟! متى ستهاجر إلى الله ؟!

دَعْ عَنْكَ ما قَدْ فَاتَ في زَمنِ الصِّبَا ... واذْكُرْ ذُنُوبَكَ وابْكِهَا يا مُذْنِبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَل أَثْبَتَاهُ وأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
والروحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بالرَّغْمِ مِنْكَ وتُسْلَبُ
وغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
اللَّيْلُ فَاعْلَمْ والنَّهَارُ كِلاَهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهِمَا تُعَدُّ وتُحْسَب

أَبَتْ نَفْسِي أَنْ تَتُوبَ فَمَا احْتِيَالِي ... إِذَا بَرَزَ العِبَادُ لِذِي الجَلاَلِ
وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهُمُ سُكَارَى ... بِأَوْزَارٍ كَأَمْثَالِ الجِبَالِ
وَقدْ نُصِبَ الصِّرَاطُ لِكَيْ يَجُوزُوا ... فَمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ عَلى الشِّمَالِ
ومَنْهُمْ مَنْ يِسِيْرُ لِدَارِ عَدْنٍ ... تَلَقَّاهُ العَرَائِسُ بِالأغَانِي
يَقُولُ لَهُ الْمُهَيْمِنُ يا وَلِيِّ ... غَفَرَتُ لَكَ الذّنُوبَ فَلاَ تُبَالِي

متى تهاجر إن لم تهاجر الآن ؟! متى تترك المعصية إن لم تتركها الآن ؟! متى سيرق قلبك إن لم يرق قلبك الآن ؟! متى ستدمع عينيك إن لم تدمع الآن ؟! عد إلى الله جَلَّ وَعَلَا .. هاجر من المعاصي إلى الطاعات .. هاجر حيث الرضا إلى مرضات الله جَلَّ وَعَلَا .. إلى مرضات رسول الله ﷺ .

أسأل الله أن يعلمنا دروس الهجرة ، وأن يجعلنا أهلًا لفهمها ، وأن يعيننا لتحقيقها ، وعلى تحويلها من حياتنا إلى واقع عملي ومنهج حياة .

.... الدعاء

ردة .. لا أبا بكر لها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

ثم أما بعد : رِدَّةٌ .. لا أبا بكر لها !!

هذا هو عنوان لقائي مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، وكعادتي حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في هذا الموضوع الكبير في العناصر المحددة التالية :

أولًا : ظلامٌ فكري دامس .

ثانيـًا : ما السبيل ؟!

وأخيرًا : لا تيأسوا من روح الله .

والله أسأل أن يقر أعيننا بعقيدة التوحيد والموحدين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : ظلامٌ فكريٌّ دامس

أيها المسلمون : مازال الإسلام العظيم منذ أن بَزَغَ فجره ، واستضاء نوره إلى يومنا هذا .. ما زال مستهدفا من قِبَلِ أعدائه .. أعداء الطُّهْرِ والفضيلة والشرف ، الذين يتفننون للنيل من هذا الدين العظيم .

إن عقيدة التوحيد - كانت بالأمس القريب - إذا مُسَّ جانبها وتطاول عليها قزمٌ أو صنمٌ حقير سَمِعَتْ هذه العقيدة المشرقة أبا بكر يتوعد ، وسمعت الفاروق يزمجر ، وسمعت خالد بن الوليد يصرخ ، ورأيت الصادقين من الرجال الأطهار الأبرار يبذلون من أجل نصرتها الغالي والنفيس ، بل والدماء والمهج والأرواح .

يوم أن خرجت فتنة الردة - بعد موت المصطفى ﷺ - وقام الصديق المبارك التي تحولت هذه المحنة بين يديه إلى منحة .. يوم أن أعلنها صريحة مدوية : والله - لأقاتلن من فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة .

وشرح الله صدر أبي بكر وعمر وصحابة النبي - رضوان الله عليهم - لقتال هؤلاء المرتدين الذين فَرَّقوا بين الصلاة والزكاة .

لكننا نشهد اليوم ردة من نوع خبيث جديد لكن أين الصديق ؟! أين أبو بكر ؟! إنها ردة خبيثة ولا أبا بكر لها .

إننا نشهد الآن حربًا على الإسلام ، لكنها حربٌ من نوع خبيث جديد .. إنها حربٌ فكرية .. حربٌ ثقافية .. حربٌ عقدية .. إن المجرمين يعلمون الآن أن أخطر وسائل محاربة هذه العقيدة هي الحرب الفكرية ، فهم يُشِنُّون الآن حربًا هوجاء .. لا على الفرعيات والجزئيات .. بل على الثوابت والأصول والأركان والكليات .

أيها المسلمون : لا تظنوا أن كتابًا واحدًا هو الذي تطاول على عقيدة التوحيد ، وعلى القرآن ، وعلى ذات الرحيم الرحمن ، كلا .. كلا .. ليس كتابًا بل هي كُتب ، بل هو مخطط مدروس خبيث .

نعم أيها المسلمون ليس كتابًا واحدًا ولكنها كتب تمثل منهجًا مدروسًا ومخططًا خبيثا ، وأستطيع في نقاطٍ مُحَدَّدَة جدا أن أُبَيِّنَ لحضراتكم الخطوات الخبيثة والمراحل الخطيرة لهذا المنهج المدروس ، ولهذا المخطط

الخبيث ، ولهذه الردة الجديدة .

أولًا : بدأوا هذا المخطط الخبيث بالحرب على النص مع التضخيم المستمر والمتعمد للعقل ، حتى جعلوا العقل إلهًا يُعْبَدُ من دون الله ؛ ليسقطوا بالعقلانية المزعومة قُدْسِيَّة النصوص ، بل أعلنوا ذلك صراحةً فقالوا : لابد من إلغاء القاعدة المتفق عليها والتي تقول : [لا اجتهاد مع النص] لأن هذه القاعدة تشكل حكرًا على العقل البشري في عصر الألفية الثالثة ، لقد أبدع العقل إبداعًا .. فَجَّرَ الذرة .. وغاص في أعماق البحار .. وانطلق في أجواء الفضاء .. وحَوَّلَ العَالَمَ كله إلى قرية صغيرة عن طريق هذا التكنيك المذهل في عالم الاتصالات .

فلا ينبغي أن يقال - لهذا العقل المبدع - لا اجتهاد مع النص ، بل يجب على هذا العقل المبدع أن يجتهد مع النص ، حتى ولو كان هذا النص ثابتا في القرآن أو في سنة النبي عليه الصلاة والسلام .

ويصير النص القرآني والنبوي ، ومن ثَمَّ يصير دين الله أُلْعُوبَةً بين يدي البشر بل عقول مهازيل البشر ، فترى من يحكم على نص ثابت في القرآن بأنه لا ينبغي أن يفهم إلا بالكيفية الفلانية ، وذلك من خلال النظرية العلمية المعاصرة ، وترى عقلًا عفنًا آخر ينكر السُّنة - كما نرى ونسمع كل يوم - ويلغي الأحاديث الصحيحة الثابتة في أصح الكتب بعد القرآن ، بدعوى أن هذه الأحاديث تصطدم مع العقل اصطدامًا مباشرا ،

وتصطدم مع العلم الحديث ، والنظريات العلمية المعاصرة .

وأنا أقول : لا ينبغي أن يفهم العلمانيون أننا نريد أن نسقط مكانة العقل .. كلا بل إن نور الوحي لا يطمس نور العقل أبدًا .. بل يبارك نورُ الوحي نورَ العقل ، ويزكي الوحي العقل ويحتفي به أيما احتفاء ، ويلفت القرآن الأنظار إلى مكانة العقل والتعقل والتدبر في آيات كثيرة قال تعالى : « **أَفَلَا يَعْقِلُون** » وقال تعالى : « **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ** » وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠]
وذلك كثير جدًا في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا .

ولكن ليس معنى ذلك أن يصبح العقل حاكمًا على النص القرآني والنبوي - فلا يمكن أن يتعرف العقل على ذات الله - جَلَّ جَلَالُه - وعلى أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وعلى أركان ديننا ، ونصوص إسلامنا ، دون أن يرجع إلى النص القرآني ، والحديث النبوي ورحم الله ابن القيم إذ يقول :

لاَ يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ دُونَ الوَحْي ... بِهِدَايَة ، تَأْصِيلًا وَلاَ تَفْصِيلًا
كَالطَّرْفِ دُونَ النُّورِ لَيْسَ بمُدْرِكٍ ... حَتى يَرَاهُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا
نُورُ النبوَةِ مِثْلُ نُورِ الشمْسِ ... لِلْعَينِ البَصِيرَةِ فَاتَّخِذْهُ دَلِيلًا
فَإذَا النبوَة لمَ يَنَلْكَ ضِيَاؤُهَا ... فَالعَقْلُ لاَ يَهْدِيكَ قَطُّ سَبِيلًا
طُرُقِ الهُدَى محدُودَةٌ إلا عَلَى ... مَنْ أَمَّ هَذَا الوَحْي وَالتَنْزِيلَا

فَإِذَا عَدَلْتَ عَنْ الطَرِيقِ تَعَمُّـدًا فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَرَدَّت وُصُـوَلًا
يَا طَالِبًا دَرْكَ الهُـدَى بالعَقْـلِ دُونَ النَّقْلِ لَنْ تَلْقَى لِذَاكَ دَلِيلًا

ثم تجاوز هؤلاء العلمانيون المجرمون هذه المرحلة من مراحل هذا الظلام الفكري ، والكفري الدامس ، إلى المرحلة الثانية ألا وهى : التشكيك فِيمَنْ نقل إلينا النص وهم الصحابة - رضوان الله عليهم -

يضخمون العقل لإلغاء النص ، ثم يشككون في حَمَلَةِ النَّصِّ !! فأعلنوا الحرب الهوجاء على الصحابة الأطهار الأبرار الأخيار ، فخرج علينا ساقط وضيع وشيخ من شيوخ الضلال ليقول في كتابٍ من كتبه الخبيثة ، وليس من الحكمة أن أذكر أسماء هذه الكتب ولا أسماء الساقطين ممن سطروها .

يقول هذا الشيخ الضال المضل : إن الصحابة كانوا يمثلون مجتمعًا متحللًا مشغولًا بالرذائل ، والهوس الجنسي ، ولم تكن التجاوزات مقصورة على مشاهير الصحابة ، بل تعداهم إلى صحابيات معروفات !!

ثم يقول الخبيث : ولما كان التقاء الذكر بالأنثى ، والأنثى بالذكر ، طقسًا يوميًّا من الطقوس الاجتماعية المعتادة في مجتمع يثرب ، فقد اضطر محمد - رفعا للحرج - أن يبيح لأصحابه أن يمروا في المسجد وهم جُنُب !!

ويقول خبيثٌ آخر : لما أرسل عليٌّ - رضوان الله عليه - ابنته أم كلثوم إلى عمر بن الخطاب ﷺ ليخطبها أسرع إليها عمر ليكشف الثوب عن ساقيها ليعاين جودة البضاعة !!!

صحابة النبي الأطهار يُتكلم عنهم بمثل هذه البذاءة ؟!!

أتحدى هذا المجرِم الأثيم .. أتحداه وأتحدى أشكاله وأمثاله أن يتطاولوا على قسيس أو على مسئول أو على حاكم ، ولكنهم يتطاولون على القمم على أصحاب النبي الأطهار !!

وأكتفي لأشفى ما في قلبي وقلوب المسلمين بمقولة للإمام مالك - إمام دار الهجرة - يقول : إذا وَجَدْتَ الرجل يحمل في قلبه غيظًا على أحدٍ من أصحاب النبي فقد أصابه قول الله تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ في الآية الكريمة من سورة الفتح ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩]

وقال الحافظ أبو زرعة - رحمه الله تعالى - : هؤلاء يريدون أن يهدموا الصحابة ليبدلوا القرآن والسنة وذلك أن الله حق ، وأن القرآن حق ، والرسول حق ، والذي نَقَلَ إلينا كُلَّ ذلك هم الصحابة ، فهؤلاء يريدون أن يهدموا الصحابة ليبطلوا القرآن والسنة !!

إنهم يسبُّون الصحابة - رضوان الله عليهم - علنًا دون أي خجلٍ أو وَجْلٍ ، والله تعالى يُزكي الصحابة ويقول : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ

ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

ويقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حيث أبي سعيد : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أن أَحَدَكُم أَنْفَق مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلاَ نَصِيفَهُ** »[1].

ثم تجاوزوا هذه المرحلة الثانية من مراحل هذا المنهج المدروس والمخطط الخبيث إلى المرحلة الثالثة ، ألا وهى : **مرحلة الطعن المباشر والتشكيك في سنة النبي ﷺ** !! نعم .. شككوا في السُّنة بدعوى أن فيها الضعيف والموضوع ، وبدعوى أن السُّنة تحوي من الأحاديث ما يصطدم اصطدامًا مباشرًا مع النظريات العلمية الحديثة ، فشككوا في السُّنة وطعنوا في الأحاديث الثابتة الصحيحة في أصح الكتب بعد كتاب الله « صحيح البخاري و صحيح مسلم » فزعموا أن القرآن وحده يكفى ، وهم يعلمون علم اليقين أنهم يريدون بذلك - بعد هذه المرحلة - أن يسقطوا القرآن ، لأن القرآن لا يمكن أن يفهم بحال بعيدًا عن سنة سيد الرجال ﷺ ورحم الله الإمام الأوزاعي الذي قال : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ولم لا ؟!! وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري رقم (٣٦٧٣) في فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ « **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا** .... » ، ومسلم رقم (٢٥٤١) في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة .

وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧]

وقال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦]

وقال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[النور : ٥١ - ٥٢]

وقال المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أبو داود بسندٍ صحيح من حديث المقدام بن معدي كرب قال عليه الصلاة والسلام : « **أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتابَ ومِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ مُتَّكِيءٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ ، ومَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ الحِمَارَ الأَهْلِيَّ ، ولا كُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلا لُقَطَةَ المعاهِدِ** »[1] وفي لفظ « **فَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله كما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ** ».

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٤) في السنة ، باب في لزوم السنة ، وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٠)

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .

قال ابن عباس : أي لا تقولوا خلاف القرآن والسنة .

قال القرطبي : ألا تقدموا قولًا على قول الله ،أو على قول وفعل رسول الله فإن من قَدَّم قوله أو فعله على قول وفعل رسول الله فإنما قَدَّمَهُ على الله لأن الرسول لا يأمر إلا بما أمر به الله ﷻ .

قال الإمام الشنقيطي : ويدخل في الآية الكريمة دخولًا أوليًّا تشريع ما لم يأذن به الله ، فلا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ .

﴿ ... أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ... ﴾ [التوبة : ٦٥ - ٦٦]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٧]

أعلنوا الحرب على السُّنة وأنكروا قدسية السُّنة ، وطعنوا وشككوا في السُّنة ، ثم انتقلوا إلى الخطوة الرابعة ألا وهي مرحلة الطعن في القرآن الكريم . إنه مخطط في كل أنحاء العالم الغربي والعربي للنيل من هذا الدين ، للنيل من عقيدة التوحيد والموحدين .

والمخطط كما قلت منظم ودقيق ، ولولا أن الله نقل إلينا ولا زلنا نقرأ في

القرآن الكريم كلمات المشركين في حق رب العالمين ، لولا ذلك ما تجرأت أن أنقل هذا الكلام فأنتم تقرأون قول الله تعالى حكاية عن اليهود الملعونين ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] ولا تزالون تقرؤون قولتهم الخبيثة وهم يصفون الله - سبحانه وتعالى - بالبخل ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] إلى آخر هذه الكلمات ، ولولا أن رب العزة قد نقل لنا في قرآنه مثل هذه الكلمات ما ذكرت مثل هذا .

يقول هذا الخبيث في حق القرآن : مازال الخطاب الديني يتمسك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ ، اعتمادًا على فهم حرفي للنص ، وما زال يتمسك بوجود الإله على عرشه وصولجانه ومملكته ، وبين جنوده من الملائكة ، وما زال يتمسك بالحرفية ذاتها بوجود الملائكة والجن والشياطين والسجلات التي تدون فيها أعمال العباد ، والأخطر من ذلك أنه لا زال يتمسك بصور الثواب والعقاب ، كعذاب القبر ونعيمه ، والمرور على الصراط ومشاهد القيامة والجنة والنار ، إلى آخر ذلك من تصورات أسطورية !!!

هل سمعتم مثل هذه الكلمات ؟!! يريد أن ينسف القرآن كله !!!

وهذا رائد خبيث من رواد هذا الجيل المضلل يقول : وجود إبراهيم وإسماعيل أمرٌ مشكوكٌ فيه ، ولو ذُكِرَ في التوراة والإنجيل والقرآن فلسنا ملزمين بتصديق أي من هذه الكتب !!! كلامٌ صريح واضح . فهم

يطعنون في القرآن ذاته .

لا بل يطعنون في ذات الله - جَلَّ جَلَاله - فانتقلوا إلى المرحلة الخامسة من مراحل هذا المخطط الخبيث ألا وهي مرحلة الطعن في ذات الله جَلَّ جَلَاله .

هذا الكتاب الذي قرأتم عنه في الأسبوع الماضي يصف هذا الخبيثُ رَبَّ العزة - تبارك وتعالى - بالفنان الفاشل !!!

وهذا صنمٌ آخر من سوريا أيضًا يقول في ديوان خبيث من دواوينه الشعرية :

لاَ أَخْتَارُ الله وَلاَ أَخْتَارُ الشَّيْطَانَ كِلاَهُمَا جِدَارٌ

يُغْلِقُ لِي عَيْنِي فَهَلْ أُبْدِلُ الجِـدَارَ بِالجِـدَارِ ؟

مخطط مدروس لا في مصر فحسب ، بل على مستوى الأمة .

ويقول هذا الصنم الخبيث : الله في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة متعالية منفصلة عن الإنسان ، لكن التصوف على مذهب الحلاج قد ذوب ثبات الألوهية ، ويكون بهذا المعنى قد قتل الله وأعطى الإنسان طاقاته !! ويقول هذا الصنم أيضًا : يا أرضنا .. يا زوجة الإله والطغاة - يمعن في كفره ويقول : نمضي ولا نصغي لذلك الإله .. فلقد تقنا لرب جديد سواه ... !!

وهذا حقيرٌ آخر من العراق - لتعلموا خطر المخطط - يقول :

اللهُ فِي مَدِينَتِي يَبِيعُهُ الْيَهُودُ   اللهُ فِي مَدِينَتِي طَرِيدٌ شَرِيدُ

وهذا صنمٌ آخر من فلسطين يقول لعشيقته : نَامِي فَعَيْنُ الله نَائِمَةٌ .. نَامِي فَعَيْنُ الله نَائِمَةٌ عَنَا وَأَسْرَابُ الشَّحَارِيرِ .

وهذا صنمٌ آخر من فلسطين الذبيحة يقول :

وآخِرُ دِيكٍ صَاحَ قَدْ ذَبَحْنَاهُ   لَمْ يَبْقَ سِوَى اللَّهَ

كَغَزَالٍ أَخْضَرٍ تُطَارِدُهُ كُلُّ كِلاَبِ   الصَّيْدِ سَنُطَارِدُهُ سنَصِيدُ لَهُ اللهَ

وهذا صنمٌ آخر من اليمن يقول :

صَارَ اللهُ رَمَادًا صَمْتًا رُعْبًا فِي كَفِّ الجَلادِينَ

صَارَ اللهُ حَقْلًا يُنْبِتُ مَذَابِحَ وَعَمَائِمَ

لا إله إلا الله .. جَلَّ جَلَالَ ربنا ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧]

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الأنعام : ١٠٣]

﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

جَلَّ جَلَالُ الله عن الشبيه .. وعن النظير .. وعن الكفء .. وعن المثيل

قل هو الله أحد ، أحدٌ في ذاته .. أحدٌ في أسمائه .. أحدٌ في صفاته .. أحدٌ

في أفعاله .. **الرحمن على العرش استوى** ، استوى كما أخبر .. وعلى الوجه الذي أراد ، وبالمعنى الذي قال : استواءً منزهًا عن الحلول والانتقال .. فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده .. بل العرش وحملته والكرسي وعظمته .. كُلٌ محمولٌ بقدرته .. مقهورٌ بجلال قبضته .. لا إله إلا الله نُقِرُّ له بكل جلال ، نُقِرُّ له بكل كمال .. نقر له بكل جمال .. نُقِرُّ له بكل عظمة ، تنَزه الله عن النقص ، تنَزه الله عن كلام الكافرين ، تنَزه الله عن كلام المجرمين .

إن لم يحترق قلبك على الذات فمتى سيحترق ؟!!

إن لم تحترق قلوبنا وربنا - تبارك وتعالى - يُسَبُّ علنًا فمتى ستحترق قلوبنا ؟!!

أم أخبروني .. هل ماتت القلوب ونحن لا ندرى ؟!!

الله جَلَّ جَلَالُهُ اسمٌ لصاحبه كل جلال .. اسمٌ لصاحبه كل كمال .. جَلَّ عن النقص ، وعن الشبيه ، وعن المثيل ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ جاء حَبْرٌ من أحبار اليهود - والحديث في الصحيحين[1] - إلى النبي فقال : يا محمد ، أو يا أبا القاسم ، إنا نجد مكتوبًا عندنا في التوراة أن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٨١١) في التفسير ، باب قوله « **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** » ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) في صفة القيامة والجنة والنار .

على إصبع ، والماء والثَّرى على إصبع والجبال والشجر على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ تعجبًا مما يقول الحَبْرُ . تصديقًا له ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧]

والذي يدمي القلب أن الذي يتطاول على الذات « **رِجَالٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** » وللأسف الشديد أنهم يُرْفَعون الآن على الأعناق ، بل رُفِعُوا على الرؤوس !! بل أُحيطوا بهالة من الدعاية الكاذبة !! لتغطي تلك الهالة كفرهم وانحرافهم ، ولتستر هذه الهالة جهلهم ، وتنفخ الدعاية الكاذبة في هؤلاء المجرمين ليكونوا أمام الناس شيئًا مذكورًا ، ليكونوا كالطبل الأجوف يُسْمَعُ من بعيد وصوته من الخيرات خال !!!

ذلك في الوقت الذي تُشَن فيه الحرب على الأطهار من العلماء و الدعاة وشيوخ الحق والسنة والهدى ، تشن الحرب عليهم بصورة هوجاء بصورة مزرية ، إنها حرب إسقاط رموز هذه الأمة !!!

يسبون الله جَلَّ جَلَالُهُ ؟!! والله ما سبَّ إبليسُ ربَّ العزةِ ، بل قال كما قال الكبير المتعال حكاية عن إبليس الملعون الرجيم ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦]

وتدبر معي قول رب العالمين حكاية عن إبليس اللعين ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢]

ما سب إبليس رب العالمين .. كلا ورب الكعبة .. هؤلاء أشر من إبليس وأخبث . يسبون الله علنًا ، وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، والله إن الحَلْقَ ليجف ، وإن القلب لينفطر لعجزنا وضعفنا ، بل إن شئت فقل - وأنت صادق - لِسَلْبِيَّتِنَا وَجُبْنِنَا . يقول الصادق ، والحديث رواه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة : « **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ** » قيل : وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال : « **الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ** »(1).

وصدق القائل :

وَرَاعُ الشَّاةِ يَحْمِي الذِّئبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ لَهَا الذِّئَابُ

كَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ هُمُ الذِّئَابُ ؟

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٠٣٦) في الفتن ، باب شدة الزمان ، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩١) والحاكم (٤/ ٤٦٥ ، ٤٦٦) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (١٨٨٧) .

وهؤلاء الذين يديرون دفة التوجيه الفكري ، وفى الحديث الذي في الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « **نَعَمْ** » فقلت : هل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : « **نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ** » قلت : وما دخنه . قال : « **قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بغير سُنَّتِي ، ويَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعِرفُ مِنْهُمْ وتُنْكِرُ** » قلت : فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « **نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ** - تدبر كلام الصادق - **مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيْهَا** » . قلت : صفهم لنا يا رسول الله . قال : « **نَعَمْ . قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتكَلّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** »[1] وفي لفظ مسلم « **هُمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ** » تدبر اللفظ النبوي البليغ « **رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ** » .. والسؤال المر : ما السبيل ؟ وهذا هو عنصرنا الثاني :

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٦٠٦) في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم رقم (١٨٤٧) في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

ما السبيل ؟!!

والسبيل أيها الأخوة الأحباب يتحدد في الآتي :

أولًا : إقامة حد الردة على هؤلاء المرتدين .

أيها المسلمون : من لهذه الرِدَّة الآن ؟! نحن في حاجة إلى الصِّديق ، وإلى عمر وإلى خالد ، وإلى سعد ، وإلى طلحة ، وإلى عبد الرحمن ، الأمة الآن في حاجة إلى الأطهار الأبرار الذين كانوا يبذلون المُهَجَ والأموالَ والدماءَ لنصرة عقيدة رب الأرض والسماء ، والله الذي لا إله غيره لو طبق على مرتدٍ واحدٍ من هؤلاء حد الرِّدَّة ما رأيت مثل هذا الهراء .

فأنا أدين لله بأن القوانين الوضعية العمياء كانت أخطر أسباب انتشار الرِّدَّة في هذا الزمان ، فالقانون الوضعي يعاقب بأشد العقوبات من وقع في الخيانة العظمى ألا هي خيانة الوطن ، ونحن لا ننكر أن من خان الوطن يجب أن يقام عليه حد الحِرَابة ، ويرى فيه ولي الأمر المسلم ما يرى ، لكن هذا القانون الوضعي لا يعاقب من وقع في الخيانة الأعظم وليست العظمى وهى خيانة الله ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧]

لا يعاقب القانون الوضعي من خان الله ورسوله وارتد عن الإسلام ، ويخرج علينا العلمانيون يقولون : هو حر وله أن يختار من العقائد ما يريد !!

ويحتجون بقول الله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ !! [البقرة : ٢٥٦]

نعم .. نحن لا ننكر آية من آيات رب العالمين ولا كلامًا من كلام سيد النبيين لكن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ بعد أن نبين حجة الله ، ودين الله لغير المسلمين دون أن يحول بيننا وبين دعوة الناس لدين الله ، فإن عرضنا الإسلام عرضًا بَيِّنا واضحًا على غير المسلمين واستمع منا غير المسلمين وأَبَوْا أن يدخلوا في الإسلام حين إذن تقول : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف : ٢٩] لكننا الآن أمام رجلٍ دخل الإسلام طواعية واختيارًا ، وارتد عن الإسلام علانيةً فهذا إن لم تأخذ الشريعة على يده دَبَّتِ الفوضى في المسلمين ، وتزلزلت قلوب المنافقين ممن لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، لذا قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين « **لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَ اللهُ وأَنِّي رسُولُ الله ، إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : النَّفْسُ بالنَّفْسِ ، والثَّيِّبُ الزَّانِي ، والتارِكُ لدينِه ، المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ** »(١) وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال ﷺ : « **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتِلُوه** »(٢) هذا شرع رب العالمين ، وكلام الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٨٧٨) في التفسير ، باب قوله تعالى : « **إِنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ..** » مسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، باب ما يباع به دم المسلم .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٠١٧) في الجهاد والسير ، باب لا يعذب بعذاب الله .

رجل دخل الإسلام ثم ارتد عنه ، فهذا ينبغي أن يستتاب وإلا على ولي الأمر المسلم أن يقيم عليه حد الردة بقتله وتخليص المجتمع الإسلامي من شروره الخبيثة .

ربما يسأل سائل الآن : ولكن ما هو دوري الآن ؟!!

أقول : يجب عليك ابتداءً أيها المسلم و أيتها المسلمة - أمام هذه الحرب المعلنة على الإسلام بثوابته - أن تحصن نفسك بالإيمان والعلم الشرعي الصحيح . ابدأ حَصِّن نفسك بالإيمان ، فالإيمان الآن سفينة نوح وسط هذه الأمواج المتلاطمة ، إن لم تركب هذه السفينة ستغرق وتهلك ، ابحث عن العلماء الربانيين - مهما روجوا في وسائل الإعلام وفرقوا بين العلماء الرسميين وغير الرسميين - الذين لا يتكلمون إلا بالدليل الشرعي قال الله . وقال رسول الله ﷺ ، ثم في خطوة ثالثة يجب عليك أن تتحرك بعد ذلك بهذا العلم الصحيح للأمر بالمعروف بمعروف ، وللنهي عن المنكر بغير منكر ، وللدعوة لدين الله - تبارك وتعالى - فكما تَحَرَّكَ أهل الكفر لكفرهم ، وأهل الباطل لباطلهم ، وجب على أهل الحق أن يتحركوا لحقهم .

أُقسم بالله - الذي لا إله غيره - ما انتشر الباطل وأهله إلا يوم أن تخلى عن الحق أهله ، تحرك وحصن نفسك بالإيمان والعلم الشرعي - على قدر

استطاعتك - هذا طبيب ، وأنت مسئول ، وأنت موظف ، وأنت طالب ، وأنت زوجة في البيت ، وأنت مسلمة هنا أو هنالك ، فلتتحرك على قدر استطاعتك ، عَبِّر عن غيرتك لله ، عَبِّر عن غيرتك لذات الله .. ولقرآن الله مر بالمعروف بمعروف .. وانه عن المنكر بغير منكر ..

من منا لا يقدر بعد هذا الهَمِّ أن يكتب مائة رسالة ؟! هذه الألوف المؤلفة التي تحضر معي الآن لو كتب كل فرد فينا عشر رسائل حتى لا أكون مبالغًا أو شاقًّا على الأحباب ، لو كتب كل فردٍ فينا عشر رسائل وأرسل إلى كل المسئولين بكلمة مهذبة جميلة يعبر من خلالها وفيها عن غضبه لدينه ، لعقيدته لقرآن ربه ، لذات الله جَلَّ جَلَالُهُ ، أرسل إلى المسئولين ، إلى رئيس الوزراء ، إلى وزير الأوقاف ، إلى شيخ الأزهر ، إلى المفتي ، إلى كل المسئولين .

وأقول : ينبغي أن يعي المسئولون أن هذه الأمة لا زالت قلوبها تنبض بتوحيد الله ، يجب أن يعلم المسئولون أن هذه الأمة لازالت تقدم أرواحها ودماءها فداءً لدين ربها وقرآنها ، ودين نبيها ﷺ ، وهي وراء العلماء الربانيين ووراء الدعاة الصادقين ، الذين يقولون قال رب العالمين ، قال سيد النبيين .

هذا دورك ، لا عذر لك ورب الكعبة ، هذا أضعف الإيمان أقول : إن مثل هذا المشهد الذي أراه الآن حتى وإن لم يحضر الشيخ لإلقاء الخطبة ،

فإن هذا المشهد دعوة بصوت مرتفع إن الأمة تعشق الإسلام ، وتموت من أجل التوحيد ، وتبذل الوقت والمال من أجل أن تستمع إلى الدعاة والعلماء ، فهذا المشهد في ذاته دعوة ، لابد أن نجيِّشَ الآن طاقات الأمة ، وقدرات الأمة ، وإمكانيات الأمة وقوة الأمة ، لابد أن نجيشها الآن لِنُرى أعداءنا في الخارج والداخل أن الأمة لازالت تنبض بحب الإسلام ، وبحب التوحيد ، وبحب القرآن ، وبحب النبي محمد ﷺ .

وأخيرًا : أيها الأخيار الكرام مع كل هذا فأنا أقول لكم : إنها ذوبعةٌ في فنجان ، وكل الحرب المعلنة على ثوابت الإسلام شأنها عندي كشأن ذبابة حقيرة تافهة سقطت تلك الذبابة الحقيرة على نَخْلة تَمْرٍ عملاقة ، ولما أرادت الذبابة الحقيرة أن تطير وتنصرف ، قالت لنخلة التمر العملاقة : تماسكي أيتها النخلة لأنني راحلة عنكِ !!! فردت عليها نخلة التمر العملاقة وقالت انصرفي أيتها الذبابة الحقيرة فهل شعرت بك حينما سَقَطّتي عليّ لأستعد لكِ وأنت راحلة عني ؟!!

لا تيأسوا من روح الله : وهذا هو عنصرنا الأخير وأُرْجىءُ الحديث فيه إلى ما بعد جلسة الاستراحة ، وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وآله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا أيتها الأحبة الكرام .

لا تيأسوا من روح الله

أين الصليبيون الحاقدون الذين قاموا بالهجمات الصليبية الحاقدة على الإسلام ؟! وأين التتار ؟! وأين القرامطة ؟! وأين المرتدون ؟! وأين الإنجليز ؟! وأين الفرنسيون ؟! وأين .. وأين .. وأين ..؟!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦]

وأنا أسأل وأقول : هل تصدقون رب العالمين ؟

هذا كلام ربنا ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١ - ١٧٣]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١]

فمهما انتفخ الباطل وانتفش فإنه زاهق ، ومهما انزوى الحق وضعف فإنه ظاهر ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨ - ٩]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم : ٤٢]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٧]

وقال ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والطبراني من حديث تميم الداري ﷺ : « **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ ، وَلاَ وَبَرٍ ، إلا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يعِزُّ اللهُ به الإِسْلاَمَ وذُلًّا يَذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ** »[1].

أيها المسلمون : إننا على يقين جازم - مع علمنا بالواقع جيدًا - أن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٣) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٠ ، ٤٣١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (٣) .

الجولة المقبلة للإسلام ولدين النبي عليه الصلاة والسلام بموعود الله وبموعود رسول الله ، ولا أقول هذا من باب الرجم بالغيب ، ولا من باب الأحلام الوردية التي نحملها ، ولا من باب ضغط الواقع ، وإن من أعظم الأدلة على أرض الواقع أن النهضة الفكرية الحديثة قد انقلبت إلى ظلام فكريٍّ دامس وأن رواد جيل النهضة يرقصون الآن رقصة الموت .

كان رواد جيل النهضة يتصورون أن كتاباتهم ومؤلفاتهم وأقلامهم سَتُرَبِّي وَتُخْرِج جيلًا لا يعرف الله ، فقد جاء أحدهم إليَّ وأنا أخطب الجمعة فلما رأى المشهد عاد وسطر ذلك في صحيفته ليعلن عن حقده الذي يحمله في قلبه وهو يقول : « يا خبر أسود .. أنا ظنيت أن الدقون خلصت !! »

أقول : إن مشروع النهضة الحديثة فشل فشلًا ذريعًا ؛ لأنهم رأوا هذه الصحوة .. رأوا شبابًا في ريعان الصبا .. رأوا فتيات في عمر الورود .. رأوا كوكبة مباركة تعلن الحرب على مشروع نهضتهم المزور الفاشل .. بل وتصدى علماء ودعاة الصحوة إلى هذا المشروع ، وبينوا زيفه وأسقطوا ورقة التوت ونسيج العنكبوت ، التي طالما اختفى بها هؤلاء المثقفون المزعومون فهم يرقصون الآن رقصة الموت حينما يرون صحوتك المباركة الراشدة .. حينما يروا هذه الكوكبة الكريمة والثُّلَّة العظيمة تعود من

جديد إلى الله ، وتقول قولة السابقين الصادقين الأولين ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

حينما رأوا هذه الصحوة ، وهؤلاء الشباب ، قد ولى ظهره لواشنطن وبانكوك ومدريد وباريس وتل أبيب ووجه وجهه من جديد إلى القبلة التي ارتضاها الله للمصطفى ﷺ .

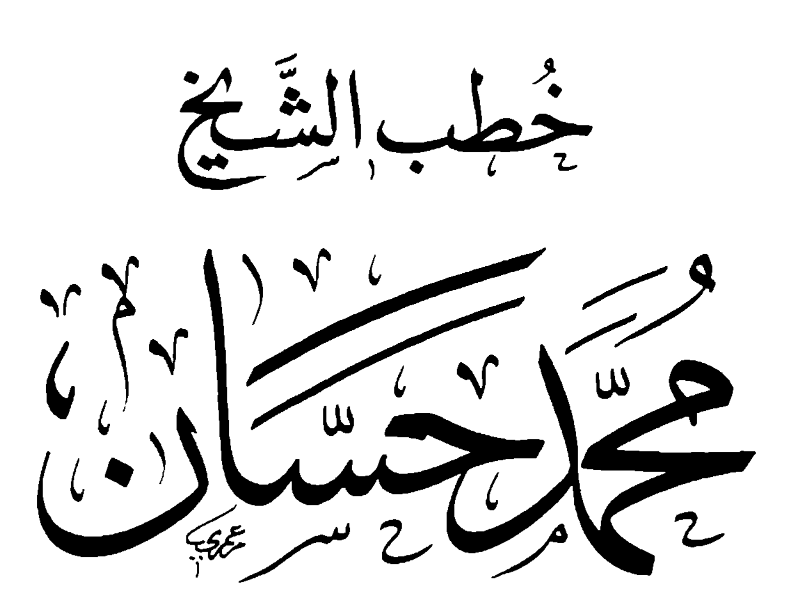
إنهم يرقصون ورب الكعبة رقصة الموت ، فحصنوا أنفسكم بالإيمان والعلم الشرعي ، وتحركوا للأمر بالمعروف بمعروف وللنهي عن المنكر بغير منكر ، وتحركوا للدعوة إلى هذا الحق الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض والجنة والنار ، تحركوا للحق كما تحرك أهل الكفر وأهل الباطل لكفرهم وباطلهم ، ونحن على أمل بموعود الله وبموعود الصادق رسول الله ﷺ .

إن الجولة المقبلة لدين الله ولدين المصطفى ﷺ .

اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين .

.... الدعـــاء

الفهـــــــرس



الجزء الثاني عشر

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وبعد : تَشْرُف دار ابن رجب للنشر والتوزيع أن تقدم لقرائها الكرام « الجزء الثاني عشر » من سلسلة خطب « فاكهة الدعاة » فضيلة الشيخ المبارك : محمد حسان حفظه الله تعالى .

وشيخنا المبارك غني عن التعريف ، فهو معروف مشهور في الشرق والغرب عند العرب والعجم .. وخطبه تملأ الدنيا شرقًا وغربًا في بلاد الإسلام ، وبلاد الكفر .

فقد أنزل الله جَلَّ وَعَلَا محبته على قلوب الخلق ، والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : « **إِنَّ اللهَ تعالى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرَيلَ عَلَيْه السَّلاَمُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرَيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ** »[1].

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٧٤٨٥) في التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ، ومسلم رقم (٢٦٣٧) في البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبدًا .

أيها القارئ الكريم :

وهذه بعض خطب الشيخ - حفظه الله - نادى بها من فوق أعواد منبر النبي ﷺ نسأل الله أن ينفع بها مقروءة كما نفع الله بها مسموعة ، ونظراً لضيق وقت الشيخ - نسأل الله أن يبارك فيه وأن يمتعه بوافر الصحة - وكذا حاجة كثير من الخطباء لمثل هذا الكتاب فقد قمنا بإعداد هذا الجزء للنشر وترتيبه وتخريج أحاديثه .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب الشيخ المبارك ، وأن يكون في ميزان حسناته يوم العرض عليه ، وأن يكون حجة له لا عليه ، وأن يبارك له في وقته وصحته ، وعلمه ، وماله ، وأهله ، وولده إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كما أسأله - تعالى - أن ينفع بهذا الكتاب ناشره وقارئه وحامله والمنفق فيه وأن يشملني معهم في هذا النفع وأن يجعله ممتدًّا إلى الآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

أبو عبد الرحمن عوض بن لطفي

عالمية الإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

أي يوم هذا الذي نحياه الآن ، أي يوم هذا الذي نعيشه الآن ، إنه يومٌ عظيمٌ كريمٌ على الله جَلَّ وَعَلَا ، إنه يوم عرفة في يوم جمعة إنه يوم عرفات في يوم الجمعة ، وفي الصحيحين[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا من اليهود جاء إلى عمر ﷺ وقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا اليوم عيدًا فقال عمر بن الخطاب : أي آية ؟ فقال اليهودي : قوله تعالى : ﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾ [المائدة : ٣]

فقال عمر بن الخطاب : والله إني لأعرف أي يوم نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، فلقد نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفه في يوم جمعة .

ففي مثل هذا اليوم أيها الأحباب وقف الحبيب المصطفى ﷺ في وادي عرفات في يوم جمعة ونزل عليه قول رب الأرض والسماوات ﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٤٤) في الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ومسلم رقم (٣٠١٧) في التفسير .

فإن دين الإسلام دين أهل السماء .. ودين أهل الأرض .. ودين الجن المؤمن .. ودين جميع الأنبياء ودين جميع المرسلين : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥]

بل إن الإسلام دين النصارى الذين آمنوا بعيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٢]

فإننا اليوم أيها الأحباب في يوم عرفة وفي يوم جمعة .. إنه فضل الله جَلَّ وَعَلَا يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .. ففي هذا اليوم تتجلى عالمية الإسلام في عرفات .. هذا أحمر .. وهذا أبيض .. وهذا أسود والكل يقف الآن على عرفات وقد رفعوا أكف الضراعة إلى رب الأرض والسماوات ، هذا يخاطب الله بالعربية .. وذاك يخاطب الله بالباكستانية .. وذاك يخاطب الله بالإنكليزية .. وذلك يخاطب الله بالفرنسية .. وسبحان من لا تختلف عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات .

يسمع كل أحد .. ويجيب كل أحد .. ويعرف ما يقوله كل أحد « ... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا**

يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْر »[1] .

سبحان الله الذي لا تختلف عليه اللغات .. ولا تشتبه عليه الأصوات .

يقف الجميع الآن لتظهر عالمية الإسلام في عرفات ، لكن الذي يدمي القلب ويؤلم النفس أن يجتمع المسلمون من كل فج عميق ومن كل حدب وصوب في هذا التجمع العالمي الكبير ، ثم ينفضون ولا حَرَّكوا ساكنًا ، ولا غيروا واقعًا وما وجهوا دفة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله !!.

هذه دماء المسلمين تنْزف بغزارة في كل مكان ، وهاهي برك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكي المأساة في ألف مليون مسلم .

وَأَيْنَ هُمُـــوا إِذَا وَعَـت الجِـــرَاحُ

مَا ثَمّ مُعْتَصمٌ يُغِيثُ مَنْ استَغَاثَ بِهِ وَصَاحَ

يأتي هذا الجمع من كل فج عميق وسرعان ما ينفض وما أثّر في شيء وما غير شيئًا .. وما حرك ساكنًا .. وما اهتم العالم كله بهذا التجمع !!! لأنهم يعلمون أن المسلمين الآن غثاء كغثاء السيل كما قال الصادق المصدوق ﷺ : « **يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُم كَمَا تَتَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا** » قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟! . قال : « **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِير** ،

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم .

وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدِوّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلِيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهَن » قيل : وما الوهـن يا رسول الله ؟ . قال : « **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ** »[١].

ولكنه يومٌ تتجلى فيه رحمة الحق جَلَّ وَعَلَا على عباده الضعفاء ، فإنه سبحانه الذي خلقنا .. وإنه يعلم ضعفنا .. ويعلم فقرنا .. ويعلم عجزنا .. ويعلم تقصيرنا فيتجلى برحمته - جَلَّ وَعَلَا - على حجاج بيته الحرام ، الذين تركوا الديار والأهل والأموال والأوطان وراحوا ؛ ليقفوا اليوم على عرفات وقد سُكبت منهم العبرات .. وضجّت منهم الأصوات .. وارتفعت لهم الدعوات .. ليتجلى عليهم رب الأرض والسماوات ويباهي بهم ملائكته .

ففي مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِأَهْلِ عَـرَفَات أَهَلَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ لَهُمْ : جَـاؤُونِي شُعْثًا غُبْرًا** »[٢]. وفي رواية « **منْ كُلِّ فَجٍ عَمِيق يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي ، فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي**

---

(١) صحيح : رواه أبو داود (٤٢٩٧) في الملاحم ، باب في تداعى الأمم على الإسلام ، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨) .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٢٤ ، ٣٠٥) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٥) ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

أُشْهِدكُمْ بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم » ، والحديث حسن ، بل ومن علمائنا من قال عنه حديث صحيح متصل الإسناد «**أُشْهِدكُمْ بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**» .

إنه يوم الرحمات أيها الأحباب ، ولذا ورد في صحيح مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنه ﷺ قال : « **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ ؟** »[1].

إنه فضل الله جَلَّ وَعَلَا ، ولذا أرى أيها الأحباب أنه من الجفاء ألا نصحب اليوم حجاج بيت الله الحرام بأنفاسنا ، إن لم يكن بأشخاصنا وأجسامنا فتعالوا بنا سريعًا نطير على جناح السرعة إلى بيت الله الحرام ؛ لنتعرف على قصة هذا البيت ، ومن الذي بناه ، وما الذي جعل القلوب في كل مكان تهوى إليه . استمع أيها الحبيب الكريم يقول الله جَلَّ وَعَلَا :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[آل عمران : ٩٦ - ٩٧]

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٣٤٨) في الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفه .

أيها الحبيب الكريم : ورد في الصحيحين من حديث أبي ذر أنه سأل الحبيب المصطفى ﷺ وقال : يا رسول الله أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلَ ؟ (أي ما هو أول المساجد التي بنيت في هذه الأرض) ، فقال الحبيب المصطفى : « **المَسْجِدُ الحَرَامُ** » قال أبو ذر : ثم أَيٌّ ؟ قال الحبيب المصطفى : « **المَسْجِدُ الأَقْصَى** » قلت (أي أبو ذر) : كم كان بينهما ؟ قال الحبيب : « **أَرْبَعُونَ سَنَةً** » ، ثم قال : « **وأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةَ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ** »(1) فإن أول بيت بُني لله في أرضه هو المسجد الحرام .

وقال علماؤنا : إن أول من بني البيت هم الملائكة ، ومنهم من قال : إن أول من بني البيت هو آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : إن أول من بني البيت هو إبراهيم عليه السلام .

والراجح : أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان رفعا القواعد من البيت ، فإن قواعد البيت كانت قديمة وجاء إبراهيم وإسماعيل بأمر الله جَلَّ وَعَلَا ليرفعا هذه القواعد كما قال ربنا سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا

---

(1) متفق عليه : رواه البخاري (٣٤٢٥) في أحاديث الأنبياء ، باب « ووهبنا لداود سليمان ... » ، ومسلم (٥٢٠) في المساجد في فاتحته .

مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ - ١٢٨]

القواعد : يعني الأساس كان قديمًا ، وجاء إبراهيم وإسماعيل فرفعا قواعد البيت بأمر الله جَلَّ وَعَلَا ، وفي الحديث الطويل الذي جاء في البخاري[1] من حديث ابن عباس أنه قال لما جاء إبراهيم بهاجر وإسماعيل - عليهما السلام - ووضعهما عند البيت عند دوحة (شجرة كبيرة) فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قَفى إبراهيم منطلقا (أي ولي راجعًا إلى الشام) فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله الذي أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت .

أحبتي في الله : نريد أن نتعلم اليقين الذي علمته للدنيا كلها هاجر - عليها السلام - وهاجر من هنا خرجت ، فمن مصر خرج اليقين أيها الأحباب ، فنريد أن نعود إلى هذا اليقين وأن نعود إلى هذه الثقة بالله ، وأن

---

(١) صحيح : البخاري (٣٣٦٤) في أحاديث الأنبياء ، باب ((يزفون)) .

نعود إلى هذا التوكل الصادق على الله جَلَّ وَعَلَا .

يا عبد الله : اعلم بأن الضُّرَّ والنَّفْعَ بيد الله ، واعلم بأن الرزق بيد الله ، واعلم بأن الأمر كله بيد الله فعليك أن تثق في الله ، وأن تلجأ إلى الله وحده وأن تستعين بالله وحده ، وأن تفوض أمرك كله لله وحده .

إياك أن تسأل غيره ، أو تذبح لغيره ، أو أن تحلف بغيره ، أو أن تطوف بغير بيته في مكة ، أو أن تسأل غيره ، أو أن تتوكل على غيره .

يَا صَاحِبَ الهمِّ إِنَّ الهَـمَّ مُنْفَرِجٌ ... أَبْشِرْ بِخَـيْرٍ فَإِنَّ الفَـارِجَ اللهُ

إِذَا بُلِيتَ فَثِـقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ

اللهُ يُحْدِثُ بَعْـدَ الْعُسْرِ مَيْسَرَةً ... لَا تَجْـزَعَـنَّ فَإِنَّ الصَّـانِعَ اللهُ

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦]

ولكن شَكُّوا في قدرة الله ، وما قدروا الله - جَلَّ وَعَلَا - حق قدره .

من توكل عليه كفاه ، ومن اعتصم به نجاه ، ومن فوض الأمر إليه هداه ﴿ ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ... ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣]

قالت هاجر : آلله الذي أمرك بهذا ؟ : قال إبراهيم : نعم . قالت هاجر : إذا لا يضيعنا !!

وانطلق إبراهيم ﷺ حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا ورفع يديه بهؤلاء الدعوات : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾
[إبراهيم : ٣٧]

وجعلت أم إسماعيل ترضع ولدها وتشرب من ذلك الماء الذي كان معها حتى إذا نفد ما في السِّقاء عطشت وعطش ابنُهَا ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر . هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة ، فقامت عليه ونظرت هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « **فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا** » ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت ، فسمعت أيضًا ، فقالت : قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بِعَقِبِهِ - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تُحَوِّضُهُ وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء

في سقائها وهو يَفُورُ بَعْدَما تغرِفُ . قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ » أو قال : « لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا » قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها المَلَكُ : لا تخافوا الضَّيْعَةَ ، فإن هاهنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يُضيعُ أهلَهُ .

قال : ثم لبث عنهم (أي إبراهيم عليه السلام) ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر . قال : فاصنع ما أمرك ربك . فيقول إبراهيم : وتعينني ؟ قال : وأعينُك . فقال : إن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا ، وأشار إلى أَكَمَة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

قال العلماء : لما قام إبراهيم عليه السلام على الحجر غاصت قدماه فيه وهذا هو المقام الذي نراه الآن في مواجهة باب الكعبة شرفها الله وقد أثرت فيه

أقدام الخليل ﷺ ، وهذا هو القول الراجح في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ فالمقام في اللغة هو موضع الأقدام ، فالمقام هو الذي قام عليه إبراهيم ليعلي البناء فغاصت قدمه ﷺ فيه ليثبته الله - جَلَّ وَعَلَا - ولما أنهى إبراهيم البناء إلَّا موضع الحجر الأسود ، فقال : انطلق يا بني فابغِ حجرًا لنكمل البناء ، فانطلق إسماعيل ليأتي بالحجر الأخير ثم عاد فوجد حجرًا ليس من جنس حجارة الكعبة فاستغرب وتعجب إسماعيل وقال : يا أبتي من الذي جاءك بهذا الحجر . فقال إبراهيم : جاءني به من لم يتكل على بنائي وبنائك جاءني به جبريل من السماء ، وهذا الحديث رواه الإمام الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبه وابن جرير والبيهقي في الدلائل وحسنه الحافظ ابن حجر .

لما أنهى إبراهيم البناء أمره الله جَلَّ وَعَلَا أن يؤذن في الناس بالحج . فقال إبراهيم ومن الذي يسمع صوتي يا رب . فقال الله جَلَّ وَعَلَا : « **أَذِّنْ أَنْتَ وَعَلَيْنَا البَلَاغُ** » . فقال إبراهيم : فماذا أقول ؟ فقال الله جَلَّ وَعَلَا : « **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيكُمُ الحَـجَّ فَحُجُّوا** » يقول الحبيب المصطفى : « **فَسَمِعَهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَلَا تَرَى إِلَى النَّاسِ يَجِيئُونَ مِنْ كُلِّ فَج عَمِيقٍ يُلَبُّونَ وَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبيْكَ** » ، والحديث رواه الحاكم وابن جرير والبيهقي بأسانيد قوية كما قال الحـافظ ابن حجر في فتح الباري في

كتاب الحج .

وهكذا أيها الأحباب أتم إبراهيم وإسماعيل البناء بأمر الله ﷻ .

هذه قصة البيت بإيجاز شديد ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (وبكة هي مكة) ، وسميت مكة ببكة لشدة الزحام ، فالبك في اللغة هو الزحام ، وقيل أيضًا : البك هو دك العنق ، فمن قصد مكة بسوء من جبار إلا ودق الله عنقه وكلكم يعلم قصة أصحاب الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل : ١ - ٥]

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ والبركة هي كثرة الخير ، ولقد امتن الله على أهل البيت بهذا فقال سبحانه : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش ٣ - ٤]

﴿ ... مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ... ﴾ (أي في البيت) من هذه الآيات البنيات مقام إبراهيم وقلت لكم بأن مقام إبراهيم هو الحجر الذي وقف عليه ليعلي البناء ، وكان هذا الحجر ملاصقًا لجدار الكعبة إلى عهد عمر بن الخطاب ﷺ فلما تولى عمر الخلافة أخر هذا المقام إلى المكان الذي نراه الآن أمام الكعبة حتى لا يعوق

الطائفين عن الطواف حول بيت الله الحرام ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (أي ومن دخل هذا البيت كان آمنًا) .

قال علماء اللغة : والآية خبر بمعنى الأمر (أي ومن دخله فأمنوه) كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ أي لا ترفث ولا تفسق ولا تجادل في الحج ، ومن العلماء من قال : من دخل البيت الحرام على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان آمنا من عذاب رب الأرض والسماء جَلَّ وَعَلَا كما في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « ... وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةُ »[1] وفي قوله ﷺ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْم وَلَدْتهُ أُمُّهُ »[2] .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٣٤٩) في الحج ، باب فضل الحج والعمرة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (١٨١٩) في المحصر ، باب قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ ومسلم (١٣٥٠) في الحج ، باب فضل الحج والعمرة .

أما بعد فيا أيها الأحبة ..

يقول الحق جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ من منَّ الله عليه بالاستطاعة (أي بالنفقة) وجب عليه أن يحج وألا يتراخى عن أداء الفريضة ، فإننا نعلم كثيرًا من أحبابنا وإخواننا منَّ الله عليهم بالصحة ومنَّ الله عليهم بالمال ، ولكنهم إلى الآن ما فكروا في حج بيت الله الكبير المتعال !! وفي مسند الإمام أحمد والحديث حسن أنه ﷺ قال : « **تَعَجَّلُوا الحَج** » يعني الفريضة « **فَإِنَّ أَحَدكُمْ لاَ يَدْرِيَ مَا يُعْرضُ لَهُ** »[1].

يا من لم تؤد الفريضة وقد منَّ الله عليك بالمال دبّر من الآن واعقد النية والعزم من الآن على أن تؤدي حج بيت الله الحرام فإنه ركن من أركان إسلامك ومن أركان دينك ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ واللام في قوله : وَللهِ هي لام الإلزام والإيجاب فإن الحج فريضة وركن من أركان الدين . فإن منّ الله عليك بالمال ولم يمنّ عليك بالصحة فاستأجر بمالك من يحج عنك بشرط أن يكون هذا الذي ستستأجره قد حج عن نفسه أولًا ؛ لأن النبي سمع رجلًا يلبي بالحج يقول : لبيك عن شبرمة . فقال النبي : « **مَنْ شُبْرُمَة ؟** » قال رجل أحج عنه . فقال النبي ﷺ : « **أَحَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ ؟** »

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣١٤) ، وفي سنده أبو إسرائيل الملائي واسمه إسماعيل بن خليفة وهو ضعيف ، وضعفه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على المسند .

قال : لا . قال الحبيب : « **فَحُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ** »[(1)].

فيا من منَ الله عليك بالمال وسلب منك الصحة استأجر رجلًا حج قبل ذلك ليؤد عنك الفريضة ولا تسوف ولا تتأخر ولا تتوانَ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ .

انتبه : هناك خطأ يقع فيه كثير من الناس – بحسن نية أو بغير ذلك إذ حد الاستطاعة للمرأة مع الزاد والراحلة : المَحْرَم ، والمحرم هو أحد محارمها ، لابد للمرأة – إذا ما أرادت أن تسافر للحج أو لغيره – من محرم يسافر معها ، وليس هذا الكلام من عندنا ولكنه كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ بل لقد ورد في الصحيحين أن رجلًا جاء إلى المصطفى فقال : يا رسول الله . إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا (أي خرج غازيًا في سبيل الله في غزوة من الغزوات) وامرأتي خرجت لتحج بيت الله الحرام . أتدرون ماذا قال له الحبيب ؟!! قال الحبيب ﷺ : « **لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمَ ، وَلاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَم** »[(2)] فقال رسول الله ﷺ : « **انْطَلِقْ فَحُجَّ مع امْرَأَتِكَ** » ولم يأذن له أن يخرج للغزو في سبيل الله .

---

(١) صحيح : أبو داود (١٨١١) في الحج ، باب في الرجل يحج عن غيره ، وابن ماجة رقم (٢٩٥٦) في المناسك ، باب الحج عن الميت ، وصححه الألباني في الإرواء (٩٩٤) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٣٠٠٦) في الجهاد والسير ، باب من اكتتب في جيش ، ومسلم (١٣٤١) في الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ ﴾ .

قال ابن عباس ومن كفر بفريضة الحج ولم يؤمن بأنه واجب وبأنه ركن من أركان دينه فإن الله غني عن العالمين . لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .

أيها الأحباب الكرام : إنها رحلة إيمانية مباركة تغفر فيها الذنوب وتمحى فيها العيوب .. وتتجلى فيها رحمات علام الغيوب جَلَّ وَعَلَا .. ويرجع أهلها إن صدقوا الله سبحانه وتعالى رجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم بغير ذنب وبدون خطيئة .

فيا من منّ الله عليك لا تبخل على نفسك فإن المال إلى زوال وإن الدنيا إلى فناء .. وإن ورثتك هم الذين سينعمون بمالك بعد موتك .. أما أنت يا مسكين فستسأل بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا عن كل صغير وكبير في هذا المال من أين جئت به ؟ وفيم أنفقت ؟ ورحم الله من قال :

النَّفسُ تجـزَعُ أن تكـونَ فَقيرَةً ... والفقرُ خَيرٌ مِن غِنىً يُطْغِيهَا

وَغِنى النفُوسِ هُوَ الكَفَافُ ... فَإن أَبَتْ فجميعُ ما فِي الأرضِ لا يكفِيهَا

هِي القَنَاعةُ فالْزَمْهَا تَكُنْ مَلِكًا ... لَو لمَ تَكُنْ لَكَ إلاَّ رَاحةُ البدنِ

وانْظُر لِمَن مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... هَل رَاحَ مِنْهَا بِغَيرِ القُطنِ والكَفَنِ

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال : « **يَتْبَعُ المَيْتَ ثَلاثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ . يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ** »[1] هو الذي ينفعك أيها الحبيب ويخاطبك بلسان الحال : رجعوا وتركوك ، وفي التراب وضعوك ، وللحساب عرضوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت .

أسأل الله – جَلَّ وَعَلَا – أن يتقبل منا ومنكم ومن حجاج بيت الله الحرام صالح الأعمال .

...... الدعـاء

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥١٤) في الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم (٢٩٦٠) في الزهد والرقائق ، في فاتحته .

صرخات من القدس الجريح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لما حل بأمتنا لمحزونون :

فَفِي كُلِّ بَلَدٍ عَلَى الإِسْلَامِ دَائِـرَةٌ ... يَنْهدُّ مِنْ هَوْلِهَا رَضْـوَى وَثَهْلَانُ

ذَبْـحٌ وَصَلْبٌ وَتَقْتِيـلٌ بِإِخْوَتِنَـا ... كَمَا أعِـدَّتْ لتُشفِي الحِقْـدَ نِـيرَانُ

يَسْتَصْرِخُونَ ذَوِي الإِيمَانِ عَاطِفَةً ... فَلَـمْ يُغِثْهُمْ بِيَـوْمِ الـرَّوْعِ أَعْـوَانُ

فَهَلْ هَذِهِ غَيرةٌ ؟ أَمْ هَذِهِ ضَيْعَةٌ ؟ ... لِلْكُفْـرِ ذِكْـرٌ وَلِلْإِسْـلَامِ نِسْيَانُ

برك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكي المأساة في كل بقاع الدنيا في كل مكان ذُبِّح أبناؤنا تذبيح الخراف ، بل لقد وضع الطفل على النيران ليشوى جسده أمام والده المسكين وبعدما انتهى المجرمون من شي الولد أمام والده قطعوا الطفل قطعًا صغيرة وأجبروا والده تحت التهديد والتعذيب والوعيد أن يأكل من لحم ولده ، من فلذة كبده ، من ثمرة فؤاده ، ثم بعد ذلك أطلقوا عليه النيران فقتلوه ..!!

أختك . أختك التي انتهك عرضها .. وضاع شرفها .. وها هي الآن يا ابن الإسلام تصرخ عليك وترجوك رجاءها الأخير .. أتدرون ما هو رجاؤها الأخير ؟!! إن أختك - التي انتهك عرضها وضاع شرفها - تصرخ عليك الآن وتقول : اقتلوني .. واقتلوا العار بين أحشائي .. اقتلوا ولدي من السِّفَاح والزنى !! هذا هو رجاؤها الأخير !! وذلك بعدما

صرخت طويلًا .. طويلًا .. حتى انقطع صوتها وضاع أنينها .. وراح صوتها .. وهي تقول وا إسلاماه ..

وا إسلاماه ، وا معتصماه .. وامعتصماه ، ولكن أين المعتصم ؟

مَـا ثَـمَّ مُعْتَصِمٌ يُغِيثُ مَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَصَاحَ

ذَبَحُـوا الصَّبِيَّ وَأُمَّــهُ وَفَتَاتَهَـا ذَاتَ الوِشَـاحِ

وَعَدُوا عَلَى الأَعْرَاضِ فِي انْتِشَـاءٍ وَانْشِـــرَاحِ

يَا أَلْفَ مِلْيونٍ وَأَيْنَ هُمْ إِذَا دَعَــتِ الجِـرَاح ؟

مَـا ثَـمَّ مُعْتَصِمٌ يُغِيثُ مَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَصَاحَ

برك الدماء وأكوام الأشلاء . تجسد الفجيعة وتحكي المأساة في كل مكان ، في البوسنة ، في الصومال ، في كشمير ، في الهند ، في الفلبين ، في بورما ، في تركستان ، في أفغانستان ، في طاجكستان ، في الجزائر ، وأخيرًا في فلسطين . برك الدماء وأكوام الأشلاء .. ولازال المشاهدون من كل بقاع الدنيا قابعين في مقاعدهم يشاهدون هذه المسرحية الهزلية المحرقة منهم من يبارك هذه التصفية ، ومنهم من يبارك هذه الإبادة ، ومنهم من جلس يمسح عينيه بمنديل حرير !! ولكنه مازال مصرًّا على أن يقبع في مقعده ليشاهد آخر فصول هذه المسرحية الهزلية المحرقة !! طاردتني هذه الصور المؤلمة التي تحرق فؤاد كل مسلم حي . هذا إن كنا لازلنا نحمل في الصدور أفئدة ، إن كنا لازلنا نحمل في الصدور قلوب ما كفنت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

طاردتني كما طاردت كل مسلم صادق ، هذه الصور المؤلمة التي تحرق القلب ، صورة هذا الطفل المسكين الذي لا ذنب له ولا جريمة إلا أنه ولد فوق الثرى الطاهر والأرض المباركة ، فوق مسرى الحبيب محمد ﷺ ، وقام اليهود المجرمون الذين لا يعرفون رحمة ولا يعرفون شفقة ، حتى بعدما احتمى الطفل بأبيه وراح يدفع يديه خائفًا من هؤلاء المجرمين ، وراح الوالد المسكين يرفع يده مستسلمًا ، ولكن هيهات .. هيهات .. هيهات أن يعرف اليهود الرحمة ، اللهم إلا إذا دخل الجمل في سَمِّ الخياط ، فأطلقوا الرصاص على رأس هذا الطفل المسكين فأردوه قتيلًا ، وإن شئت فقل لقد قتلوا أباه وإن لم يمته الرصاص ، تصور أن يموت ولدك بين يديك بهذه الصورة التي تحرق الأفئدة ، والله لقد نظرت إلى أطفالي بالأمس القريب .. نظرت إليهم وتخيلت أن قاذفة من قاذفات العدو اليهودي قد سقطت على بيتي .. على أهلي وأولادي فتمزقت أشلاء أولادي بين يدي وأمام عيني ، والله عبثًا حاولت النوم .. فأنى للقلوب التي تعرف حقيقة الإيمان ، فأنى للقلوب التي ذاقت حلاوة الولاء والبراء أن تعرف طعم النوم ، وأن تعرف طعم الراحة .

طاردتني صورة الطائرات والدبابات والصواريخ والمدفعية تدك بيوت الفلسطينيين العزل الذين لا يملكون إلا إيمانًا بالله ﷻ .. ثم الحجارة

.. ثم الحجارة .. ثم الحجارة !!

وطاردتني صورة امرأة عجوز يتساقط بيتها وهي تنظر إلى سقف البيت يتحطم ولا تملك أن تفعل شيئًا على الإطلاق .

وطاردتني صورة الأقصى الجريح وهو يئن ويستجير ، وهو يصرخ في المسلمين وا إسلاماه .. وا إسلاماه .. وا إسلاماه .. لكن من يجيب ؟!! من يجيب ؟!! القدس يصرخ .. لكن من يجيب ؟ كنت أصرخ ، ولكن الصرخة في صحراء مقفرة في صحراء مهلكة .

عَبَثًا دَعَوْتُ وَصِحْتُ يَا أَحْرَارُ   عَبَثًا لأَنَّ قُلُوبَنَا أَحْجَارُ
عَبَثًا لأَنَّ عُيُونَنَا مَمْلُوءَةٌ بِالوَهْمِ   تُظْلِمُ عِنْدَهَا الأَنْوَارُ
عَبَثًا لأَنَّ شُئُونَنَا يَا قَوْمَنَا   فِي الغَرْبِ يَفْتِلُ حُبْلُهَا وَتُدَارُ
وَلأَنَّنَا خُشُبٌ جَامِدَةٌ   فَمَا نَدْرِي مَاذَا يَصْنَعُ المِنْشَارُ ؟
أَمَّا سُقُوطُ الأَقْصَى فَحَالَةٌ   مَأْلُوفَةٌ تَجْرِي بِهَا الأَقْدَارُ
هَذِهِ شُئُونُ الْقُدْسِ لَيْسَ   لَنَا بِهَا شَأْنٌ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ خِيَارُ
يَا وَيْحَكُمْ يَا مُسْلِمُونَ قُلُوبُكُمْ مَاتَتْ   فَلَيْسَتْ بِالخُطُوبِ تُثَارُ
أَنْكَرْتُمْ الفِعْلَ الشَّنِيعَ بِقَوْلِكُمْ شُكْرًا   شُكْرًا لَكُمْ لَنْ يَنْفَعُ الإِنْكَارُ
شُكْرًا عَلَى تَنْظِيمِ مُؤْتَمَرَاتِكُمْ   وَعَلَى القَرَارِ يُصَاغُ مِنْهُ قَرَارُ
وَعَلَى تَعَاطُفِكُمْ فَتِلْكَ مِزْيَةٌ فِيكُمْ   تُصَاغُ لِمَدْحِهَا الأَشْعَارُ
يَا وَيْحَكُمْ يَا مُسْلِمُونَ نِسَاؤكُمْ فِي   القُدْسِ يَسْأَلْنَ عَنْكُمْ وَالدُّمُوعُ غِزَارُ

هَذِهِ تُسَاقُ إِلَى سَرَادِيبَ الهَوَى سَوْقًا وَتِلْـكَ يَقُودُهَــا الجَــزَّارُ
لَوْ أَنَّ سَائِحَةً مِنَ الغَـرْبِ اشْتَكَتْ فِي أَرْضِكُـمْ لَتَحَـرَّكَ الإِعْصَـارُ
أَمَّا الأَطْفَالُ أَمَّا الصِّغَارُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِهِمْ مَرَضٌ وَخَوْفٌ قَاتِلٌ وَحِصَارُ
وَاليَهُودُ يُذَبِّحُونَ وَيُقَتِّلُونَ وَمَا لَهُمْ نَاصِـرٌ وَدَمْـعُ عُيُونِهِـمْ مِـدْرَارُ
يَا وَيْحَكُـمْ يَا مُسْلِمُونَ تَنْسُـونَ أَنَّ الضَّعْفَ فِي وَجْهِ العَدُو مَذَلَّةٌ وَصَغَارُ
هَذِهِ هِيَ القُدْسُ يُحْرَقُ ثَوْبُهَا عَمْدًا وَيُهْتَـكُ عِرْضُهَــا الأَشْـرَارُ
تَبْكِي وَأَنْتُـم تَشْرَبُـونَ دُمُـوعَهَـا وَعَـنِ الحَقَـائِقِ زَاغَـتِ الأَبْصَـارُ
وَهَـذَا هُـوَ الأَقْصَـى يُهَـوَّدُ جَهْرَةً وَبِجَرْحَـةٍ تَتَحَـدَّثُ الأَخْــبَارُ
هَذَا هُـوَ الأَقْصَـى يَطْحَنُهُ الأَسَى وَجُمُوعُكُـمْ يَا مُسْـلِمُونَ عَــارُ
مِلْيَـارُكُـمْ لَا خَـيْرَ فِيـهِ كَأَنَّمَـا كُتِبَتْ وَرَاءَ الوَاحِـدِ الأَصْـفَارُ
مَا جَـرَّأَ اليهـودُ إِلَّا صَمْتُكُــمْ وَلَكَـمْ يَـذِلُّ بِصَمْتِـهِ المِغْــوَارُ
خَـابَتْ سِيَاسَةُ أُمَّــةٍ غَـايَاتُهَــا تَحْقِيـقُ مَـا يَرْضَـى بِـهِ الكُفَّـارُ
يَا قُدْسُ أَرْسِلْ دَمْـعَ العَيْنِ مِدْرَارًا عَمِيقَ الحُـزْنِ وَصُبَّ النَّزْفَ أَنْهَارًا
يَا قُـدْسُ تَـاهَ الأَهْـلُ وَالأَحْبَابُ وَعَــدَتْ بِأَرْضِ الأَنْبِيَـاءِ كِـلَابُ
قَدْسَاهُ أَرْضُ النُّورِ دَنَّسَهَا الدُّجَى وَالحَـقُّ ضَـاعَ وَتَاهَتِ الأَنْسَـابُ
قَـادَتْ قُرودُ الإِفْـكِ قَافِلَةُ الهُدَى وَسَجَى بِوَجْـهِ النَّائِمِـينَ ذُبَـابُ
لِيكُودُ بِرآسةُ شَارُونَ لِيكُودُ قَادَ عُصَابَة يَعْلُو بِهَا بِالْقُدْس مَكْر مُحْدِقٌ وَحِرَابُ
طَعَنُـوا بِهَـا الشُّرَفَـاءَ طَعْنَ مَذَلَّـةٍ فَثَوَى بِقُدْسِ المُعْجِزَاتِ خَـرَابُ

وَالقُبَّـةُ العُظْمَـى تَسِيلُ دِمَـاؤُهَـا وَالقُدْسُ يَبْكِي وَاشْتَكَى المِحْرَابُ

وَبَـدَا اليَهُـودُ بِأَرْضِنَـا وَكَأَنَّهُـمْ أَصْحَـابُ أَرْضٍ مَا لَهَـا أَصْحَـابُ

ضَـــاعَتْ فِلِسْـطِينُ الجَرِيحَــةُ وَاعْتَلَى أَقْصَى المَسَاجِدِ بِالسَّوَادِ ثِيَابُ

قُدْسَـاهُ أَيْنَ الفَاتِحُـونَ وَعِزُّهُـمْ ؟ أَيْنَ الجِهَـادُ الحَـقُّ وَالأَلْبَـابُ ؟

مَاذَا أَصَـابَ المُسْلِمِين فَهَـلْ تَرَى يُجْـدِي لَدَيْهِمْ بِالخُطُـوبِ عِتَـابُ

اليهود هم اليهود.. كررنا ذلك حتى بحت الأصوات، لكن الأمة لا تريد أبدًا أن تصدق رب الأرض والسماوات، متى وَفَّى اليهود بعهد على طول التاريخ ؟!.

قلت: لقد نقض اليهود العهود مع الأنبياء ومع رب الأرض والسماء، وأسأل بمرارة: هل ينقض اليهود العهود مع الأنبياء ورب الأرض والسماء ثم يفي اليوم اليهود بالعهود للحكام والزعماء ؟!.

لقد ماتت عملية السلام، قلنا ذلك مرارًا قبل ذلك فلم يصدقنا أحد.

فَحَالُ أُمَّتُنَا حَالٌ عَجِيبَةٌ وَهْيَ لَعَمْرِ اللهِ بَائِسَةٌ كَئِيبَه

يَجْتَاحُهَـا الطُّـوفَانُ طُوفَـانُ المُؤَامَـرَةِ الرَّهِيبَـه

وَيُخَطِّطُ المُتَـآمِرُونَ كَـيْ يُغْرِقُـوهَا فِي المُصِيبَـــه

وَسَيَحْفُرُونَ لَهَـا قُبُـورًا ضِمْنَ خِطَطِهِمُ الرَّهِيبَــه

قَالُوا السَّلَامَ السَّلَامَ قُلْتُ يَعُودُ الأَهْلُ لِلأَرْضِ السَّلِيبَه

وَسَيَلْبَسُ الأَقْصَـى غَـدًا أَثْـوَابًا قَشِيبَـه

فَإِذَا سَـلَامُهُمْ هُـوَ التَّنَـازُلُ عَنِ القُـدْسِ الحَبِيبَـه

فَبِئْسَ سَـلَامُهُمْ إِذًا وَبِئْسَتْ هَـذِهِ الخِطَطُ المُرِيبَـه

فَالمَسْـجِدُ الأَقْصَـى فِـي الدِّمَـاءِ لَـهْ ضَرِيبَـه

الله تبارك وتعالى خلق اليهود وهو وحده الذي يعلم من خلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٠]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣]

أي على خيانة بعد خيانة هذا كلام ربنا جَلَّ وَعَلَا ولا أريد أن أقف مع آيات القرآن فالآيات كثيرة قال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٦٠]

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ - ٧٩]

ها هو القـرآن يُقرأ ويتـلى في الليل والنهـار .. لكن من يصدق كـلام

العزيز الغفار ؟! ومن يصدق كلام النبي المختار ﷺ ؟!

اليهود قومُ بُهتٍ وقومُ خيانةٍ .. متخصصون في نقض العهود .. والله الذي لا إله غيره لن تأتي في إسرائيل وزارة تحترم عهودًا أُبرمت في أوسلو ، أو مدريد ، أو تل أبيب ، أو كامب ديفيد الأولى .. والمليون ، لن تكون هناك وزارة أو حزب عمل أو حزب ليكود يحترم عهدًا أو ميثاقًا ، فهذه جبلة اليهود وطبيعة اليهود منذ أول لحظة هاجر فيها المصطفى ﷺ إلى المدينة ، وقام عبد الله بن سلام حبر اليهود فنظر إلى وجه النبي ﷺ فعرف أنه ليس بوجه كذاب فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وقال للمصطفى يا رسول الله اليهود قوم بهت (أي أهل ظلم ينكرون الحقائق) . فاكتم عنهم خبر إسلامي وسلهم عني .

فجمع النبي بطون اليهود ، وقال لهم : « مَا تَقُولُونَ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ » قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وابن حبرنا ، فقام عبد الله بن سلام إلى جوار رسول السلام ﷺ ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فردوا جميعًا على لسان وقلب رجل واحد في حق عبد الله بن سلام وقالوا : هو سفيهنا وابن سفيهنا .. وجاهلنا وابن جاهلنا !! هذه طبيعة اليهود منذ اللحظات الأولى لم تتغير ولن تتغير ، فمتى يفيق النائمون ؟

ليعلم الكل علم اليقين أن أمريكا ليست شريكًا نزيها في عملية السلام ، كلا وألف كلا ، الكفر ملة واحدة ، لا يمكن أبدًا لأمريكا أن تنصر قضية من قضايا الأمة . لا يمكن أبدًا لهيئة الأمم أن تنصر قضية من قضايا الأمة ، لا يمكن أبدا لحلف الناتو أن ينصر الأقلية المستضعفة من المدنيين في فلسطين من أجل سواد عيون الأمة ، ولا تُخْدَعوا بتدخل حلف الناتو في كوسوفا لأنهم ما تدخلوا إلا لمصالحهم الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية . هذا أمر لا ينبغي أن يجهله الآن مسلم أو مسلمة على وجه الأرض .. الكفر لا ينصر توحيدًا ، الكفر لا ينصر إسلامًا ، الكفر ملة واحدة ، إنهم يشاهدون على شاشات التلفاز كل ليلة ما يحدث لإخواننا وأخواتنا وأطفالنا في فلسطين لكن .

أَيْنَ النِّظَامُ العَالَمِيُّ ؟ أَمَا لَهُ أَثَرٌ ؟ أَلَمْ تَنْعَقْ بِهِ الأَبْوَاقُ ؟

أَيْنَ السَّلَامُ العَالَمِيُّ ؟ لَقَدْ بَدَا كَذِبَ السَّلَامُ وَزَاغَتِ الأَحْدَاقُ

يَا مَجْلِسَ الخَوْفِ الَّذِي فِي ظِلِّهِ كُسِرَ الأَمَانُ وَضِيعَ المِيثَاقُ

أَوْ مَا يُحَرِّكُكَ الَّذِي يَجْرِى لَنَا أَوْ مَا يُثِيرُكَ جُرْحُنَا الدَّفَّاقُ

وَحْشِيَّةٌ يَقِفُ الخَيَالُ أَمَامَهَا مُتَضَائِلًا وَتَمُجُّهَا الأَذْوَاقُ

هذا هو الغرب يا من خُدِعتم بالغرب طيلة السنين الماضية .

هذا هو الغرب أيها المرجفون .. يا من تعزفون على وتر التقديس والتمجيد للغرب في كل المناسبات !!

قَالُـــوا لَنَـا : الغَـرْبُ قُلْتُ : صِنَاعَةٌ وَسِيَاحَةٌ وَمَظَاهِرٌ تُغْرِينَا
لَكِنَّـهُ خَـاوٍ مِنَ الإِيمَـــانِ لَا يَرْعَى ضَعِيفًـا أَوْ يَسُرُّ حَزِينًـا
الغَـرْبُ مَقْـبَرَةُ المَبَـادِئِ لَمْ يَزَلْ يَرْمِي بِسَهْمِ المُغْـرِيَاتِ الدِّينَـا
الغَـرْبُ مَقْـبَرَةُ العَـدَالَةِ كُلَّمَـا رُفِعَـتْ يَدٌ أَبْـدَى لَهَـا السِّكِينَا
الغَـرْبُ يَكْفُـرُ بِالسَّلَامِ وَإِنَّمَـا بِسَلَامِهِ المَوْهُـــومِ يَسْتَهْوِينَـا
الغَرْبُ يَحْمِلُ خنْجَرًا وَرُصَاصَةً فَعَـلَامَ يَحْمِلُ قَوْمَنَا الزَّيْتُونَا ؟!
كُفْـرٌ وَإِسْـلَامٌ فَأَنَّـى يَلْتِقِـي هَـذَا بِذَلِكَ أَيُّهَـا اللاهُـونَا ؟!
أَنَا لَا أَلُـومُ الغَرْبَ فِي تَخْطِيطِهِ وَلَكِـنْ أَلُـومُ المُسْلِمَ المَفْتُـونَـا
وَأَلُومُ أُمَّتَنَـا الَّتِي رَحَلَتْ عَـلَى دَرْبِ الخُضُـوعِ تَرَافُـقِ التِّنِّينَـا
وَأَلُـومُ فِينَـا نَخْـوَةً لَمْ تَنْتَفِضْ إِلَّا لِتَضْـرِبَنَـا عَلَـى أَيْدِينَـا

يَا مَجْلِسَ الأَمْنِ :

شُـكْرًا لَقَـدْ نَبَّهتَ غَافِلَ قَوْمِنَا وَجَعَلْتَ شَكَّ الوَاهِمِـينَ يَقِينَـا
يَا مَجْلِسَ الأَمْنِ انْتَظِـرْ إِسْلَامَنَـا سَيُرِيكَ مِـيزَانَ الهُـدَى وَيُرِينَـا
إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ فَسَلْ فِرْعَـوْنَ عَنْ غَرَقٍ وَسَلْ عَنْ خَسْفِهِ قَارُونَا

مَتَى يَفِيـقُ النَّائِمُونَ ؟ فَشُهَدَاؤُنَا بَيْنَ المَقَـابِرِ يَهْمِسُونَ

وَاللهِ إِنَّا قَادِمُونَ ، وَاللهِ إِنَّا عَائِدُونَ ، وَاللهِ إِنَّا رَاجِعُونَ

شُهَدَاؤُنَا خَرَجُوا مِنَ الأَكْفَانِ .. وَانْتَفَضُوا صُفُوفًا .. ثُمَّ رَاحُوا يَصْرُخُونَ

عَارٌ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْتَسْلِمُونَ .. وَطَنٌ يُبَاعُ !!

وَأُمَّةٌ تَنْسَاقُ قُطْعَانًا .. وَأَنْتُمْ نَائِمُون

شُهَدَاؤُنَا قَامُوا وَزَارُوا الْمَسْجِدَ الأَقْصَى

وَطَافُوا فِي رِحَابِ الْقُدْسِ وَاقْتَحَمُوا السُّجُون

فِي كُلِّ شِبْرٍ مِنْ ثَرَى الوَطَنِ الْمُكَبَّلِ يَنْبُتُونَ !!

فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ رُبُوعِ الأُمَّةِ الثَّكْلَى أَرَاهُمْ يَخْرُجُون !!

شَهَدَاؤُنَا وَسطَ الْمَجَازِرِ يَهْتِفُونَ .. اللهُ أَكْبَرُ .. إِنَّا عَائِدُون

شُهَدَاؤُنَا يَتَقَدَّمُونَ .. أَصْوَاتُهُمْ تَعْلُو عَلَى أَسْوَارِ فِلِسْطِينَ الحَزِينَةِ

فِي الشَّوَارِعِ .. فِي الْمَفَارِقِ يَهْدُرُونْ

إِنِّي أَرَاهُمْ فِي الظَّلَامِ يُحَارِبُونْ !!

رَغْمَ انْكِسَارِ الضَّوْءِ فِي الوَطَنِ الْمُكَبَّلِ بِالْمَهَانَةِ وَالْمُجُونْ

شُهَدَاؤُنَا وَسْطَ الْمَجَازِرِ يَهْتِفُون .. وَاللهِ إِنَّا عَائِدُون .. وَاللهِ إِنَّا عَائِدُون

أَكْفَانُنَا سَتُضِيءُ يَوْمًا فِي رِحَابِ الْقُدْسِ .. سَوْفَ تَعُودُ تَقْتَحِمُ الحُصُون

شُهَدَاؤُنَا فِي كُلِّ شِبْرٍ يَصْرُخُونَ .. يَا أَيُّهَا الْمُتَنَطِّعُونْ !!

كَيْفَ ارْتَضَيْتُمْ أَنْ يَنَامَ الذِّئْبُ فِي وَسَطِ القَطِيعِ وَتَأْمَنُونْ ؟!

وَطَنٌ بِعَرْضِ الكَوْنِ يُعْرَضُ فِي الْمَزَادِ وَطُغْمَةُ الجُرْذَانِ فِي الوَطَنِ الجَرِيحِ يُتَاجِرُونْ

أَحْيَاؤُنَا المَوْتَى عَلَى الشَّاشَاتِ فِي صَخَبِ النِّهَايَةِ يَسْكَرُونْ !!
مَنْ أَجْهَضَ الوَطَنَ العَرِيقَ وَكَبَّلَ الأَحْلَامَ فِي كُلِّ العُيُونْ ؟!!
يَا أَيُّهَا المُتَشَرْذِمُونَ .. وَالله إِنَّا قَادِمُونْ
شُهَدَاؤُنَا فِي كُلِّ شِبْرٍ فِي البِلَادِ يُزَمْجِرُونْ
جَاءُوا صُفُوفًا يَسْأَلُونَ : يَا أَيُّهَا الأَحْيَاءُ مَاذَا تَفْعَلُونْ ؟!
فِي كُلِّ يَوْمٍ كَالقَطِيعِ عَلَى المَذَابِحِ تُصْلَبُونَ !!
تَتَسَرَّبُونَ عَلَى جِنَاحِ اللَّيْلِ كَالفِئْرَانِ سِرًّا .. لِلذِّئَابِ تُهَرْوِلُونْ
وَأَمَامَ أَمْرِيكَا تُقَامُ صَلَاتُكُمْ فَتُسَبِّحُونْ !!
وَتَطُوفُ أَعْيُنُكُمْ بِهَا .. وَفَوْقَ رُبُوعِهَا الخَضْرَاءِ يَبْكِي السَّاجِدُونْ
صُوَرٌ عَلَى الشَّاشَاتِ جُرْذَانٌ تُصَافِحُ بَعْضَهَا !!
وَالنَّاسُ مِنْ أَلَمِ الفَجِيعَةِ يَضْحَكُونْ !!
تُبَاعُ أَوْطَانٌ .. وَتَسْقُطُ أُمَّةٌ .. وَرُؤُسُكُمْ تَحْتَ النِّعَالِ وَتَرْكُنُونْ
تُسَلِّمُ القُدْسُ العَرِيقَةَ لِلذِّئَابِ وَيَسْكَرُ المُتَآمِرُونْ !!
القُدْسُ تَسْأَلُكُمْ أَلَيْسَ لَهَا حَقٌّ عَلَيْكُمْ ؟ أَيْنَ فَرَّ الرَّافِضُونْ ؟!
أَيْنَ غَابَ البَائِعُونَ ؟ أَيْنَ رَاحَ الهَارِبُونْ ؟ الصَّامِتُونَ الغَافِلُونَ الكَاذِبُونْ ؟
صَمَتُوا جَمِيعًا وَالرُّصَاصُ الآنَ يَخْتَرِقُ العُيُونْ !!
وَإِذَا سَأَلْتَ .. سَمِعْتَهُمْ يَتَصَايَحُونْ .. هَذَا الزَّمَانُ زَمَانُهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ

فِي الوَرَى يَتَحَكَّمُونْ

لَا تُسْرِعُوا فِي مَوْكِبِ البَيْعِ الرَّخِيصِ .. فَإِنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَاسِرُونْ

لَنْ يَتْرُكِ الطُّوفَانُ شَيْئًا .. كُلُّكُمْ فِي اليَمِّ يَوْمًا غَارِقُونْ !!

تَجُرُّونَ خَلْفَ المَوْتِ وَالنَّخَّاسِ يَجْرِي خَلْفَكُمْ

وَغَدًا بِأَسْوَاقِ النَّخَاسَةِ تُعْرَضُونْ

لَنْ يَرْحَمِ التَّارِيخُ يَوْمًا مَنْ يُفَرِّطُ أَوْ يَخُونْ .

كُهَّانُنَا يَتَرَنَّحُونَ .. فَوْقَ الكَرَاسِي هَائِمُونْ !!

فِي نَشْوَةِ السُّلْطَانِ وَالطُّغْيَانِ رَاحُوا يَسْكَرُونْ !!

وَشُعُوبُنَا ارْتَاحَتْ .. وَنَامَتْ فِي غَيَابَاتِ السُّجُونْ !!

نَامَ الجَمِيعُ .. وَكُلُّهُمْ يَتَثَاءَبُونَ .. فَمَتَى يَفِيقُ النَّائِمُونْ ؟!!

متى سترجع الأمة إلى ربها - سبحانه وتعالى - وإلى نبيها ﷺ لتحقق منهج الله في الأرض ، لتكون أهلًا لنصرة الله .

فالأمة تملك مقومات النصر نعم .. الأمة تمتلك الآن مقومات النصر .

وهنا يثور السؤال المرير : ما الذي أوصل الأمة إلى هذه الحالة المزرية ؟!

من ذُلٍّ ، وضعفٍ ، وهوانٍ ، وتشرذمٍ ، وتشتُّتٍ !!

تقسمت الأمة إلى أجزاء ، بل وتفتت الأجزاء هي الأخرى إلى أجزاء !!

ما الذي أوصل أمة القرآن إلى هذه الحالة المزرية التي نراها عليها الآن ؟!!

وانتبه أيها الحبيب : لتتعرف على الجواب في كلمات قليلة حاسمة قاطعة قال تعالى : ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ [الرعد : ١١]

ورب الكعبة لقد غيرت الأمة ، وبدلت ، وحرفت ، وابتعدت الأمة كثيرًا عن المنهج الرباني الذي جاء به الحبيب المصطفى ﷺ .

يا شباب الصحوة : هذه سنة ربانية ثابتة .. ينبغي أن تستقر في القلوب قبل الأذهان والعقول .

إن الأمة قد انحرفت كثيرًا عن المنهج الرباني في جانب العقيدة ، في جانب العبادة ، في جانب التشريع ، في جانب الاتباع ، في جانب الأخلاق والمعاملات والسلوك .

ابتعدت الأمة كثيرًا كثيرًا - إلا من رحم ربك - عن المنهج الرباني الذي جاء به رسول الله ﷺ .

ففي جانب العقيدة نرى العقيدة الآن تذبح شر ذبحة على أيدي الكثيرين من أبناء الأمة - إلا من رحم ربك - والله جَلَّ وَعَلَا يقول : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢]

استمعنا بأم آذاننا على شاشات التلفاز من يقول وهو يناجي رسول الله

ﷺ : يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم ، وإن من فيض جودك الدنيا ودرتها ، ومن علومك علم اللوح والقلم !!

نرى العقيدة الآن تذبح شر ذبحة !!

في جانب العبادة : نرى كثيرًا من صور العبادة الظاهرة ، والباطنة قد صرفت لغير الله جَلَّ وَعَلَا . ذُبح لغير الله !! وسُئل غير الله !! واستعان كثير من الناس بغير الله !! وفوَّض كثير من الناس الأمور لغير الله !! بل ووثقت القلوب ببعض قوى الأرض وببعض دول الأرض أكثر من ثقتها بخالق السماوات والأرض - جَلَّ وَعَلَا - والله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ويقول : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣]

أما في جانب التشريع فابكِ دمًا بدل الدمع ، ضيعت الأمة شريعة ربها الكبير المتعال ، حرفت الأمة شرع ربها .. واستبدلت الأمة بالعبير بعرًا .. وبالثريا ثرى .. وبالرحيق المختوم حريقًا محرقًا مدمرًا .

أبت الأمة إلا أن تناقض قول ربها .. الله جَلَّ وَعَلَا يقول : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ فأبىٰ كثير من أبناء الأمة إلا أن يقول : إن الحكم إلا للمجالس الشعبية ، وللمجالس النيابية ، وللبيوت البيضاء والسوداء والحمراء والله جَلَّ وَعَلَا يقول : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠]

غيرت الأمة شريعة ربها . يقرأ المسلم الآن في قرآن ربه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة : ٦]

ويلتزم بهذا الأمر الإلهي ويُضَيّع في نفس السورة قول ربه : ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤]

يلتزم بقول الله في سورة البقرة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ... ﴾ [البقرة : ١٨٣]

ويضيع في نفس السورة قول ربه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ... ﴾ [البقرة : ١٧٨] انفصام نكد ، ضيعت الأمة – إلا من رحم ربك – شريعة ربها !!.

وفي جانب الاتباع تغنت الأمة بحبها لرسول الله ﷺ ، وخرجت طائفة من الأمة تسخر بسنته وتهزأ بأوامره .. فاللحية عفن !! والنقاب خيمة !! والخنْزير الذي حرمه القرآن كان خنْزيرًا هزيلًا في أرض الجزيرة .. أما خنازير اليوم فإنها تربى تحت العناية الطبية وتحت الرعاية الصحية فما الداعي لتحريمها والخمر الذي حرمه القرآن كان قديمًا ، أما خمر الآن فما الداعي لتحريمها وهي التي تسمى بالمشروبات الروحية !! وهكذا ادعت الأمة حب نبيها واتباع نبيها وسخرت من شريعته واستهزأت بسنته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما في جانب الأخلاق والمعاملات والسلوك فحدِّثْ ولا حرج ، كثر الغش وقل الصدق ، وانتشر الخداع ، وقُدِّمَ الفارغون ، وقدم الخائنون وأُخِّرَ المؤتمنون ، وقدم الكاذبون وأخر الصادقون ، وصدق في الأمة قول الصادق المصدوق كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه وهو حديث صحيح : « **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ ، يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ ، وينْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ** »(1). قيل وما الرويبضة يا رسول الله . قال : « **الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ** » . غيرت الأمة أيها الأحباب والله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ وأنا ما أريد أسكب اليأس والقنوط في قلوبكم ولكنني أريد أن أشخص الداء ولو كان مرًّا بطعم الحنظل لنحدد الدواء الناجح لهذا الداء ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه رقم (٤١٠٨) في الفتن ، باب شدة الزمان ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٨٨٧) .

أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

أقول أننا نستبشر بخير ولكن بشرط ؟.. أن تعلن الأمة الآن الجهاد في سبيل الله ، وسَيُهْزَم اليهود ، لا أقول ذلك رجمًا بالغيب ، ولا من ضغط الواقع المرير ولا من باب الأحلام الوردية الجاهلة ، ولا من باب الجهل بالواقع الذي تعيشه أمتنا ونحياه الآن بكل مآسيه ، كلا وإنما أقول ذلك من منطلق الحقائق الربانية والنبوية ، فهو كلام ربنا ، وكلام نبينا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

تدبروا معي هذه الآية التي قرأتموها جميعًا ، وسمعتموها جميعًا ، لكن قَلَّ من انتبه .. ووقف معها ليتدبرها ، ألا وهي قول الله في سورة آل عمران في حق اليهود : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١١١]

هل تصدقون الله رب العالمين وقال سبحانه : ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ... ﴾ [الحشر : ١٤]

هذا كلام الخالق الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ... ﴾ [الأعراف : ١٦٧]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ... فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ .

وها هم اليهود يأتون ألفافًا من كل بقاع الأرض ؛ ليتحقق وعد الله في آية الإسراء الأولى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤ - ٧]

تدبروا معي الآيات لنقف مع هذه البشارة العظيمة . فالحق وإن انزوى كأنه مغلوب فإنه ظاهر ، والباطل وإن انتفش كأنه غالب فإنه زاهق وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .. تدبر معي قول رب العالمين : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ إذا جاء وقت المرة الأولى لتدمير ما شيد اليهود ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ... ﴾ أي بعث الله على اليهود عبادًا له ليسوموا اليهود سوء العذاب .

اختلف المفسرون في كتب التفسير ، فقد قرأت ما يزيد على عشرين تفسيرا في هذه الآيات فوجدت أن جُل المفسرين قد فسروا هذه الآيات بأن الذي سُلِط على اليهود هم البابليون أو الرومان أو بختنصر ، فتدبرت الآيات مرارًا وتكرارًا ووقفت مع بعض أهل العلم من المحققين الذين قالوا : بأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ... ﴾ فالعبودية إن نُسبت لله لا تكون أبدا إلا للموحدين .

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ إذًا العبودية إن نُسبت لله تعالى وكانت خالصة له فهي من المؤمنين الصادقين ، والبابليون وثنيون ، والرومانيون وثنيون ، وبختنصر وثني ليس بمسلم ، فكيف يقال بأن هؤلاء تنطبق عليهم الآية ؟! كلا ، إذًا من هم عباد الله الذين سلطهم الله على اليهود أول مرة ؟ إنهم أصحاب المصطفى ﷺ نعم ، فهم الذين طردوا اليهود من بني النضير ، من بني قينقاع ، من خيبر ، من بني قريظة ، وأخرجوهم من المدينة .

ثم الصحابة هم الذين دخلوا المسجد أول مرة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يوم نزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلم مفاتيح

بيت المقدس بيده ، ليكتب لأهل بيت المقدس من أهل إليا العهدة العمرية المشهورة ، وقد تحدثت عنها بالتفصيل قبل ذلك .

إذًا .. أصحاب النبي ﷺ هم عباد الله الذين دخلوا المسجد أول مرة ، ولذلك تدبر معي قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ أي على هؤلاء العباد الذين انتصروا عليكم .

وها نحن نرى الكرة قد أعيدت لليهود علينا ، أي : على أبناء أصحاب النبي ﷺ من الموحدين والمؤمنين ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ ... ﴾ أي أمد الله اليهود بأموال وها نحن نرى ﴿ وَبَنِينَ ﴾ وها نحن نرى أبناء اليهود من كل بقاع الأرض يجتمعون ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ والنفير : هو نفير الحرب ، وها أنتم ترون اليهود يمتلكون إلى الآن مائتي قنبلة نووية وتمد أمريكا اليهود بالسلاح ، ثم قال لهم ربهم سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ تدبر معي ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ أي المرة الثانية والأخيرة ﴿ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ أي : ليسوء وجوهكم عباد الله من الموحدين والمؤمنين ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ .. اللهم عَجِّل بهذه المرة يا أرحم الراحمين .

وها هو نبينا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في مسند أحمد وغيره بسند صحيح أنه وضع يومًا يده على رأس أبي حوالة الأزدي ﷺ ثم قال النبي لأبي حوالة : « **يَا أَبَا حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ ، وَالبَلَايَا ، وَالأُمُورُ العِظَامُ ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ** ».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ** »[1] والله لا عزة للأمة ولا كرامة للأمة – بعد ما فعل اليهود ما فعلوا – إلا أن ترفع الأمة اليوم راية الجهاد في سبيل الله ، فليرفعها زعيم واحد من زعماء العرب وسينضوى تحت راية الجهاد في سبيل الله – بقيادته – ملايين الشباب ممن تحترق قلوبهم وتتشوق للشهادة في سبيل الله .

أيها المسلمون : كونوا على يقين جازم بأن الأمة لا ينقصها شيء من عدد ، وعدة ، وعتاد ، وقوة ، ولكن الأمة مهزومة من داخلها .

الله – جَلَّ وَعَلَا – ما أمر الأمة إلا أن تعد قدر استطاعتها ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

(١) متفق عليه : البخاري (٢٩٢٦) في الجهاد ، باب قتال اليهود ، ومسلم (٢٩٢٢) في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .

وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] إذا كان هذا الإعداد هو أقصى ما تملكه الأمة فما عليها بعد ذلك إلا أن تضحي بعشرات الآلاف من شبابها ممن يتشوقون الآن للشهادة في سبيل الله وأن ترفع راية الجهاد ، فلا عز لها ، ولا كرامة إلا بالجهاد وهذا هو كلام ربنا وكلام الصادق نبينا ، قال ﷺ : كما في مسند أحمد وسنن أبي داود والحديث صححه شيخنا الألباني من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال : « **إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِينَةِ وَرَضِيتُمْ بالزرعِ ، وَأَخَـذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَـر وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلا لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ** »[1].

أمَّا أنت والدي الفاضل ، وأنت أخي الحبيب ، وأنتِ أختي الفاضلة .

قد يسألني الجمع الذي بين يدي الآن ماذا نصنع نحن ؟ وما دورنا ؟

أقول لو خرجتم اليوم بهذه العقيدة ؛ بعقيدة الولاء والبراء .. بعقيدة الحب لله ولرسوله .. ثم بتحويل هذه العقيدة والحب لرسول الله ﷺ في حياتكم إلى واقع عملي وإلى منهج حياة وتبرأتم من اليهود ومن الشرك والمشركين ، وعلَّمتم نساءكم وبناتكم وأولادكم هذه العقيدة وأُشْرِبَ الجيلُ هذه العقيدة ، فإن هذه خطوة عملية على الطريق .

---

(١) صحيح : أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع ، باب في النهي عن العينة ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١١) .

والله ﷻ لن يسألنا عن النتائج .. بل أمرنا أن نبذل أقصى ما في طوقنا ، وهذا هو الآن ما في مقدورنا نحن الضعفاء ، ولندع النتائج بعد ذلك إلى الله جَلَّ وَعَلَا .

ثانيًا : ليستعد الآن كل رجل منكم للمرحلة المقبلة .. والله إن المرحلة القادمة لخطيرة ، وقد ينادى عليك بين عشية وضحاها ، إذا ما تعرض الجميع لحرج أمام اليهود . قد ينادى عليك بالخروج للجهاد في سبيل الله فإن المرحلة هذه قادمة ، ولابد أن تستعد .. لابد أن تعد قلبك .. وأن تعد نفسك .. وأن تعد نساءك .. وأن تعد بناتك .. وأن تعد أولادك لمثل هذا اليوم .

وسل الله بصدق أن يبلغك الشهادة قال ﷺ : « **مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** »[1].

ماذا تريدون بعد ذلك ؟

لكن المصيبة التي تحطم القلوب أن المسلم لا يحمل حتى في قلبه هما للدين ؟! فكيف يتحرك هذا بعد ذلك للجهاد ؟!

لابد أن تحترق القلوب ابتداءً ، لابد أن يرى الله منا أنه ما حبسنا عن رسول الله ﷺ إلا العذر . اللهم بلغ رسولنا عنا أنه ما حبسنا إلا العذر

(١) صحيح : مسلم رقم (١٩٠٩) في الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله ، وأبو داود (١٥٢٠) في الصلاة ، والترمذي (٣٦٥٣) في فضائل الجهاد ، والنسائي (٦/ ٣٦ ، ٣٧) في الجهاد .

ليرى الله من قلوبنا أنه ما حبسنا عن رسول الله إلا العذر .

وأبشركم بهذه البشارة .. بشارة تسكب الأمل في القلوب الجريحة الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم أنه ﷺ قال : « **إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا وَلاَ سِرْتُمْ مَسِيرًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ شَارَكُوكُمْ الأَجْر** » قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة . قال : « **وَهُمْ بِالمَدِينَةِ ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ** »[1] اللهم بلغ عنا رسولك أنه ما حبسنا إلا العذر .

يَا رَاحِلِينَ إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ لَقَدْ ... سِرْتُمْ جُسُومًا وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ نُكَابِدُهُ ... وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَ

... الدعـــاء

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٢٨٣٩) في الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الغزو ، ومسلم رقم (١٩١١) في الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر .

حضارة العبيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

« إنها حضارة العبيد » هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع في هذه الأزمة الحرجة التي تمر بها أمتنا من الأهمية بمكان وسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولًا : كلمات لها مغزى .

ثانيًا : حضارة العبيد .

ثالثًا : حضارة الإسلام والإنسانية الواحدة .

رابعًا : حضارة الإسلام والأخلاق الفريدة الفذة .

خامسًا : حضارة الإسلام والرفق بالحيوان .

وأخيرًا : أمانة أطوق بها الأعناق .

أعرني قلبك وسمعك أيها الأخ المبارك فإن هذا الموضوع في هذا الظرف الحرج من الأهمية بمكان .

أولاً : كلمات لها مغزى

أستهل بها الحديث عن هذا الموضوع الخطير الهام وأقول لا حاضر لأمةٍ تجهل ماضيها ، ولا مستقبل لأمة تنسى فضائلها ، وإذا كان الوقوف أمام الماضي للبكاء والنحيب عليه ، هو شغل الفارغين العاطلين التافهين !! فإن ازدراء الماضي بكل ما فيه من خير ونور هو شأن الحاقدين والجاهلين !!

ومن السفه أن تنطلي علينا الآن خطط الأعداء الذين حاولوا بكل سبيل أن يحولوا بين أجيال الأمة المعاصرة وبين الماضي المشرق المجيد حتى لا تستمد الأجيال من الماضي المجيد المشرق نورا يضيء لها طريق المستقبل وشعلة توقد شموس الحياة ، ودماء تتدفق في عروق المستقبل والأجيال .

إن كل أمة من أمم الأرض تعتز بماضيها ، ولو كان أسودَ مظلما كظلام الليل ، وتعقد له الاحتفالات ، بل وتمنح أبناءها في الوظائف الرسمية العطلات والأجازات ، وإن أحق أمم الأرض بهذا الاعتزاز والافتخار بجدارة واقتدار بل وبشهادة العزيز الغفار هي أمة نبينا المختار ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾ [آل عمران : ١١٠]

فَكِّرْ جيدًا في هذه الكلمات لتعلم أنه من الخطر العظيم أن يحال بين ماضينا المشرق وبين مستقبلنا . أسأل الله أن يجعله مستقبلًا زاهرًا للإسلام والمسلمين .

ثانيًا : حضارة العبيد

نعم إنها حضارة العبيد ، إنها الحضارة الخاوية الروح التي يمتطي جوادها الآن الرجل الغربي ، ليسوم البشرية كلها سوء العذاب ، فلقد شهدت البشرية اليوم في ظل حضارة العبيد هذه ما لا يمكن على الإطلاق أن تجسده كلمات قواميس اللغة !!

فإن البشرية الآن تشهد من صنوف الوحشية والبربرية - في ظل حضارة الرجل الغربي الذي تقدم ليقود العالم كله في ظل تأخر أمة القيادة - ما تخجل الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها في عالم الغابات . ليست مبالغة ، ما عليك إلا أن تنظر الآن إلى الواقع المرير للبشرية المنكوبة التي حادت عن منهج ربها ومنهج نبيها ﷺ .

نعم يا أيها المسلمون إننا نقر أنه لابد للحضارة من عنصرين ألا وهما : العنصر المادي ، والعنصر الأخلاقي .

ونحن لا ننكر ألبتة ما وصلت إليه الحضارة الغربية في عالم المادة ، فليس من الإنصاف ولا من التعقل أن ننكر ذلك بل إننا نثبت ذلك للحضارة الغربية في عالم المادة . نقر بأن الرجل الغربي قد انطلق بعيدًا بعيدًا في أجواء الفضاء ، وانطلق بعيدًا بعيدًا في أعماق البحار والمحيطات ، وفجَّر الذرة وصنَّع القنبلة النووية ، وصنع القنابل الجرثومية ، بل وحوَّل العالم كله إلى قرية صغيرة عن طريق هذا التقدم المذهل في عالم الاتصالات والمواصلات .

لا ننكر ذلك أبدًا ولا نتجاهل هذا ، ولكننا على يقين جازم - كذلك - أن الحياة ليست كلها مادة ، وإنما لابد وإن استطاع طائر جبارٌ أن يحلق في أجواء الفضاء بجناح واحد لا يستطيع أن يواصل طيرانه وتحليقه وإنما سيسقط حتمًا لينكسر جناحه الآخر ، وإن طالت مدة طيرانه في هذا الفضاء

الفسيح . فالحياة ليست كلها مادة ، بل لابد للجانب الأخلاقي من تواجد فعال في هذه الحضارة .

إن الحضارة المادية الآن التي وصلت إليها الحضارة الغربية ما استطاعت أن تمنح الإنسان - ابن هذه الحضارة - ما استطاعت أن ترتقي به إلى طهارة إنسانيته أو إلى وضاءة آدميته ، ما استطاعت أن توفر لابن هذه الحضارة راحة البال .. وانشراح الصدر .. وطمأنينة النفس .. كلا ، ما استطاعت أن تمنح الإنسان هذا كله ، بل يقف علماء النفس والطب الآن في حيرة ودهشة أمام هذه الحالات المتزايدة لعدد المصابين بالأمراض النفسية والعصبية ، وأمام هذه الحالات الهائلة للانتحار الجماعي في مثل هذه البلاد المتحضرة التي وصل فيها الإنسان إلى ما وصل إليه في جانب المادة كما تعلمون وكما ترون وكما تسمعون وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١٢٤- ١٢٧]

لقد عجزت الحضارة المادية أن ترتقي بإنسانها - ابن هذه الحضارة الخاوية الروح - عجزت أن ترتقي به إلى السعادة .. إلى انشراح الصدر .. إلى راحة الضمير .. إلى طمأنينة النفس وراحة البال .. عجزت لأن الروح لا توزن

بالجرام ، ولا تقاس بالترمومتر ، ولا تخضع للتجارب المعملية في أحد المعامل إنما هذه الروح يعجز أي إنسان على هذه الأرض أن يقدم لها المنهج الذي يرتقي بها ، وأن يقدم لها المنهج الذي يغذيها ، إذ لا يستطيع أن يقدم لهذه الروح منهج صلاحها و فلاحها في الدنيا والآخرة إلا خالق هذه الروح قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤]

نعم أيها الأحبة الكرام : الحضارة الغربية فقدت العنصر الأخلاقي ، ومن المعلوم أن سنة الله في تطور الحياة أن الحضارة اللاحقة لابد أن تتفوق على الحضارة السابقة في الجانب المادي حتما ، هذه سنة من سنن الله في تطور هذه الحياة ، فمن العبث أن نطالب الحضارة السابقة بما وصلت إليه الحضارة اللاحقة في جانب التطور المادي .

وأضرب لكم مثالًا ليتضح ما أقول : انظر إلى الكتابة في الماضي السحيق ثم انظر الآن إلى الكتابة بعد هذا التطور المذهل في آلات الكتابة الحديثة التي تطبع الآن عشرات الآلاف من الكلمات في الدقيقة الواحدة ، فما وصل إليه الغربي الآن إنما هو محصلة لأدمغة وعقول عشرات الأجيال ، لكن محال أن ترتقي حضارة على ظهر الأرض أو أن تدوم بالعنصر المادي فقط أبدًا أبدًا ، بل إن الحضارة لا تسود ولا تبقى إلا بالعنصر الأخلاقي ليحدث التوازن بين هذا العنصر المادي وبين هذا العنصر الأخلاقي .

هنا .. ارجع البصر مرة ومرة .. وكرة بعد كرة إلى العنصر الأخلاقي في ظل قيادة الرجل الغربي لتعلم أنها حضارة قد تجردت من الأخلاق ، لتعلم أنها حضارة العبيد يسعد فيها ابن الحضارة الكافرة بأن يجلس لا على كرسي بل على عظام أخيه الإنسان !!! ليسعد فيها ابن هذه الحضارة لا بشرب كأس من الماء البارد وإنما بشرب برك دماء لإخوانه هنا وهناك !! انظر لتتعرف على حقيقة هذه الحضارة ، التي تجردت من كل خُلق ومن كل فضيلة .

انظر وارجع البصر إلى ما يجري على أرض البوسنة ، وارجع البصر كرة أخرى على ما يجرى على أرض الشيشان !! وارجع البصر كرة ثالثة إلى ما يجري على أرض فلسطين !! وارجع البصر كرة رابعة إلى ما يجرى على أرض العراق !! وارجع البصر كرة خامسة إلى ما يجرى على أرض كشمير !! وارجع البصر كرة سادسة وسابعة وعاشرة وألف إلى ما يجرى في كل مكان وُحِّدَ فيه الملك جَلَّ جَلَالُهُ !! لتعرف إلى أي درك دني وصلت حضارة الغرب في جانب الأخلاق !! وإن خرج إلينا ابن هذه الحضارة بهذه الشعارات الرنانة الجوفاء كحقوق الإنسان والديمقراطية المشؤومة ، وحرية المعتقدات ، والنظام العالمي ، والسلام العالمي ، إلى آخر هذه الدعاوي الكاذبة التي لم تعد تنطلي الآن إلا على السذج والرعاع هذه الأفعال البشعة التي تبين بجلاء - لكل ذي لب - حضارة الغرب في هذه

الأيام رغمًا عن أنف الدجل الإعلامي والعهر السياسي الذي يتغنى به قادة الغرب في قاعات المؤتمرات وفي المجالس والهيئات والمنظمات .

يتغنى قادة العالم الغربي بهذه الشعارات والواقع يكذِّب الدجل الإعلامي ويكذب هذا العهر السياسي .

ولأبين لحضراتكم قيمة هذه الحضارة التي يتغنى بها أولئك وهؤلاء في كل مناسبة وبدون مناسبة ففي أربع سنوات فقط قُتِلَ على أرض البوسنة بمنتهى الوحشية البربرية ما يزيد على نصف مليون في ظل حضارة الرجل الغربي !! اغتصاب جماعي منظم للنساء على أرض البوسنة على مرأى ومسمع من ابن الحضارة الغربية التي يتغنى بها في الليل والنهار !! صرخت المسلمة . صرخت باسم الإنسانية . صرخت في الضمير العالمي كله وقالت :

أَنَا أَيُّهَا النَّاسُ مُسْلِمَةٌ طَوَى ... أَحْلَامَهَا الأَوْبَاشُ وَالفُسَّاقُ

أَخَذُوا صَغِيرِي وَهُوَ يَرْفَع ... صَوْتَهُ أُمِّي وَفِي نَظَرَاتِهِ إِشْفَاقُ

وَلَدِي وَتَبْلُغُنِي بَقِيَّةُ صَرْخَةٍ ... مَخْنُوقَةٍ وَيُقَهْقِهُ الأَفَّاقُ

وَيَجُرُّنِي وَغْدٌ إِلَى سِرْدَابِهِ ... قَهْرًا وَتُظْلِمُ حَوْلِيَ الأَفَاقُ

وَيَئِنُّ فِي صَدْرِي العَفَافُ وَيَشْتَكِي ... طُهْرِي وَتُغْمِضُ جَفْنُهَا الأَخْلَاقُ

أَنَا لَا أُرِيدُ طَعَامَكُمْ وَشَرَابَكُمْ ... دَمِي هُنَا يَا مُسْلِمُونَ يُرَاقُ

عِرْضِي يُدَنَّسُ أَيْنَ شِيمَتُكُمْ ؟ ... أَمَا فِيكُمْ أَبِيٌّ قَلْبُهُ خَفَّاقُ

أُخْتَاهُ أَمَّتُنَــا الَّتِي تَدْعُـونَهَا | صَارَتْ عَلَى دَرْبِ الْخُضُوعِ تُسَاقُ
أَوْدَتْ بِهَـا قَوْمِيَّـةٌ مَشْئُومَــةٌ | وَسَرَى بِهَا نَحْوَ الضَّيَاعِ رِفَاقُ
إِنْ كُنْتِ تَنْتَظِرِينَهَا فَسَيَنْتَهِي | نَفَـقٌ وَتَأْتِـي بَعْـدَهُ أَنْفَــاقُ
فَمُدِّي إِلَى الرَّحْمَنِ كَفَّ تَضُرُّعٍ | فَلَسَوْفَ يَرْفَعُ شَأْنَكِ الخَلَّاقُ
لَا تَيْأَسِـي فَأَمَامَ قُـدْرَةِ رَبِّنَـا | تَتَضَاءَلُ الأَنْسَابُ وَالأَعْـرَاقُ

هذا ما يُفعل بالمرأة في ظل الحضارة الغربية !! هذا ما يفعل بالمرأة في ظل النظام العالمي الجديد !! هذا ما يفعل بالمرأة في ظل السلام العالمي !! هذا ما يفعل بالمرأة على مرأى ومسمع من ابن الحضارة التي يتغنى بحضارته الخاوية الكافرة في الليل والنهار !! حتى الأطفال شهدوا – في ظل حضارة الغربيين – ما لا يمكن لمخلوق على ظهر الأرض أن يجسده حتى الأطفال لم يسلموا – في ظل حضارة العبيد التي يمتطي جوادها الآن الرجل الغربي – حتى الطفل يستخدم الآن على أرض البوسنة كدرع بشري !! بمعنى أن يفخخ الأطفال بالألغام يعلنوا في مكبرات الصوت أنهم قد أفرجوا عن مجموعة كبيرة من الأطفال ، فإذا ما وصل الأطفال إلى قواعد البوسنة المسلمة وخرج القادة وخرج الأهل لاستقبال أطفالهم وأبنائهم ، يقوم الصرب عن طريق أجهزة التحكم عن بُعد التي تعرف بالريموت كنترول فيفجر الصرب الألغام في هؤلاء الأطفال المساكين فيقتل الأطفال ويقتل كل من خرج لاستقبالهم !!! في ظل حضارة الغربي

الفاجر ، حتى الطفل لم يَسْلَم !! المرأة لم تسلم !! الشيخ الكبير لم يسلم !! الرضيع الصغير لم يسلم !! بل كانوا يأتون بالأم وينْزعوا ولدها الرضيع من صدرها !! بل لقد نشرت وكالات الأنباء بالصور أنهم كانوا يبقرون البطون ويخرجون الأجنة من بطون أمهاتهم !! ينتزع الطفل من صدر أمه وتقيد الأم بالأغلال ويوضع الطفل على النار ليشوى ، والأم تنظر ، فإذا ما انتهى هؤلاء الفجرة من شَيِّهِ أُجبرت الأم - تحت تهديد الرصاص - أن تأكل من لحم طفلها المشوي ، في ظل الحضارة الغربية يفعل هذا بالأطفال قتلوا أربعين ألف طفل ، وشردوا مائة ألف طفل في مخيمات اللاجئين في زغرب في مقدونيا في ألبانيا في الملاجيء الكنسية في أوربا كلها ، حتى الأطفال لم يسلموا في ظل حضارة الغربي أطفالنا . فكر الآن في طفلك ، فكر الآن في ولدك لتشعر بما أقول .

أَطْفَالُنَا نَامُـوا عَلَى أَحْلَامِهِمْ   وَعَلَى لَهِيبِ القَاذِفَاتِ أَفَـاقُوا
أَطْفَالُنَا بِيعُـوا وَأُورُبَّا الَّـتِي   تَشْرِي فَفِيهَا رَاجَتِ الأَسْوَاقُ

أطفالنا بيعوا ، يباع الطفل المسلم الآن في أوربا بمائة دولار فقط !! تشهد أوربا الآن أبشع تجارة رقيق في التاريخ كله للأطفـال ، بل يستخدم الطفل الآن كفأر تجارب في معامل أمريكا وفي إنجلترا وهولندا ، في هذه الدول التي تتغنى بالحضارة المكذوبة الكافرة الفاجرة !!!

أَيْنَ النِّظَـامُ العَالَمِـيُّ ؟ أَمَـا لَهُ أَثَرٌ ؟ أَلَمْ تَنْعَقْ بِهِ الأَبْـوَاقُ ؟

أَيْنَ السَّلَامُ العَالَمِيُّ ؟ لَقَدْ بَدَا كَذِبَ السَّلَامُ وَزَاغَتِ الأَحْدَاقُ

يَا مَجْلِسَ الخَـوْفِ الَّذِي فِي ظِلِّهِ كُسِرَ الأَمَانُ وَضِيعَ المِيثَاقُ

أَوْ مَا يُحَرِّكُكَ الَّذِي يَجْرِى لَنَا أَوْ مَا يُثِيرُكَ جُـرْحُنَا الدَّفَّاقُ

يُعْفَى عَنِ الضَّرْبِ الَّذِينَ طَغَوْا وَأَجْبَرُوا وَيُفْرِدُ بِالعِقَابِ عِرَاقُ

وَحْشِيَّةٌ يَقِفُ الخَيَـالُ أَمَامَهَـا مُتَضَـائِلًا وَتَمُجُّهَـا الأَذْوَاقُ

إنها ورب الكعبة حضارة العبيد إنها .. حضارة العبيد بكل المقاييس .

أين هذه الحضارة التي يفعل الإنسان في ظلها بأخيه الإنسان ما تستحي الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها البعض في عالم الغابات ؟!!

هل نسيتم ما فعله ابن هذه الحضارة بقنبلته النووية في هيروشيما ونجازاكي ؟

هل نسيتم ما فعله ابن هذه الحضارة في أمريكا بالسود الزنوج ؟! وليست أحداث لوس أنجلوس من أحد ببعيد .

هل نسيتم ما يفعله ابن هذه الحضارة في كل مكان بأخيه الإنسان ؟!

من أجل ماذا ؟! من أجل التطهير العرقي !!

من أجل ماذا ؟! من أجل اللون !! من أجل العقيدة !! من أجل الدين !! هذا ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان في ظل قيادة الرجل الغربي !!

إنها حضارة العبيد ، ولا أريد أن أتوقف طويلًا مع هذا العنصر فإن الجراح دامية ، ولكن تعال معي لنبين لهؤلاء الذين يخشون الإسلام ، ويخافون الإسلام ، بل ويستحي أحدهم أن يعلن بأنه مسلم !! أو أن يذكر في مؤتمر من المؤتمرات لفظة إسلام !! أو آية قرآن أو حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام .

وكأن الإسلام الآن ما هو إلا دين التطرف والإرهاب هنا وهناك !! إن حدثت مصيبة في أي موضع أعجب إذا مرت تلك المصيبة دون أن تنسب إلى الإسلام والمسلمين !! كنت أتوقع يوم أن حدثت أحداث لوس أنجلوس في أمريكا أن يقولوا بأن الذي فجر هذه الأحداث الإرهابيون والمتطرفون !!

كنت أتوقع يوم أن وقع الزلزال في مصر أن يقولوا بأن الذي أحدث الزلزال هم الإسلاميون الإرهابيون !!

كنت أتوقع إذا حدثت أي مصيبة - ولا زلت - أن تلصق هذه المصيبة والتهمة بالإسلام بالإرهابيين بالمتطرفين !!

وإذا أردت أن تتحقق من صدق ذلك فما عليك إلا أن تجلس أمام مسلسل من المسلسلات التي يعزف على وترها إعلامنا الوقور .. الحيي .. الذي يحارب التطرف والإرهاب من أجل ذلك فهو يسخر لا بالتطرف

والمتطرفين ولا بالإرهاب والإرهابيين وإنما بسنة سيد النبيين ﷺ !! وأنتم جميعًا تشاهدون وتسمعون وتقرءون !! إنه الواقع المر الأليم !!

انظروا يا من تخشون الإسلام ، والله لو علمتم عظمة الإسلام ، والله لو علمتم حقيقة الإسلام ، والله لو علمتم عدالة الإسلام لمنحتم الدعاة الصادقين الجوائز والمكافآت لينطلقوا ليعلموا الناس جميعًا في الشرق والغرب - بعد بلاد المسلمين - حقيقة هذا الدين .

ثالثًا : حضارة الإسلام والإنسانية الواحدة

إنها حضارة الإسلام أيها المسلمون .. الإسلام الذي جاء ليجعل الناس جميعًا سواسية بين يدي الله ﷻ ، لا عصبية لراية ، لا عصبية للون ، لا عصبية لجنس ، لا عصبية لوطن . جاء الإسلام ليجعل الناس جميعًا بين يدي الله ﷻ سواء .

فمنذ اللحظات الأول رفع الإسلام هذا الشعار للإنسانية الواحدة بقوله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣]

الله أكبر !! منذ اللحظات الأولى ، يؤصل الإسلام هذا الأصل العظيم .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ**

إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »(١).

بل وفي الحديث الذي رواه أحمد بسند صحيح والبيهقي في سننه من حديث جابر بن عبد الله أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : « **أَيُّهَا النَّاس أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِد ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِد ، أَلاَ إِنَّ أَبَاكُم وَاحِد ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِي عَلَى أَعْجَمِيّ ، وَلاَ لعجمي عَلَى عَرَبِيّ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، وَلاَ لأَحْمَر عَلَى أَسْوَد إِلاَّ بالتَّقْوَى** » ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ . هذا هو الإسلام الذي يؤصل الإنسانية الواحدة ، لا فرق بين لون ولون .. وجنس وجنس .. وأرض وأرض .. إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

وفي يوم فتح مكة وقف المصطفى ﷺ ليؤصل هذا الأصل كما في الحديث الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال : حديث حسن ورواه الترمذي كذلك من حديث عبد الله بن عمر وقال حديث حسن غريب ، وهذا لفظ حديث أبي هريرة أنه ﷺ وقف يوم فتح مكة وقال : « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبيَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا أَلَا إِنَّ**

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٦٤) في البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٨٥ ، ٥٣٩) .

أَبَاكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ » ثم قال ﷺ : « فَالنَّاسُ رَجُلَانِ . رَجُلٌ بَرٌ تَقِيٌ كَرِيم عَلَى الله ، وَرَجُلٌ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى الله » وتلا النبي ﷺ قول الله ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

جاء الإسلام أيها المسلمون ؛ ليسوي بين بلال الحبشي ، وأبي ذر الغفاري ومعاذ الأنصاري ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وحمزة القرشي ، بل لما افتخر هؤلاء بأنسابهم قال سلمان :

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

فلما سمعها عمر بكى ؓ وقام لينشد بيت سلمان وهو يقول :

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

فلقد رفع الإسلام سلمان فارس ووضع الكفر الشريف أبا لهب .

والسؤال الآن - وأعرني قلبك وسمعك لهذا السؤال - هل ظلت هذه المبادئ الإنسانية التي جاء بها الإسلام ؟ هل ظلت حبرًا على ورق في أدراج حبيسة كميثاق حقوق الإنسان في هيئة الأمم ؟ هل ظلت حبيسة في البلد الذي نادى أول مرة بهذه المبادئ في المدينة المنورة كما حبست فرنسا مبادئ الثورة الحرة - كما زعمت - عن مستعمراتها وبلدانها ورعاياها ، أو هل ظلت هذه المبادئ وقامت هذه الحضارة الإسلامية لتجسد هذه المبادئ بتماثيل وأصنام كاذبة فارغة ؟! كما فعلت أمريكا بتنصيب تمثال

للحرية في وسط ميدان فسيح في نيويورك يصدم الداخل للمدينة أول مرة ، ثم خرجت أمريكا نفسها خارج أرضها ؛ لتلعن الحرية ولتسحق الأحرار الشرفاء الأطهار الأبرار !! هل فعلت حضارة الإسلام هذا ؟ لا والله .. اقرءوا التاريخ ، وشهادة التاريخ أصدق شهادة ، ماذا فعل الإسلام ليحول هذه المبادئ إلى منهج حياة وإلى واقع يسمع ويرى في دنيا الناس ؟!!

ولنستهل **الأدلة العملية** برائد حضارتنا وأسوتنا وقدوتنا المتجددة على مر الأجيال والقرون ، فمحمد ﷺ الذي حول هذه المبادئ والمواثيق الشريفة - التي نادى بها - على أرض الواقع إلى منهج حياة ، يشرق ، ويتألق روعة وسموًّا وجلالًا .

ففي الصحيحين : أن امرأة شريفة من الأشراف من بني مخزوم سرقت ، فغضبت قريش وحزنت أن الرسول ﷺ سوف يقيم عليها الحد ويقطع يدها ، فقالوا : لا ، لابد أن يشفع أحد عند رسول الله ﷺ حتى لا تقطع يدها فقالوا : من يُكلِّمُ فيها رسُولَ الله ﷺ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيهِ إلَّا أُسامَة ، حِبّ رسُول الله ﷺ ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فقال رسول الله ﷺ : « **أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله يَا أُسَامَةُ ؟** » وارتقى النبي ﷺ المنبر وهو غاضب وقال : « **أَيُّهَا النَّاس ! إنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وَأيْم الله ! لَوْ**

أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »[1] إنه التطبيق العملي للمساواة، للمساواة الإنسانية الواحدة.

وهذا أبو ذر الغفاري، رجل من غفار أبيض اللون، وهذا بلال حبشي رجل من الحبشة أسمر اللون، وكلاهما من أصحاب رسول الله ﷺ الأخيار فدار بينهما خلاف واحتد الخلاف فنظر أبو ذر لبلال وقال له: يا ابن السوداء، فغضب بلال وأخذها وانطلق إلى سيد الرجال ﷺ فأخبره بما قال أبو ذر، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا والتفت إلى أبي ذر ؓ وقال: « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** »[2]، فندم أبو ذر وبكى.

وانظر إلى هذا الأفق الوضيء وإلى هذه القمة السامقة التي جسدت هذا الندم حينما وضع أبو ذر خده على الأرض واستحلف بلالًا ؓ أن يطأ بنعله على خده الآخر، إنه الإسلام.

واسمحوا لي بأن أُذَكِّر أيضًا بهذا المشهد الواحد وتمنيت أن لو سمعه كل زعماء الغرب، إنه عمر، وما أدراكم ما عمر ؟! عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي رأى قافلة تدنو من المدينة في الليل، فقال لعبد الرحمن بن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٥) في أحاديث الأنبياء، ومسلم رقم (١٦٨٨) في الحدود، باب قطع يد السارق الشريف.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٠) في الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ومسلم (١٦٦١) في الإيمان، باب إطعام المملوك.

عوف : يا عبد الرحمن هل لك في أجر الليلة ؟ قال ماذا تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال تعال بنا لنحرس هذه القافلة تلك الليلة !!

فليسمع العالم كله ، ولتسمع الحضارة الغربية الكاذبة ، عن هذه النّزعة الإنسانية الفريدة ، ويقوم عمر وعبد الرحمن بن عوف يصليان ويحرسان ، وفجأة سمع عمر بكاء صبي في القافلة ، فدنا عمر من صوت بكاء الصبي ، ثم نادى على أم الصبي وقال : اتقي الله وأحسني إلى صبيك .

طفل يبكي يحرك قلب الحاكم ، طفل يبكي مع أمه ! مع أقرب الناس إليه ! فيتحرك له قلب الحاكم ! قلب أمير المؤمنين ! قلب حاكم الدولة يتحرك لبكاء طفل بين أحضان أمه ، لا أقول بين أحضان القنابل والطائرات والدبابات والرشاشات بين أحضان أمه ! فيقترب عمر ويقول : اتقي الله وأحسني إلى صبيك ، ثم ينصرف لصلاته ، وبعد فترة يسمع بكاء الصبي فيرجع إلى المرأة ويقول : اتقي الله وأحسني إلى صبيك ، فإني أراك أم سوء فقالت : يا عبد الله لقد أبرمتني منذ الليلة « تعني : لقد أزعجتني - وهي لا تعرف من تخاطب ثم - قالت : » إني أُكره ولدي على الفطام كرهًا ، فقال عمر : لم تستعجليه ؟ فقالت : لأن عمر بن الخطاب لا يبرم عطاءً إلا للفطيم ، فبكى عمر وانخلع قلبه لهذه الكلمة ، وعاد يجر ثوبه يبكي ، يقول عبد الرحمن بن عوف : ما عرف الناس قراءته في صلاة الفجر من شدة بكائه ، الله أكبر !! ، وبعدما سَلَّم وانتهى من صلاته قبض على لحيته

وبكى وقال : ويل لعمر .. يا بؤسًا لعمر .. كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين ؟!! فلتسمع الدنيا ، فليسمع قادة الغرب ، وليسمع قادة المسلمين ، كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين ؟.. الله أكبر ، ثم يأمر عمر بن الخطاب المنادي أن يمشي بين الناس ويقول : لا تستعجلوا صبيانكم في الفطام فإنا نبرم العطاء لكل من ولد في الإسلام منذ أول يوم ، إنها عظمة الإسلام .. إنها الإنسانية الفذة يا عباد الله .. إنها صورة سامقة .. مهما أوتيت من البلاغة والفصاحة فلم أستطع ولن أستطيع أن أجسد لحضراتكم هذه النّزعة الإنسانية التي جاء بها الإسلام ، والتي أَصَّل قواعدها وأسس بنيانها محمد عليه الصلاة والسلام ، وأكتفي بهذا القدر لأُعَرِّجَ على بقية العناصر في عجالة سريعة بعد جلسة الاستراحة ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد : فيا أيها الأحبة :

رابعًا : الحضارة الإسلامية والنزعة الأخلاقية

ستعجب إذا قلت لك أيها الحبيب : بأن الإسلام كان فريدًا في أخلاقه حتى عَلَى أرض المعارك وفي ميادين الحروب ، مع أن رؤية الدم تثير الدم ، ومع أن القتال يثير الحمية في النفوس والانتقام ، وبالرغم من ذلك كله أقول : إن الإسلام كان فريدًا في أخلاقه حتى في ميادين القتال والحروب ، الله أكبر ! يغضب النبي ﷺ حينما يرى امرأة قد قتلت في الميدان ، ويأمر الصحابة ألا يفعلوا ذلك ، ويأمر الصديق جيش أسامة ويقول : لا تقتلوا شيخًا ، ولا امرأة ، ولا رجلًا تفرغ للعبادة في صومعته ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا بقرة إلا للأكل ، هذه مُثُلُ الإسلام حتى في عالم الحروب والمعارك ، بل ولا يعلم التاريخ أحدًا فُعِلَ به من الأذى والاضطهاد مثل ما فُعِلَ بنبينا ﷺ : أوذي في مكة ، ووضع التراب على رأسه ، ووضعت النجاسة على ظهره ، خنق حتى كادت أنفاسه أن تخرج ، وطرد من بلده ، وحرم من بيته وماله ، وأوذي أصحابه أشد الإيذاء ، وبالرغم من ذلك لما ترك وطنه وبلده وهاجر إلى المدينة ما تركه المشركون حتى في المدينة بل جردوا عليه السيوف ، ولما عاد النبي ﷺ منتصرًا في يوم فتح مكة وقف أهل مكة جميعًا بين يديه ، قال لهم : صاحب الخلق : « **مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟** » قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : « **أَقُولُ لَكُمْ مَا قَالَهُ**

أَخِي يُوسُف لإخْوَتِهِ : لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْم ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاء »[١]
وللأمانة العلمية أقول : إن هذا الحديث سنده ضعيف ، سبحان الله ! حتى في هذه الأوقات الحرجة انظروا إلى أخلاق النبي ﷺ ، عاد من الطائف بعد أن رُمِيَ بالحجارة وطُرِدَ وَفَعَلَ به أهل الطائف أبشع ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان ، وقيل له : ادعُ على المشركين يا رسول الله : فماذا قال صاحب الخلق حتى في هذه الأوقات التي قد يميل القلب فيها إلى التشفي والانتقام إذ أن الإنسان يشعر بالظلم ، وبالرغم من ذلك يقول : « **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون** »[٢].

وطبق صحابته الكرام ﭫ هذه المبادئ أعظم تطبيق شهدته الأرض وعرفه التاريخ ، الله أكبر ! انظروا ماذا فعل المسلمون يوم أن امتدت الفتوح الإسلامية إلى بلاد سمرقند في عهد عمر بن عبد العزيز ، وأرسل حاكم سمرقند رسالة إلى قاضي القضاة يخبره بأن الفتح الإسلامي لسمرقند فتح باطل ؛ لأنهم دخلوا عليهم عنوة ، ولم يفرضوا عليهم جزية ، ولم ينذروهم بالقتال ، وأرسل قاضي القضاة إلى عمر بن عبد العزيز ليخبره بذلك ، فما كان من عمر ﭬ إلا أن أمر قائد الجيوش في سمرقند بالانسحاب فورًا ، ولما علم أهل سمرقند أن الجيش قد انسحب بأمر أمير

---

(١) رواه البيهقي في السنن (٩/ ١١٨) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٥٩٩) في البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب .

المؤمنين عمر خرج أهل سمرقند عن بكرة أبيهم بين يدي الجيش الفاتح المنتصر ليعلنوا جميعًا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

إن تاريخ الحروب الإسلامية تاريخ مشرق فليقرأ التاريخ وليقف الناس جميعًا أمام عبر هذا التاريخ ، وأنتم تعلمون ما فعله صلاح الدين بالصليبيين ، أتعلمون أنه قَدَّم طبيبه الخاص في أرض المعركة ليعالج قائد الحملة الصليبية حين وصل إلى علمه أنه مريض ولا يوجد من يبذل له الدواء والعلاج ؟!! أي أخلاق هذه أخوة الإسلام ؟!!

ولما صرخت امرأة نصرانية ورمت بنفسها على خيمة صلاح الدين في الليل وسألها ما الخبر ؟ فأخبرته أن أحد أفراد الجيش الإسلامي قد أخذ ولدها ، فأمر صلاح الدين أن يرد الجيش بأي سبيل هذا الطفل ، ولم يهدأ حتى اطمأن بنفسه أن المرأة قد رُدَّ إليها طفلها .

وتعلمون ما فعله محمد الفاتح بالنصارى الصليبيين في كنيسة آيا صوفيا حينما فتح القسطنطينية ، فعل ما سيقف أمامه التاريخ وقفة إعزاز وإجلال وإكبار ، فاقرءوا التاريخ فإن الوقت لا يتسع لما فعله هؤلاء الأطهار الأبرار حتى في المعارك والحروب والميادين ، فالإسلام ضرب أروع الأمثال حتى في أرض المعارك التي تثير فيها رؤية الدم الدماء ، وينتشي القادة الفاتحون بسكرة النصر للتشفي والانتقام ، ولكنه لم يحدث في ظل حضارة الإسلام التي أسس أصولها وأسس بنيانها محمد ﷺ .

خامسًا أيها الأحبة أقول :

حضارة الإسلام والرفق بالحيوان

إن الإسلام هو الذي أصَّل أصول الرفق بالحيوان .. قبل أن تتغنى أوربا وأمريكا بجمعية الرفق بالحيوان ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ** »(١) .

هذا هو **الإسلام** قبل أن تتغنى أمريكا وأوربا بالرفق بالحيوان ، بل وفي الصحيح « **أَنَّ بَغِيًّا** - امرأة زانية - **مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيل مَرّتْ عَلَى كَلْبٍ يَلْهَثُ الثَّرَى مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** - **خُفَّهَا** - **وَمَلأَتْهُ مَاءً مِنَ البِئْرِ فَسَقَتْهُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهَا بِهِ** »(٢) .

وأنا أقول أيها الأحبة : إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا ، فكيف تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا ؟!!

من أجل كلب غفر الله لبغي من بغايا بني إسرائيل .. هذا هو الإسلام .

وأخيرًا أيها الأحبة :

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٣٣١٨) في بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٢٤٢) في السلام ، باب تحريم قتل الهرة .

(٢) متفق عليه : البخاري رقم (٣٤٦٧) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم رقم (٢٢٤٥) في السلام ، باب فضل سقى البهائم .

أمانة أطوق بها الأعناق

حتى لا أطيل عليكم ، أمانة أطوق بها أعناق حكامنا ، وأطوق بها أعناق علمائنا ، وأطوق بها أعناق المسلمين والمسلمات في كل مكان ، أن يُظْهِر حكامنا هذا الإسلام وحقيقته بعدم محاربته .. بعدم الصد عن سبيل الله ، وأن يعلنوا للعالم كله - إذ أن اللعبة في أيديهم في المقام الأول - أن يبينوا للعالم كله حقيقة الإسلام ، وأنا أتألم أشد الألم حينما أرى حكام المسلمين في كل مؤتمر من المؤتمرات ، بمناسبة ، وبدون مناسبة ، لا يتكلمون إلا عن التطرف والإرهاب ، إذًا ستوصمون أنتم بذلك ، فدعوكم من هذه النغمة الممجوجة ، وبينوا للعالم كله حقيقة الإسلام وعظمة الإسلام ، وعدالة الإسلام ، ورحمة الإسلام ، وإن وقع من بعض المسلمين بعض الأخطاء فلا ينبغي أبدًا أن نركز المجاهر المكبرة على هذه الأخطاء لنعلق على هذه الشماعة الظلم السياسي والظلم الاجتماعي والاستبداد الأخلاقي ، والفساد الطبقي .

تلك إذًا قسمة ضيزى ، سبحان الله ! هذه الأفعال تمارس في كل ساعة على خشبة المسرح العالمي ، فأين أنتم من التطرف اليهودي في فلسطين ؟! أين أنتم من التطرف الصربي في البوسنة ؟! أين أنتم من التطرف الوثني الشيوعي في الشيشان ؟! أين أنتم من التطرف البقري الوثني في كشمير ؟! أين أنتم من التطرف في طاجكستان ، في الصومال ، في كل مكان ؟! لا

ينبغي أن تركز المجاهر المكبرة على بعض الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الشباب ، وإنما ينبغي أن نفتح صدورنا لهؤلاء الشباب ، وأن يفسح المجال للعلماء المخلصين والدعاة الصادقين ؛ ليبينوا الحق لهؤلاء الشباب وليأخذوا بأيديهم إلى ما جاء به الإسلام من عظمة ، وخلق ، وعدل ، ورحمة .

وأمانة أطوق بها أعناق العلماء ، يا علماء الأمة : أنتم مشاعل الهداية ، إننا في وقت لا وقت فيه ولا مجال فيه للنفاق ولا للتملق ولا للمداهنة ، ولو دامت الكراسي لأحد ما وصلت إليكم ، إن الكراسي زائلة ، وإن المناصب فانية ، وإن أعظم خدمة الآن تقدمونها لدين الله أن تصدقوا الحكام النصيحة ، أن تبذلوا النصيحة الصادقة بأدب ، نعم بأدب ، نحن لا نخرج عن قواعد الأدب ، بأدب وبإجلال وبتواضع واحترام .

فلا ينبغي أن تجترنا عنتريتنا على المنابر هنا أو هناك لنسفه هذا أو ذاك أبدًا ، إنما أقول : نبذل النصيحة لهؤلاء الحكام بأدب و إخلاص وبصدق ، فإن الوقت لا مجال فيه ألبته للتملق ولا للمداراة ولا للمداهنة .

وأنتم أيها المسلمون اشهدوا لهذا الإسلام بسلوككم وبأخلاقكم وبأعمالكم .. كفانا خطبًا .. إن الإسلام لن نعيده للأرض بالخطب الرنانة ، ولا بالمواعظ المؤثرة ، إنما أنت أيها المسلم ، وأنتِ أيتها المسلمة ، تحركوا لهذا الدين ، إنني أكرر وأنادي ، وأصرخ .. حولوا الإسلام أنتم إلى واقع ، انقلوا الإسلام من المساجد إلى كل أمور الحياة ليرى العالم كله كيف أن

المسلمين قد ارتقوا بإسلامهم إذ أن العالم يحكم الآن على الإسلام من خلال واقعكم أنتم أيها المسلمون ، فليشهد الطبيب لإسلامه ، وليشهد المهندس لإسلامه ، وليشهد العالِم لإسلامه ، وليشهد الموظف لإسلامه ، وليشهد المدرس لإسلامه ، ولتشهد المرأة لإسلامها ، كل بعمله ، بأخلاقه ، بسلوكه ، أن نحول الإسلام في حياتنا كلها إلى منهج حياة وإلى واقع يتحرك في دنيا الناس .

الدعـــاء ...

أسير في قيد .. دروس وعبر !!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

« أسير في قيد .. دروس وعبر » هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا حتى لا ينسحب الوقت من بين أيدينا سريعًا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولًا : الرفق والإحسان إلى الناس يُحوِّلانِ البغض إلى حب .

ثانيًا : سيرة حافلة بالدروس والعبر .

ثالثًا : عودة واجبة .

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا ممن ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولا : الرفق والإحسان إلى الناس يحولان البغض إلى حب

أحبتي في الله ..

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ خيلًا قِبل نجد « أي أرسل النبي سرية عسكرية استطلاعية ناحية نجد ، وكانت هذه السرية بقيادة محمد بن سلمة » فجاءت هذه السرية برجل من بني حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطت هذا الرجل في سارية من سواري المسجد « أي عمود من

أعمدة المسجد » وهم لا يعرفونه ، فثمامة قبل من أقبال العرب « أي : سيد من أسياد العرب وشريف من أشرافهم » أسروه وهو في طريقه إلى العمرة ، ولكن كان على الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا ، وأدخلوه إلى المسجد ، وربطوه في عمود من أعمدة المسجد النبوي فلما دخل النبي ﷺ رآه فعرفه وفي رواية ابن هشام قال النبي ﷺ لأصحابه : « **أَلاَ تَعرِفُونَ مَنْ هَذَا ؟!!، إِنَّهَ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ اليَمَامَةِ** » وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يحسنوا إليه .

ونعد إلى رواية الصحيحين خرج النبي ﷺ إليه فقال : « **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟** » فقال : عندي يا محمد خيرٌ إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه النبي ﷺ حتى كان الغد . ثم خرج النبي ﷺ فقال : « **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟** » قال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد فقال : « **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟** » ، فقال : عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فقال النبي ﷺ : « **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** » ، فأطلقه أصحاب النبي ﷺ ، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد النبوي ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وقال : يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهُك أحب الوجوه كُلها إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك ، فأصبح

دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا تأمرني ؟ فبشره النبي ﷺ - قال الحافظ ابن حجر : بشره بخيري الدنيا والآخرة ، أو بشره بالجنة ، أو بشره بتكفير سيئاته ؛ لأن الإسلام يهدم ما قبله - .

بشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ (أي هل تركت دين آبائك وأجدادك وتبعت محمدًا على دينه ؟) قال : لا ولكني أسلمتُ مع رسول الله ﷺ ، والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ (أي حبة قمح) حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ [1].

وفي رواية ابن هشام أن ثمامة لما وصل بطن مكة رفع صوته بالتلبية فكان أول من لبى وجهر بالتلبية في مكة ، فلما رأى المشركون رجلًا يتحداهم بهذه الصورة العلنية الجريئة قالوا : من هذا الذي يجتري علينا ويرفع صوته بالتلبية في بلادنا وديارنا ، ويردد الكلمات التي يُعَلِّمُهَا محمدٌ لأصحابه ؟! فانقضوا عليه وأرادوا أن يضربوا رأسه ، فقال أحدهم : ألا تعرفون من هذا ، إنه ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة وأنتم تحتاجون إلى اليمامة في طعامكم فخلوا سبيل الرجل ، فالتفت إليهم وقال : والله لا يأتينكم حبة حنطة من اليمامة إلا بإذن رسول الله ﷺ .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٣٧٢) في المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، ومسلم رقم (١٧٦٤) في الجهاد والسير ، باب جواز الإغارة على الكفار .

أيها الأحبة الكرام ..

إنه مشهد بالغ الروعة أعترف بداية أنني أعجز عن أن أصور لحضراتكم روعته وعظمته وجلاله ، فرسول الله ﷺ هو الرحمة المهداه والنعمة المسداه ، لا للموحدين فحسب بل للعالمين قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: رسولُ الله رحمةٌ للبار والفاجر ، فمن آمن به تمت له النعمة ، وتمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر أمن من عذاب الدنيا حتى يلقى الله في الآخرة مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣]

وفي الصحيحين - وتدبر هذا الحديث - عن عائشة قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال المصطفى : « **لَقَدْ لَقيتُ مِنْ قَوْمِكِ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ** » وهو شريف من أشراف أهل الطائف ولكنه رفض دعوة النبي ﷺ وسلط الصبيان والسفهاء على الحبيب ورموه بالحجارة حتى سالت الدماء من جسده الطاهر يقول : « **فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ** » مكان يبعد عن الطائف بما لا يقل عن خمسة كيلو مترات ، ولم يستفق النبي ﷺ من همه وألمه إلا في هذا الموطن ودماؤه تنْزف يقول : « **فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ**

فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ الله ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فقال : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِليكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ . فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ » فقال له النبي ﷺ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »[1] وفي رواية لما قيل : ادع الله على المشركين ، قال المصطفى ﷺ : « إِنِي لَمْ أُبعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ».

أيها المسلمون : تدبروا كيف حَوَّل الرفق والإحسان من رسول الله ﷺ البُغض المتأصل في قلب ثمامة إلى حب جياش فياض !! . ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة خرج إلى مكة ليعتمر ليقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك . تملكه وما ملك ، فأبى الله جَلَّ وَعَلَا إلا أن يلبي تلبية الموحدين ، فسبحان من بيده القلوب يحولها كيف يشاء قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال : ٢٤].

ثمامة أُسر ورُبط في المسجد وهنا ترجم عليه البخاري بابًا يُجوّز فيه أن يدخل المشرك إلى المسجد ، وأبى النبي إلا أن يظل ثمامة في المسجد النبوي لِحِكَمٍ غالية عديدة .. ليرى ثمامة بعينيه وليسمع بأذنيه عظمة هذا الدين .. ليرى النبي بنفسه .. وليسمع كلام النبي .. وليرى أخلاق النبي ﷺ .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٢٣١) في بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ، ومسلم (١٧٩٥) في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين .

أيها المسلمون : لابد أن نعي هذا الدرس ، العنف يهدم ولا يبني ، الشدة تفسد ولا تصلح . الرفق والإحسان إلى الناس هو الذي يحول البغض في القلوب إلى محبة صادقة فياضة ، ما أحوجنا إلى أن نعي هذا الدرس .

يأتي شاب شرح الله صدره للالتزام فأعفى اللحية ، وقصر الثوب ، وحافظ على مجالس العلم ، ولا زال أبوه بعيدًا عن طريق الله ، ولا زالت أمه بعيدة عن طريق رسول الله ﷺ ، فيجعل هذا الشاب من البيت حريقًا محرقًا مدمرًا ، يسيء إلى والده ، ويسيء إلى أمه ، يسفه أباه ويحتقر أمه ، ويضرب إخوته ، ويسيء إلى إخوانه ، فيظن أهل البيت أن الالتزام غضب مستمر . لا يا أخي أنت أسأت إلى الإسلام من حيث لا تدري ، وأسأت إلى منهج النبي ﷺ في الدعوة من حيث لا تشعر ، ففرِّقوا أيها الشباب وأيها المسلمون بين مقام الجهاد الذي يحتاج إلى الغلظة والقسوة والشدة ، وبين مقام الدعوة الذي يحتاج إلى اللين والحكمة والرحمة قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل : ١٢٥]

بل وخاطب الله نبيين كريمين خاطب موسى وهارون : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤]

قرأ سيدنا قتادة - رحمه الله - الآية فبكى ، وقال سبحانك ما أحلمك ، إن كنت تأمر موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولًا لينًا ، فإن كان هذا

هو حلمك بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، فكيف يكون حلمك بعبد قال سبحان ربي الأعلى ؟!.

أحبتي في الله : إن ثمامة تأصَّل البغض في قلبه ، وأنتم تعلمون أن البغض الآن متأصل في قلوب كثيرة في الشرق والغرب .

أقول : تأصل البُغض في قلب ثمامة . لا لشخص النبي ﷺ بل لدين النبي بل لبلد النبي فما الذي حدث ؟!

تحول هذا البغض إلى حب بالرفق والإحسان والحكمة والرحمة واللين .

هذه هي متطلبات مقام الدعوة إلى الله ، البغض الآن متأصل في قلبي الشرق والغرب على الإسلام ، فصورة الإسلام مشوهة ، مُحرَّفة ، مبدلة !! فكيف نحول هذه الصورة إلى حقيقتها ؟!! والإجابة : إذا عدنا نحن ابتداءً إلى هذا الإسلام ، فحولنا الإسلام بعظمته بيننا ابتداءً وعلى أرض الواقع ، وفي دنيا الناس إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ، يتألق سموًّا وروعة وجلالًا ، فإن القول إذا خالف الواقع والعمل ، بذر بذور النفاق في القلوب كما قال علام الغيوب : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ - ٣]

ولاحظ أن ثمامة لما شرح الله صدره للدين وضع كل قدراته وإمكانياته وطاقاته لنصرة الدين فاستشعر المسئولية العظيمة التي أُلقيت على عاتقه منذ أول لحظة دخل فيها إلى دين الله - جَلَّ وَعَلَا - فخلع رداء الكفر على عتبة التوحيد والإيمان ، وأعلن الفاصلة الحاسمة بين الإيمان

والشرك فأعلن الولاء لله ورسوله والمؤمنين وعلى الفور عادى الشرك والمشركين .

هذه كلها دروس مترابطة لا ينفك درس منها عن الآخر ، بمجرد أن يشرح صدر المرء للإسلام لابد من أن يخلع رداء الكفر على عتبة الإيمان ، وأن يعلن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن يعلن البراءة من الشرك والمشركين ، وأن يسخر كل طاقاته وقدراته وإمكانياته لنصرة هذا الدين الذي منَّ الله به عليه .

لاحظ قولة ثمامة وهو يقول للمشركين : والله لا تصل إليكم حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ﷺ ، وعاد ثمامة ليضرب حصارًا اقتصاديا على قريش . والسلاح الاقتصادي من أخطر الأسلحة ، وبكل أسف يُستخدم الآن ضد المسلمين . حصارًا اقتصاديا على العراق .. حصارًا اقتصاديا على السودان .. حصارًا اقتصاديا على ليبيا .. حصارًا يستخدم لإذلال المسلمين .. وليت الأمة تعي يوم أن استخدمت هذا السلاح مرة واحدة في حرب العاشر من رمضان - لا أقول حاصروا الغرب حصارًا اقتصاديا كاملًا بل بسلاح واحد من أسلحة الحصار ، ألا وهو سلاح البترول - تغيرت الموازين وانقلبت .

والأمة المسلمة تمتلك من القدرات والإمكانيات والمقومات ما تستطيع بها - لو اتحدت كلمتها على قلب رجل واحد - أن تغير موازين العالم بأسره ، فأموال الأمة الإسلامية في بنوك الشرق والغرب تحرك دفة

السياسة العالمية بأسرها .

انطلق ثمامة بمفرده ليضرب حصارًا اقتصاديا على قريش حتى أكلت قريش العلهز(١) واستجار القرشيون من أهل مكة بنهر الرحمة وينبوع الحنان محمد بن عبد الله ﷺ قالوا : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإن ثمامة قد منع عنا الميرة من اليمامة ، فإن شئت فاكتب إليه ليخلي بيننا وبين الميرة ، فما كان من نهر الرحمة وينبوع الحنان - الذي يأمر بصلة الأرحام ، مع أنهم أعداؤه ، مع أنهم الذين أساؤوا إليه ليل نهار - ما كان منه إلا أن يكتب إلى ثمامة ﷺ أن يخلي بينهم وبين ما يصل إليهم من ميرة ، ففعل ثمامة ليعلم القرشيون قدر ومكانة رسول الله ﷺ .

وهذا ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أبي - رضوان الله عليه - لما قال رأس النفاق أبوه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فلما سمع ولده عبد الله بذلك ذهب إلى النبي ﷺ فقال له المصطفى : « **أَوَ مَا سَمِعْتَ مَا قَالَهُ أَبُوكَ يَا عَبْدَ الله** » قال : وماذا قال أبي بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟. قال : « **قَالَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ** » فقال عبد الله ابن عبد الله بن أُبي : صدق والله أبي فأنت الأعز وهو الأذل ، ثم قال : يا رسول الله ! والله لترى ما تقر به عينك ، فانطلق عبد الله ووقف لأبيه بالسيف على باب داره فقال عبد الله لأبيه : والله لا يأويك ظلها (يعني

---

(١) العلهز : شيء كانوا يأكلونه في عام المجاعة يخلطون فيه الدم بوبر الإبل ثم يُشوى على النار فيأكلونه إذا اشتد بهم الجوع .

المدينة) ولا تبيتن الليلة في بيتك إلا بإذن من الله ورسوله ﷺ لتعلم من الأعز ومن الأذل ، إنه الولاء لله والرسول والمؤمنين .. إنه البراء ، إنها المفاصلة الحاسمة .

دروس غالية يجب أن نقف أمامها طويلًا ، فإن سيرة النبي ﷺ حافلة بالدروس والعبر لكننا بكل أسف أصبحنا نتعامل - إلا من رحم الله - مع سيرة النبي ﷺ لمجرد الثقافة الذهنية الباردة ، أو لمجرد الاستمتاع السالب ، أو لمجرد الدراسة النظرية .. وكأن سيرة النبي ﷺ كانت وفقط !!

والله ما أرسل الله نبيه وما جعل الله حياة النبي ، وسيرة النبي ، وسنة النبي ﷺ ماضيًا فحسب ، بل يجب أن تكون سيرته شعلة توقد شموس الحياة ، ودماءً تتدفق في عروق مستقبلنا وأجيالنا .

هذه السيرة ليست للدراسة النظرية ، بل لنحولها في حياتنا إلى واقع حياة .. وإلى منهج عملي .. يتألق سموًّا ، وروعة .

فلنتعلم هذا الرفق .. وهذه الرحمة .. وهذه الأخلاق .. وصدق ربي إذ يقول : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ - ٣٥]

وصدق المصطفى إذ يقول كما في صحيح مسلم « **إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا**

سِوَاهُ »[1] وفي صحيح مسلم من حديث عائشة « **إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَمَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَه** »[2].

تدبروا هذا الدرس الذي رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي يقول : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم (أي في الصلاة) فقلت : يرحمك الله (أي وهو في الصلاة) يقول : فرماني القوم بأبصارهم فقلت : وَاثُكْلَ أُمِّيَاه ! ما شأنكم تنظرون إليّ ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَني لَكِنِّي سَكَتُّ ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن منه تعليمًا ، فوالله ما كَهَرَنِي ولا ضَرَبَنِي ولا شَتَمَنِي وإنما قال : « **إِنَّ الصَّلاَةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاس ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ** »[3].

هل هذه الدروس لمجرد الاستماع السالب ؟! أم لتحول الأمة هذه الأخلاق وهذه الدروس في بيوتها ، وأماكن عملها ، وحياتها وواقعها إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ؟! ورسول الله هو أسوتنا وقدوتنا . قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١]

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٩٣) في البر والصلة ، باب فضل الرفق .
(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٥٩٤) في البر والصلة ، باب فضل الرفق .
(٣) صحيح : رواه مسلم (٥٣٧) في المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب النبي ﷺ : مه مه (يعني ماذا تصنع) فقال المصطفى ﷺ : « **لَا تُزْرِمُوهُ . دَعُوهُ** » (لا تقطعوا عليه بولته) فتركوه حتى بال ، ثم نادى عليه نهر الرحمة وينبوع الحنان ومعلم الحكمة نادى عليه بأبي هو وأمي وقال له : « **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** »(1) وفي رواية ابن ماجه بسند صححه شيخنا الألباني - رحمه الله - إن هذا الأعرابي أصبح فقيهًا بعد هذه الكلمات فقال : بأبي هو وأمي قام إلي ، ولم يؤنب ، ولم يسب ، ولم يضرب .

ثم انفعل هذا الأعرابي بأخلاق الحبيب النبي ﷺ فقام يدعو للنبي في الصلاة كما في رواية البخاري(2) في كتاب الأدب من حديث أبي هريرة أنه قال : اللهم ارحمني ومحمدًا ، ولا ترحم معنا أحدا ! فلما سَلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي : « **لقد حَجَّرْتَ وَاسِعًا** » لماذا ضيقت ما وسع الله جَلَّ وَعَلَا - يريد رحمة الله - فالله سبحانه يقول : ﴿ ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾

[الأعراف : ١٥٦]

وتدبروا أيضًا هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد من حديث

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٠٢٥) في الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، ومسلم (٢٨٥) في الطهارة ، باب وجوب غسل البول .

(٢) صحيح : البخاري (٦٠١٠) في الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم .

أنس ، أن النبي ﷺ لما فتح حنين فقسم في المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئًا ، فغضب الأنصار الأطهار الأبرار وقالوا : يغفر الله لرسول الله يُعطي قريشًا ويترُكنا وسُيُوفُنا تقطر من دمائهم . قال أنس : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبَّة من أدم ، ولم يَدْعُ معهم غَيْرَهم فلما اجتمعوا قال النبي ﷺ فقال : « **مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ** » فقال له فُقَهاء الأنصار : أما ذَوُو رَأْينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا ، وأما ناسٌ منا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يُعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال النبي ﷺ : « **فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ الله ؟ ، فَوَالله لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ** »[1] وفي رواية ابن اسحق بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن الأنصار قال قائلهم : والله لقد لقي رسول الله ﷺ قومه (أي لما لقي رسول الله ﷺ قومه من قريش أعطاهم ونسينا) فلما سمع ذلك سعد بن عبادة انطلق إلى النبي ﷺ فاخبره بما قال الأنصار ، فقال النبي المختار : اجمع لي الأنصار يا سعد ، فانطلق سعد فجمع الأنصار فخرج النبي ﷺ إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٤٣٣١) في المغازي ، باب غزوة الطائف ، ومسلم (١٠٥٩) في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

فَهَدَاكُمُ اللهُ بِيَ ؟ ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي ؟ ، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي ؟ » فسكت الأنصار ، فقال المصطفى : « **أَلاَ تُجِيبُون يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟** » فقالوا : الله ورسوله أَمنُّ . فقال المصطفى ﷺ : « **والله لَوْ شِئْتُم لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ ، لَقُلْتُم جِئْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَوَاسَيْنَاكَ ، وَخَائِفًا فَأَمَنَّاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ** » فقال الأنصار : المنّ لله ولرسوله ﷺ ، فالتفت المصطفى إليهم وقال بلغة الإحسان والرفق والرحمة والحنان ، قال المصطفى : « **وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ** (أي في أمر تافه من الدنيا) **فَأَلَّفْتَ بِهَا قُلُوبَ قَومٍ أَسْلَمُوا حَدِيثًا ، وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِيمَانِكُمْ بالله ورسُولِهِ ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجَعَ النَّاسُ إِلى رِحَالِهِم بِالشَّاةِ والبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ أَنْتُم إِلى رِحَالِكُم بِرَسُولِ الله** » ثم التفت إليهم مرة أخرى وقال : « **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ** » ثم رفع يديه وقال : « **اللهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ** » فبكى الأنصار حتى اخضلت لحاهم من البكاء أمام هذا الإحسان والرفق ، وحسن التصرف ، والمعاملة .

وأختم هذه الدروس بدرس جميل آخر رواه الطبراني[1] من حديث

---

(١) قال الحافظ في الإصابة : رواه الطبراني ، والحاكم ، وأبو الشيخ ، وابن سعد وغيرهم ثم قال : ورجال إسناده موثوقون ، وذكره ابن كثير في البداية وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٠) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

عبد الله بن سلام بسند رجاله ثقات ، أن حبر اليهود زيد بن السعنة قال : والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه النبي حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما فيه الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا .

يقول : فانطلقت يومًا فرأيت النبي ﷺ وقد أقبل عليه رجل يركب راحلته وهو يقول : يا رسول الله إن قومي من قرية كذا أو من بني فلان في قرية كذا ، كانوا قد دخلوا الإسلام فكنت وعدتهم أنهم إن دخلوا الإسلام أن يأتيهم الرزق رغدًا ، وقد أصابتهم اليوم شدة فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طردا كما دخلوا الإسلام طمعًا ، فإن رأيت أن نرسل إليهم بشيء من المال لتغنيهم به فعلت ، وجزاك الله خيرًا فالتفت النبي ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب وكأنه يريد أن يسأل هل عندنا من المال شيء ؟!! يقول زيد بن سعنة : فأقبلت على محمد ﷺ وقلت : يا محمدُ هل تبيعني تمر حائط بني فلان إلى أجل معلوم ؟ فقال النبي ﷺ : « **نَعَمْ لَكن لا تُسمِّي حَائِطَ بني فُلان** » فقال زيد بن سعنة : قبلت . يقول زيد : فأعطيت النبي ثمانين مثقالًا من ذهب فدفعها كلها إلى الرجل وقال : « **أَغِثْ بِهَذَا المَالِ قَومَكْ** » يقول زيد : وقبل أن يحل وقت السداد رأيت محمدًا في نفر من أصحابه ، بعد أن صلى على جنازة رجل من الأنصار ، يجلس إلى جوار جدار ، فأقبلت عليه ، وأخذت النبي من مجامع ثوبه وقلت له : أدي ما

عليك من دَيْنٍ يا محمد ، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا مُطْلًا !! فالتفت عمر إلى هذا الحبر اليهودي - وهو لا يعرفه - وقال : يا عدو الله ! تقول لرسول الله ما أسمع ، وتفعل برسول الله ما أرى ، والله لولا أني أحذر غضبه ﷺ لضربت رأسك بسيفي هذا !! فالتفت النبي إلى عمر وزيد بن سعنة يراقب وجه النبي ، ويراقب كلمات النبي ، ويريد أن يسمع ماذا سيقول رسول الله ﷺ في هذا الموقف الرهيب العصيب ، فالتفت النبي إلى عمر وقال : « **أَنَا وَهُو يَا عُمَرُ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ جَزَاءَ مَا رَوَّعْتَهُ** » يقول زيد : فأخذني عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا من التمر . فقلت له : ما هذه الزيادة . قال : أمرني رسول الله أن أزيدكها جزاء ما روعتك . فقال زيد بن سعنة : ألا تعرفني يا عمر . قال : لا . قال : أنا زيد بن سعنة . قال عمر : حبر اليهود . قال : نعم . قال عمر : فما الذي حملك على أن تفعل برسول الله ما فعلت ؟!! قال زيد : يا عمر والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما ، فيه الأولى : يسبق حلمه جهله ، والثانية : لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا أما وقد عرفتهما اليوم فإني أشهدك أني قد رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا ورسولًا ، وعاد حبر اليهود مع عمر بن الخطاب إلى المسجد فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وشهد مع رسول الله ﷺ بعد ذلك كل المشاهد والغزوات وتوفى في غزوة تبوك مقبلًا غير مدبر ﷺ .

أيها المسلمون : أيها الأحبة الكرام .

ألم أقل لحضراتكم أن الإحسان إلى الناس يحول البغض في القلوب إلى حب ؟! ليت الأمة تعي هذا الدرس بحكامها ، وعلمائها ، وشبابها ، ونسائها .

ليت الأمة تعود إلى سيرة النبي لتحول هذه السيرة العطرة والأخلاق الزكية في حياتها إلى واقع عملي وإلى منهج حياة .

فوالله ! ما تعلقت القلوب برسول الله ﷺ إلا لهذه الأخلاق السامية .

لقد كرم النبيَّ أعداؤه قبل أصحابه وأصدقائه . شهد الأعداء لرسول الله على الأقل بينهم وبين أنفسهم بالصدق ، والنبل ، والرجولة ، والأخلاق ، والحق ما شهدت به الأعداء . لقد قال عروة بن مسعود الذي ذهب ليفاوض النبي ﷺ في الحديبية - كما جاء في البخاري[1] جعل يرمُق أصحاب النبي ﷺ بعينيه فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ! والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، فوالله ما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه كما رأيت أصحاب محمدٍ يعظّمون محمدًا ، والله ما تنخم نخامة إلا ووقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه

(١) صحيح : البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) في الشروط ، باب الشروط في الجهاد .

وجلده ! وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ! وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له !!

إن الأمة الآن تتعامل مع هذه السيرة كما ذكرنا تعاملًا نظريًّا ، تعاملًا ذهنيًّا .. تستمتع بالسيرة استمتاعًا سالبًا !! بل يجب أن تكون سيرته شعلة توقد لنا شموس الحياة ، يجب أن تكون سيرته دماءً تتدفق في عروق أجيالنا ، لنحول هذه السيرة في حياتنا إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ، وهذا هو عنصرنا الثالث من هذا اللقاء .

وأرجىء الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ .

أما بعد :

ثالثًا عودة واجبة

إلى الله جلّ وعلا وإلى سيرة وحياة المصطفى ﷺ

أيها المسلمون : قد يكون من اليسير جدًا أن نقدم منهجًا نظريًّا في التربية والأخلاق ، ولكن هذا المنهج النظري سيظل حبرًا على ورق ما لم

يتحول في حياة الناس إلى واقع عملي ، ومنهج حياة ، بل قد لا يساوي قيمة المداد الذي كُتِبَ به ما لم يتألق في دنيا الناس سموًّا وروعةً وجلالًا ، ولقد نجح النبي ﷺ في أن يجعل من الأعراب ومن العرب المنبوذين في أرض الجزيرة الذين لا ذكر لهم ولا وزن قبل الإسلام ، استطاع النبي ﷺ أن يجعل من هؤلاء الحفاة العراة جيلًا قرآنيًا فريدًا لم تعرفْ ولن تعرفَ البشرية له مثيلًا على الإطلاق وذلك يوم أن نجح المصطفى ﷺ في أن يطبع آلاف النسخ من المنهج التربوي الإسلامي ، ولكن لم يطبع هذه النسخ بالحبر على صحائف الورق ، وإنما طبعها على صحائف القلوب بمداد من النور ، فحول أصحاب النبي ﷺ هذا المنهج النظري في التربية والأخلاق إلى واقع عملي يتألق عظمة وروعة في دنيا الناس ، فرأت البشرية كلها نبلهم وصدقهم ، فرأت منهج الله يمشي على قدمين في دنيا الناس كما قالت عائشة عن رسول الله ﷺ ((**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**))[1].

كان النبي قرآنًا متحركًا في دنيا الناس ، وكذلك كان أصحاب النبي ﷺ يمتثلون أمر الله ورسوله .. ويجتنبون نهي الله ورسوله .. ويقفون عند حدود الله جَلَّ وَعَلَا الذي يعلمهم إياها رسول الله ﷺ .

والله لن نكون من أتباع النبي حقًّا إلا إذا عدنا فسرنا على هذا الطريق من جديد .. فلتنظر كل نفس تدعي الإيمان بالله ورسوله ..

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٧٤٦) في صلاة المسافرين ، باب جامع في صلاة الليل .

وتدعي الحب لله ولرسوله ﷺ أين هو من حقيقة الإيمان وحقيقة المحبة وصدق الاتباع ؟.

فالعودة إلى الله ورسوله ليست نافلة ، ولا تطوعًا ، ولا اختيارًا ، بل هي عودة واجبة ، بل إننا أمام شرط الإسلام وحد الإيمان إما إيمان باتباع المصطفى والسير على طريقه ، وإما كفر بالانحراف عن منهج الله وعن طريق رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]

قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥١ – ٥٢]

وقال في حق المنافقين الذين يسمعون ويعرضون .. ويسمعون وينحرفون .. يسمعون ويهزءون ويسخرون .. قال الله في حقهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦٠ – ٦١]

إذاً المؤمن هو الذي يسمع للنبي ويطيع « ... **فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهُ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى الله ، ومُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ** »[١] فسيرة النبي ليست من أجل الثقافة ، ولا من أجل النظريات والمجادلات وإنما من أجل أن تحوّلها الأمة في حياتها إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة .

لابد من هذه العودة في هذه الأيام .. لابد من عودة إلى الله ورسوله ﷺ فوالله لن تعود الأمة إلى مكانتها إلا إذا عادت إلى المنهج الذي رفعها من أسفل سافلين إلى أعلى عليين .. إلى منهج رب العالمين .. ومنهج سيد المرسلين ﷺ .. الأمر جَدُ خطير .

هل تعلم أن مجرد رفع الصوت على النبي يحبط العمل ؟ .

هل تعلم أن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - كادا أن يقعا في الهلاك لمجرد أنهما رفعا أصواتهما فوق صوت النبي ؟ أبو بكر وعمر العظيمان في هذه الأمة - بعد نبيها - تعرضا للهلاك والحديث في صحيح البخاري[٢] عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا ، أبو بكر وعمر ، رفعا أصواتهما في مجلس النبي فقط لما أقبل وفد بني تميم على الحبيب ﷺ . قال أبو بكر : أَمِّرْ عليهم القعقاع بن معبد يا رسول الله ، فقال عمر : لا بل أمر عليهم الأقرع ابن حابس يا رسول الله ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي يا عمر .

---

(١) صحيح : البخاري رقم (٧٢٨١) في الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٢) صحيح : البخاري (٤٨٤٥) في التفسير ، باب ((لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)) .

قال عمر : لا ما أردت خلافك يا أبا بكر . فقط هذه هي الكلمات بنصها .

هذا هو الحوار ، ما الذي حدث ؟ لا شيء إلا أن الصوت قد علا عند النبي المصطفى ﷺ فنَزل القرآن يحذر ونزل القرآن يربي .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢]

أيها المسلمون : إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي يحبط العمل . فكيف بتنحية شرع النبي ؟!! واتهام شريعته بالجمود ، والقصور ، والرجعية ، والتخلف ؟!! وعدم قدرتها على مسايرة مدنية القرن الحادي والعشرين .

مَنْ يَدَّعِي حُبَّ النَّبِيِّ ، وَلَمْ يَفِد مِنْ هَـدْيِهِ فَسَفَاهَةٌ وَهُـرَاءُ
فَالحُـبُّ أَوَّلُ شَرْطِهِ وَفُرُوضِـهِ إِنْ كَانَ صِدْقًا طَاعَة وَوَفَـاءُ

وأختم بهذه القصة اللطيفة التي طالما ذكرت بها لأبين أين نحن من المحبة الصادقة ؟ فلقد جاء تلميذ إلى أستاذه وقال : يا أستاذي علمت أنك ترى رسول الله في رؤياك . قال : وماذا تريد يا بني ؟ قال : علمني كيف أراه فإني في شوق لرؤياه ؟! فقال أستاذه : فأنت مدعو لتناول العشاء معي هذه الليلة لأعلمك بعد ذلك كيف ترى حبيبك رسول الله ﷺ .

وذهب التلميذ لأستاذه ووضع الأستاذ المربي العشاء بين يدي تلميذه

وأكثر فيه الملح ومنع عنه الماء فطلب التلميذ الماء مرارًا فأبى عليه أستاذه بل وأصر عليه أن يزيد في الطعام . فقال له : نم وإن استيقظنا قبل الفجر إن شاء الله تعالى سأعلمك كيف ترى النبي في رؤياك ، فنام التلميذ يتلوى من شدة العطش ويتألم من الظمأ فلما استيقظا قال له أستاذه : أي بني قبل أن أعلمك كيف ترى النبي أسألك هل رأيت الليلة شيئًا في منامك ؟ قال : نعم . قال ماذا ؟ قال : رأيت يا سيدي الأمطار تمطر ، والأنهار تجري ، وبحار تسير !! فقال أستاذه المربي : نعم يا بني صدقت نيتك فصدقت في رؤيتك ، ولو صدقت محبتك لرأيت رسول الله ﷺ .

ما أيسر الادعاء وما أسهل الزعم ، وما أرخص الكلام ، لكن أين نحن من اتباع حقيقي ؟ أين نحن من عودة صادقة لسيرة وحياة النبي ﷺ ؟

والله ليس لها من دون الله كاشفة ، إلا إذا عادت الأمة مرة أخرى إلى منهج الرب العلي .. وإلى سيرة وحياة النبي ﷺ .. لتحول هذه السيرة العطرة ، وهذه الحياة الحافلة في حياتها - من جديد - إلى واقع عملي .. وإلى منهج حياة .

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يرد الأمة ردا جميلًا .

الدعـاء ...

الزواج العرفي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

نتحدث اليوم عن ظاهرة خطيرة تنتشر في مجتمعنا انتشار النار في الهشيم فإنه لا ينبغي أن يكون العلماء بموضوعاتهم وأطروحاتهم في جانب وأن تكون الأمة وأن يكون المجتمع بمشاكله وهمومه في جانب آخر .. نحن اليوم على موعد مع هذه الظاهرة التي تسمى بـ « الزواج العرفي » وكما تعودت حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من تحت أقدامنا فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية :

أولًا : **الزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، ومملكة إيمانية .**

ثانيًا : **الزواج السري باطل .. شرعًا وعرفًا .**

ثالثاً : **الضحايا يعترفون .. والمأساة مروعة !!**

رابعًا : **هذه هي الأسباب .. وهذا هو العلاج .**

وأخيرًا : **فهل من توبة ؟!!**

فأعيروني القلوب والأسماع ، والله أسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]

أولا : الزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، ومملكة إيمانية

أحبتي الكرام : إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها ، وإنما ينظمها ، ويطهرها ، ويرفعها عن المستوى الحيواني والبهيمي .. وهذا هو الذي يليق بالإنسان الذي كرمه الله ﷻ .

قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠]

فالزواج آية من آيات الله ، وسنة من سنن رسول الله ﷺ ، والإسلام يقيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من المشاعر الطاهرة الرقيقة التي تنبنى على السكن النفسي والبدني والمودة والرحمة . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]

أما بيت الزوجية فمملكة إيمانية . الزوج ملكها ، وربَّانها ، والمسيِّرُ لأمورها وشؤونها ، بما جعل الله له من قوامة في قوله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] والزوجة هي الأخرى ملكة متوجة في هذه المملكة الإيمانية ؛ لأنها شريكة الحياة ورفيقة الدرب وقرة العين ، أما الرعية في هذه المملكة الطيبة بين هذين الملكين الكريمين ، فهم ثمرة الفؤاد .. ولب الكبد .. وزهرة الحياة الدنيا .. هم الأولاد قال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ

زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٤٦]

هذه المملكة إن ظلل سماءَها منهجُ ربِّ البرية .. وسيد البشرية ، وروي نبتها بماء الإخلاص والمودة والرحمة الندية ، أتت ثمارها كل صبح وعشية .. وأينعت في أرضها زهرات الحب ، والوفاء ، والإخلاص ، والأخلاق العلية

وهذا هو السبيل الشرعي الوحيد الذي يضمن للمرأة حقوقها ، وكرامتها ويضمن للأولاد حقوقهم ، وكرامتهم ، في المجتمع الإسلامي ، لأن الزوج في هذا الزواج الشرعي مسئول مسئولية كاملة عن زوجته وأولاده في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ... ﴾ [الطلاق : ٧]

ولقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

ولقول النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** »[1] .

ولقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله « ...

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٢٧٥١) في الوصايا ، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل .

اتّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ » ثم قال المصطفى : « **وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ** »[1] .

هذا هو الزواج الشرعي الذي عرفه المسلمون منذ زمن الوحي إلى أن صرنا إلى هذا الزمان الذي يموج بالفتن ، فتن الشهوات والشبهات .. إلى أن صرنا إلى هذا الزمان الذي اختلَّتْ فيه المقاييس الصحيحة للحلال والحرام !! وتجرأ فيه كثير من الناس على محارم الله جَلَّ وَعَلَا وعلى حدوده !! ورأينا ظاهرة جديدة تنتشر الآن في المجتمع انتشار النار في الهشيم ، تلك الظاهرة التي تسمى بالزواج العرفي وهو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء .

الزواج السري الذي يطلقون عليه « العرفي » باطل شرعًا وعرفًا ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدًا ؛ لأن هذا العنصر هو لب الموضوع وأساسه ، ونظرًا لأهميته وخطورته فسوف أركز الحديث فيه على ثلاثة محاور

المحور الأول : صورة الزواج العرفي القائم .

المحور الثاني : بطلانه عرفًا .

المحور الثالث : بطلانه شرعًا .

أولًا : صورة الزواج العرفي القائم

تتلخص في التقاء الرجال بالنساء أو الشباب بالفتيات في العمل أو المدارس والجامعات ، فيترصد الشاب لفتاة مستهترة !! وهذه الفتاة

---

(١) صحيح : مسلم رقم (١٢١٨) في الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

يعرفها الشباب جيدًا ، وذلك من خلال شعرها المكشوف ، وثوبها الضيق أو العاري الذي يظهر كل فتنة مخبوءة في جسدها ، يعرفها الشباب من خلال عطرها الأخاذ ، وبرفانها العاصف ، وحركاتها المثيرة ، وكلماتها المؤثرة ، وإلا فأنا أتحدى أن يترصد شاب مستهتر لفتاة تجلببت بجلباب الحياء والعفة والمروءة والطهر والشرف ، يترصد الشاب لفتاة مستهترة - من هذا النوع الذي ذكرت - ويلهب مشاعرها وأحاسيسها بكلمات الحب ، والعشق ، والغرام التي حفظها من كتب الأدب المكشوف ، أو من المسلسلات والأفلام ، ويقسم لها الشاب بالتوراة والإنجيل والقرآن أنه يحبها حبًّا قد أحرق فؤاده ، وأنه لا يصبر على فراقها في لحظة من ليل أو نهار ، ومن ثَمَّ فهو يريد أن يتزوج بها ولكن - ولكن ماذا ؟!! ولكن الظروف لا تسمح الآن !! من هنا يحاول الشاب أن يقنع الفتاة أن يتزوجها سرًّا !! يعني بدون علم الولي ، يعني بدون علم والد الفتاة المسكين ، الذي يربي وينفق ، ثم تتزوج ابنته زواجًا باطلًا من غير أن يدري المسكين عن هذا الزواج شيئًا .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !!!

يأتي هذا الشاب ليكمل فصول خديعته ، وخيانته الكبرى ، فيأتي بورقة ويُشهد عليها زميلين من زملائه المقربين ، ممن يعرفون علاقاته المحرمة والمشبوهة ، يُشْهد هذا الشاب زميليه على هذا العقد العرفي الباطل ؛

ليكون هو بدوره شاهدًا لواحد منهما على عقد عرفي باطل جديد .

وأقول لكم أيها الأحبة : إن أي عقد زواج يباركه الولي - يعني والد الفتاة أو وليها - ويشهد عليه الشهود ويعلن للمجتمع الإسلامي فهو عقد شرعي صحيح وإن لم يوثق في وثيقة زواج رسمية عند مأذون شرعي ، وأي عقد زواج لا يباركه الولي وبدون إعلان وشهود فهو عقد باطل وإن سجل في وثيقة زواج رسمية عند مأذون شرعي ، لأن وثيقة الزواج الرسمية ليست شرطًا في صحة العقد إنما هي من باب المصالح المرسلة التي يضمن من خلالها حقوق النساء في زمان خربت فيه الذمم ، وقل فيه أهل الأمانة !!

أما المحور الثاني : وهو سؤال مهم :

هل يُقر عُرف الناس ذلك؟!

الجواب : لا ورب الكعبة ، بل العرف يبطله ، لأن العرف عند علماء الأصول : هو ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم ، وقد يقر العرف شرعًا ، وقد يقر الشرع عرفًا ، وقد لا يقر الشرع عرفًا ، بمعنى أن الشرع المطهر قد يحكم على عرف من أعراف الناس بالجواز ، وقد يحكم على عرف من أعراف الناس بالبطلان ، فالشرع قد يقر عرفًا وقد يبطل عرفًا آخر .

أما العرف المعتبر شرعًا : هو العرف الذي لا يخالف نصًا شرعيًا أو قاعدة

من قواعد الشريعة ، هذا هو العرف المعتبر في ميزان الشرع .

والسؤال : ائتوني برجل مسلم عاقل على وجه الأرض - لا في مصر بل في بلد أوروبي - يقول بأن المسلمين منذ زمن الوحي إلى هذا الزمان قد تعارفوا في تزويجهم لأبنائهم وبناتهم على هذه الصورة السرية المحرمة الخبيثة !!

بمعنى أن تزوج البنت نفسها بدون إذن وليها ، وأن ينطلق الشاب أو الفتى ليتزوج بأي فتاة بدون علم الوالد أو بدون علم الأسرة .. هل تعارف الناس على هذه الزيجة الخبيثة والعلاقة المحرمة ؟!! التي تقوم على أساس من الغش والنفاق والخداع والخيانة ؟! خيانة من شاب وفتاه ، من شاب خان أسرته وأهله ومجتمعه بعد أن خان الله ورسوله ، ومن فتاة خانت أسرتها ومجتمعها بعد أن خانت الله ورسوله ، وإن توهم أحد من الشباب أنه قد تزوج زواجًا شرعيًّا صحيحًا ، فأنا أسأله - وأرجو أن يصدق في الجواب -: إن كنت تعتقد أنك تزوجت زواجًا شرعيًّا صحيحًا فلماذا أخفيته عن أهلك ؟! وعن أقرب الناس إليك ؟!! فالحلال لا يعرف السرية ولا يخشى الظهور .

ثم .. لماذا تتلصص وتبحث عن مكان خفي لا يراك فيه أحد من الناس لتخلو بفتاة أو بزميلة في الجامعة في شقة مفروشة أو في غرفة فندق مظلمة لتزني بدعوى الزواج ؟.

ثم .. ألا تشعر بالخيانة والنفاق والخداع وأنت تأخذ المصروف من

والدك كل صباح بحجة الذهاب إلى الجامعة وأنت ذاهب إلى شقة مفروشة أو غرفة مظلمة لتمارس الدعارة والزنا بدعوى الزواج ؟! ثم .. هل تقبل أنت أن يأخذ زميلك في الجامعة أختك إلى نفس الشقة المفروشة ؛ ليزني بها بدعوى أنها زوجته وأنت وأسرتك لا تعلمون عن هذا الزواج شيئًا ؟!!

ثم .. هل تقبل بعد ذلك أن تخرج ابنتك أنت إلى الجامعة لترجع إليك بجنين في أحشائها بدعوى أنها قد تزوجت بزميلها في الجامعة ؟!! وأنت في البيت لا تعلم عن ذلك شيئًا ؟!

اصدق في الجواب .. وتذكر قول الله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[القيامة : ١٤- ١٥] ولا تنس قول الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[الأنبياء : ٤٧]

وردد دومًا قول القائل :

يَا هَاتِكًا حَـرَمَ الرِّجَـالِ وَتَابِعًـا ... طُـرُقَ الفَسَادِ فَأَنْتَ غَيْرُ مُكْـرِمِ
مَنْ يَزْنِي فِي قَــوْمٍ بِأَلْفِ دِرْهَـمٍ ... فِي قَوْمِـهِ يَـزْنِى بِرُبْـعِ الدِّرْهَـمِ
إِنَّ الزِّنَا دَيْـنٌ إِذَا اسْتَقْرَضْتَـهُ ... كَانَ الوَفَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمِ

أَأَنْتَ تُبَاهِي بِالزِّنَا فَرَحًا ؟ أَأَنْتَ تَعْبَثُ بِالأَعْرَاضِ تِيهًا ؟
فَقَالَ : بَلْ ذَاكَ شَرْعٌ صَارَ مُتَّبَعًا كَمْ تَاهَ غَيْرِي بِهِ قَبْلِي وَكَمْ بَاهَا !!

فَقُلْنَا : أَلَسْت تَخَافُ اللهَ مُتَّقِيًا ؟! فَقَالَ فِي كِبْرٍ : لَا أَعْرِفُ اللهَ !!

وَيْحَ الشَّبَابَ إِذَا الشَّيْطَانُ نَازَعَهُمْ عَلَى العُقُولِ فَأَوْهَاهَا وَأَلْغَاهَا !!

قَدْ عَلَّمْتَهُمْ أَفَانِينَ الخَنَا ، وَسَائِلٌ غَشَّى بَصَائِرَهَا زَيْغٌ وَأَعْمَاهَا !!

وَمُطْرِبَةٌ وَمَطْرِبٌ فِي المِذْيَاعِ لَقَّنَهُمْ أَلْحَانَ فُحْشٍ وَزَكَّاهَا وَغَنَّاهَا !!

وَوَالِدٌ غَافِلٌ لَاهِي وَمَدْرَسَةٌ نِظَامُهَا مِنْ نِظَامِ الدِّينِ أَقْصَاهَا !!

لَوْ أَنَّ لِي قُوَةً فِي أُمَّتِي وَيَدًا أَلْزَمْتُ حَوَّاءَ مَثْوَاهَا وَمَأْوَاهَا !!

كَانَ لَهَا البَيْتُ عِزًّا .. كَانَ لَهَا البَيْتُ مُلْكًا .. فِيهِ تَرَى السُّلْطَانَ وَالجَاهَ

فَقَوَّضَتْ بِيَدِهَا عَرْشَهَا وَغَدَتْ رَعِيَةً وَذِئَابُ الأَرْضِ تَرْعَاهَا !!

هَذِهِ الحَضَارَةُ دِينٌ لَا أَدِينُ بِهِ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا !!

لا يقر عرف العقلاء ولا عرف المسلمين ذلك ، ولم يعرف المسلمون هذه العلاقة المحرمة الخبيثة من زمن الوحي إلى أن صرنا إلى زمان الفتن . فتن الشهوات والشبهات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والسؤال الثالث :

هل يقر شرع الله ذلك ؟.

والجواب : **لا ورب الكعبة ، بل شرع الله يبطل هذا الزواج الخبيث وهذه العلاقة المشئومة ، فعقد الزواج في الإسلام ميثاق غليظ له قدسيته ومكانته عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ .**

ولا يحل للزوجين أن يستمتع كل منهما بالآخر على الوجه الذي شـرعه

الله إلا بالقبول والإيجاب والإعلان والولي والمهر والشهود .

أما القبول والإيجاب : فهما ركنان لا يصح العقد إلا بهما ، وهي صيغة العقد المعروفة ، ومذهب جمهور العلماء أن العقد يصح بأي لفظ يدل على ذلك .

أما الشروط : فأول شرط من شروط صحة العقد :

الولي إذ لا يصح أي عقد في أي أرض ، وتحت أي سماء ، ولأي ظرف من الظروف ، إلا بهذا الشرط ألا وهو شرط الولي . والولي هو والد الفتاه أو من يزوجها إن توفى أبوها أو إن غاب . وليها من أهلها . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

قال الشافعي - رحمه الله - وهذه الآية هي أبين ما في القرآن كله على أنه لا نكاح إلا بولي ، وستعجبون إذا علمتم سبب نزول الآية ، فلقد نزلت في حق معقل بن يسار ﷺ فلقد زوج معقل أخته لرجل من المسلمين وأحسن إليه معقل وأكرمه ، وبعد فترة طلق هذا الرجل أخت معقل ، فلما انقضت عدتها جاء الرجل مرة أخرى ليرد المرأة ، فقال له معقل بن يسار : زوجتك وأفرشتك ، وأكرمتك ، فطلقتها ثم جئت تخطبها ، والله لا تعود إليك أبدًا ، وكان رجلًا لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فنَزل قول الله تعالى على النبي المصطفى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي : فلا تمنعوهن ، فالعضل في اللغة هو : المنع والتضييق

والتعسير ، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ، فلما سمع معقل بن يسار الآية ، قال : الآن أفعل يا رسول الله ، وفي لفظٍ سمعا وطاعة الآن أفعل يا رسول الله .. فأعادها إليه بمهر جديد فأنكحها إياه .

استدل جمهور المفسرين بهذه الآية على أنه لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو أن تزوج غيرها ولو كانت ثيبًا - لأن أخت معقل بن يسار لم تكن بكرًا وإنما كانت ثيبًا ، ومع ذلك قال الله لوليها ، **فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ** - إذ لو لم يكن لعضل الولي معنى ما أمر الله ولي المرأة أن يردها إلى الرجل مرة أخرى .

قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ [النور : ٣٢] وأنكحوا : خطاب من الله لأولياء المرأة ، واستدل جمهور المفسرين والإمام البخاري بهذه الآية على أنه لا نكاح إلا بولي ؛ لأن الخطاب من الرب العلي لأولياء المرأة .

وقال تعالى : ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء : ٢٥] وكيف تتزوج البنت بدون إذن الولي ؟! بدون إذن الوالد وبدون علم الأسرة ؟! هذا تشريع الله الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٢١] وهذه الآية أيضًا خطاب من الله لأولياء المرأة فلا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو غيرها ، وهذا قول جمهور

المفسرين الذين فسروا هذه الآيات الكريمات ، وتأتي السنة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - لتأكد تأكيدًا لا لبس فيه ، ولا غموض .. بل ولا تأويل ؛ لتأكد أنه لا زواج إلا بولي ، قال المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبيهقي ، والدارقطني ، والبغوي ، والطبراني ، والحاكم من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **لاَ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ** »[1] وفي رواية « **لاَ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ** » وفي الحديث الصحيح الصريح الذي رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والبيهقي ، والبغوي ، وابن حبان ، والدارقطني ، والطبراني والحاكم من حديث السيدة عائشة أن النبي ﷺ قال : « **أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ** »[2].

ماذا تريدون بعد ذلك يا من توحدون الله ؟ ويا من تثقون وتصدقون رسول الله ﷺ ؟. ورسول الله هو المشرِّعُ في هذه الأمة .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة ، والبيهقي ، والطبراني من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **لاَ تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ ، وَلاَ تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ**

---

(١) صحيح : أبو داود رقم (٢٠٨٥) في النكاح ، والترمذي رقم (١١٠١) في النكاح ، وابن ماجة رقم (١٩٠٧ ، ١٩٠٨) في النكاح ، وصححه الألباني في الأرواء رقم (١٨٣٩).

(٢) صحيح : أبو داود (٢٠٨٣) ، والترمذي رقم (١١٠٢) في النكاح ، وابن ماجة رقم (١٩٠٦) ورواه أحمد في المسند (٦/ ٤٧ ، ١٦٥) ، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤٠) .

نَفْسَهَا »[1]. قال أبو هريرة : الزانية هي التي تزوج نفسها ، وقال ابن عباس : البغي هي التي تزوج نفسها .

وقد يحتج علينا - من باب الأمانة العلمية في طرح الموضوع - بحديث للنبي ﷺ وبقولٍ لأبي حنيفة ، أما الحديث فصحيح رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالبِكْرُ يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا** »[2] والحديث لا يعكر على كلامنا ، فالمراد بالحديث - كما قال جمهور أهل العلم - : أنه لا يجوز لولي المرأة الثيب أن يزوجها رغمًا عنها ، بل لا يجوز له أن يزوجها إلا بأمرها ورضاها ، فإن زوَّجها رغمًا عنها فلها أن تفسخ النكاح عند ولي الأمر أو من ينوب عنه ، واستدل العلماء على ذلك بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، وأحمد من حديث خنساء بنت خدام أن أباها زوجها وكانت ثيبًا ، فكرهت المرأة ذلك فذهبت إلى النبي ﷺ فاشتكت له فرد النبي نكاح والدها .

أما قول أبي حنيفه - رحمه الله - فإنه يقول : يجوز للمرأة أن تزوج نفسها بدون إذن وليها وأخذ الإمام ذلك هذا الحكم من باب القياس على جواز أن تبيع المرأة سلعتها بنفسها ، فقاس الإمام على ذلك أنه يجوز

---

(١) صحيح : ابن ماجة رقم (١٩٠٩) في النكاح ، وصححه الألبانيّ في الإرواء (١٨٤١).

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (١٤٢١) في النكاح ، باب استئذان الثيب .

للمرأة أن تزوج نفسها !!

وهذا قياس فاسد الاعتبار بإجماع علماء الأصول لأنه قياس مع نص من القرآن وكلام النبي ﷺ ، والقاعدة الأصولية باتفاق وإجماع العلماء تقول : « لا قياس مع النص » .

وأنا أقول إجلالًا مني لأبي حنيفة - رحمه الله - : أن الدليل الصريح الذي ذكرته الآن لو بلغ أبا حنيفة لقال به أبو حنيفة ، وأنا أكاد أجزم بذلك ، وأبو حنيفة - رحمه الله - هو القائل : إذا صح الحديث عن النبي ﷺ فهو مذهبي ، وأبو حنيفة هو القائل : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا .

والله جَلَّ وَعَلَا هو القائل : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] بل وستعجبون إذا علمتم أن الأحناف أنفسهم قد خالفوا أبا حنيفة في هذه المسألة ، فأنتم تعلمون - كما ذكر الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار - أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن - وهما أتبع الناس لأبي حنيفة وأعرف الناس بمذهب أبي حنيفة ، بل

وهما اللذان أصلا وقعدا قواعد المذهب الحنفي - قد خالفا أبا حنيفة في هذه المسألة بل وفي كثير من المسائل ، وقالا : لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها أو أن تزوج غيرها ولا يصح الزواج إلا بولي .

فهل ينبغي لمسلم بعد ذلك أن يقدم قول الإمام أبي حنيفة على قول المصطفى محمد ﷺ ؟! هذا هو الشرط الأول من شروط العقد .

الشرط الثاني : الإعلان .

الإسلام أوجب إعلان الزواج وإشهاره ، فالإسلام لا يعرف السرية في الزواج ، بل ولا يعترف بزواج السر . قال ابن تيمية : نكاح السر هو نكاح البغايا ، وهو نكاح ذوات الأخدان .

الحلال لا يخشى الظهور ، الحلال لا يعرف السراديب والسرية ، بل يعلن الحلال عن نفسه بغاية الوضوح .. وبغاية العزة والكرامة .

تزوج في الحلال الطيب واحدة ، واثنتين ، وثلاثة ، وأربعة بشرط العدل وارفع رأسك ولا تستحِ من المجتمع الذي أصبح ينظر إلى شريعة الله جَلَّ وَعَلَا على أنها جرم يجب على أصحابه أن يضعوا رؤوسهم في الوحل والطين والتراب !! ارفع رأسك ما دمت تؤدي ما أمر الله به ، وما شرعه لك رسول الله ﷺ. دعوكم من هذه الهزيمة النفسية التي أصابت الأمة وجعلت المسلم ينظر إلى شرع الله المحكم في القرآن والسنة على أنه رجعيةٌ ، وتخلُّفٌ ، وتأخرٌ في الوقت الذي ينظر فيه المجتمع إلى هذه

العلاقات المحرمة الخبيثة على أن أهلها ممن تحرروا من قيود المجتمع ومن ضغط الواقع ومن ضغط الدين !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤]

الإسلام لا يعرف السرية في الزواج ، بل يوجب عليك الإسلام أن تعلن زواجك في الحلال الطيب ، وأن ترفع رأسك بذلك في المجتمع .

قال المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد والحاكم والطبراني وغيرهم من حديث عبد الله بن الزبير بسند حسن قال : « **أَعْلِنُوا النِّكَاحَ** » وفي رواية للطبراني بسند حسن بالشواهد من حديث يزيد بن السائب أن النبي ﷺ سئل : هل يرخص لنا باللهو عند العرس ؟ قال : « **نَعَمْ** » إنه نكاح لا سفاح ، ثم قال المصطفى ﷺ : « **أَشِيْدُوا النِّكَاحَ** » أي : أعلنوه وأظهروه .

أما الشرط الثالث من شروط العقد فهو : المهر .

قال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ... ﴾ [النساء : ٤] ، فالمهر واجب على الرجل وهو حق كامل للمرأة ، ولقد أمر الإسلام بتخفيف المهر وتيسيره كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ جئت أهب لك نفسي ، فصعَّد النظر فيها وصوَّبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست .

وهنا أريد أن أوضح أمرًا أنه لا يجـوز للمرأة أن تهب نفسها لأحـد من

الرجال فهذا أمر خاص بالنبي ﷺ قال تعالى : ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا أمر كان لابد من التنبيه عليه .

ونعود إلى حديث سهل قال : فقام رجل من أصحابه ، فقال يا رسول الله ! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : « **فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ ؟** » فقال : لا والله ! يا رسولَ الله ، فقال : « **اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ ، فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا ؟** » فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ! ما وجدت شيئًا ، فقال رسول الله ﷺ : « **انْظُرْ ولَوْ خَاتمَاً مِنْ حَدِيدٍ** » فذهب ثم رجع ، فقال : لا . والله ! يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد ، ولكن هذا إزاري (قال سهل : ماله من رداء) فلها نصفه ، فقال رسول الله ﷺ « **مَا تَصْنَع بِإِزَارِكَ ؟ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ** » فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مُوليًا ، فأمر به فدعي ، فلما جاء قال : « **مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟** » قال : معي سورة كذا وسورة كذا (عدَّدها) فقال : « **تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْر قَلْبِكَ ؟** » قال : نعم . قال : « **اذْهَبْ فَقَدْ مُلِّكْتَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ** »[1].

فالإسلام أوجب المهر ، لكنه أمر بتخفيفه ، وقد أجمع العلماء على أنه لا حد لكثيره .

---

(١) متفق عليه : البخاري (٥١٤٩) في النكاح باب التزويج على القرآن وبغير صداق ، ومسلم رقم (١٤٢٥) في النكاح ، باب الصداق ، وجواز كونه تعليم قرآن .

الشرط الرابع من شروط صحة العقد : الشهود .

قال النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البيهقي ، والطبراني ، والدارقطني من حديث عائشة : « **لاَ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْنِ** » ، وفي حديث عمران بن الحصين الذي صححه الألباني في إرواء الغليل بشواهده أن النبي ﷺ قال : « **لاَ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَي عَدْلٍ** »[1] ولقد اتفق علماء الأصول على شروط العدالة وهي : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، وعدم الفسق . هذه شروط مجمع عليها بين علماء الأصول في الشاهد العدل ، ووالله وأنا على منبر النبي ﷺ لقد أرسلت إليّ فتاة جامعية رسالة كتبتها بدموع الندم - يوم لا ينفع الندم - تخبرني فيها بأنها قد تزوجت زواجًا عرفيًّا باطلًا بزميل لها في الجامعة ، وفي يوم من الأيام شعرت بالحمل يتحرك في أحشائها ، فأسرعت إليه لتتوسل بين يديه أن يأتي إلى أهلها ليتزوجها زواجًا شرعيًّا صحيحًا . تقسم لي بالله أن الشاب أخرج ورقة الزواج العرفي الباطل ومزقها أمام عينيها وبين يديها ثم قال لها : ومن يدريني أنه ولدي ؟!

يتنكر الشاب للفتاة ويمزق الورقة بين يدها لينطلق ليبحث عن فريسة غبية أخرى ، هذا هو الواقع تقول لي الفتاة : أن شابًّا من الشابين الذين

---

(١) صحيح : أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢٤٧ موارد) والدارقطني (٣٨٣ - ٣٨٤) ، والبيهقي (٧/ ١٢٥) ، وصححه الألباني في الإرواء رقم (١٨٥٨) .

شهدا على ورقة العقد العرفي الباطل لما علم بذلك ذهب إليها وطلب أن يزني بها !! فلما رفضت هددها أن يفضح أمرها في الجامعة وبين أسرتها ، فهي تسألني وتقول هل تمكنه من أن يزني بها حتى لا تفضح نفسها في الجامعة أو بين أهلها ؟! هذا شاهد من أولئك الشهود الذين يشهدون الآن على وثيقة عقد الزواج العرفي الباطل المشئوم المزعوم .

هل يقول مسلم بعد ذلك أيها الأحبة بأن هذا الزواج السري الباطل يمت إلى لفظ الزواج أو إلى لفظ العرف بصلة من قريب أو من بعيد ؟! لا .. ورب الكعبة . العبرة بالمسميات والحقائق لا بالأسماء ، فلو سميت الخمر بالشامبنيا ، والوسكي والبارندي ، والمشروبات الروحية ، فالمسمى واحد وهو الخمر الحرام ، ولو سمي الربا بالفائدة والعائد أو غير ذلك فهذا لن يخرج الربا عن كونه ربا حرمه الله ، وأنا أقسم بالله أن أي مسلم على وجه الأرض لا يرضى ولا يقبل هذه العلاقة ولا يقبل هذا الزواج العرفي الباطل لأمه ، أو لأخته ، أو لعمته ، أو لخالته ، أو لابنته ، أو حتى لابنه لأنه خروج عن الدين والأخلاق والفطرة السليمة السوية النقية ، والواقع الآن يؤكد أن المأساة مروعة ، وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز .

ثالثا : الضحايا يعترفون .. والمأساة مروعة !!

فأكتفي بثلاث حالات فقط وإلا والله عندي الكثير .

الأولى لفتاة تقول : شكلت أنا وزميلي ثنائي عاطفي كان محل أنظار الجميع

- وكأن الجامعة في بلدنا الآن قد تحولت إلى واحات فيحاء للحب والعشق والغرام - تقول : قررنا الزواج عرفيًّا حتى نضع الأسرتين أمام الأمر الواقع !! ولو صدقت الفتاة الجريئة هذه لقالت وقررنا أن نضع رؤوس الأسرتين في الوحل والطين والتراب ، وإلا فإن كانت الفتاة تتوهم وتعتقد أنها متزوجة في الحلال الطيب ، فأنا أسألها أيضًا ، وأرجو أن تصدق في الجواب لماذا أخفت هذا الزواج عن والدها وعن أمها ؟! هذه الأم المسكينة التي لازالت تتضرع إلى الله أن يرزقها بالزوج الصالح ، فهي لا تدري أن ابنتها متزوجة ، أمر عجيب ، ثم هل يعقل أن تتزوج فتاة طاهرة ، شريفة ، تربت في بيت طهر وشرف وعفة ، دون أن يعلم هذا البيت الشريف الطاهر عن زيجتها شيئًا ؟!

تقول : قررنا الزواج عرفيًّا ؛ لنضع الأسرتين أمام الأمر الواقع ، فلما علمنا بخبر نجاحنا اتصلت أنا وهو على الأسرتين لنبلغ الأسرتين معًا بخبر النجاح ثم بخبر الزواج تقول ، وأعطيت الهاتف - أي سماعة التليفون - لهذا الشاب الذي تزوجها بالعقد العرفي ليخبر أمها بخبر زواجها ، والأم لا تعلم ولا يعلم الوالد عن ذلك شيئًا . تقول الفتاة : فلما أخبرها الخبر صرخت الأم صرخة أنا سمعتها وأنا أقف بجواره في سماعة التليفون ، ووقعت الأم المسكينة على الأرض ، ثم أسرع الوالد إلى امرأته التي سقطت ما الخبر ؟ هل ماتت ابنته ؟ فقالت : ليتها ماتت ، لقد

تزوجت ابنتك ، فلما علم الوالد المسكين ذلك سقط هو الآخر على الأرض ونقل إلى المستشفى ، وفي غرفة العناية المركزة خرج الطبيب ليخبرهم بأن الوالد قد أصيب بجلطة في المخ أدت إلى شلل نصفي .

حالة ثانية : نُشرت تحت عنوان (الطيار قاتل زوجته المضيفة يعترف) تزوج طيار بزميلة له مضيفة في الطيران ، وهو متزوج وخاف أن يعلن عن زواجه ، تزوج بها في السر بعقد عرفي باطل دون علم والدها وأهلها ، فلما حملت هذه البنت أرادت أن تعلن زواجها وأن تفرح به في المجتمع ، فأنكر ورفض هذا الطيار ذلك ، فلما أصرت قتلها بالسكين في شقتها ثم أحرق جثتها حتى تضيع علامات وأدلة الجريمة .

حالة ثالثة مروعة : والد تزوج ورزقه الله بالأولاد ، وأراد أن يتزوج مرة ثانية ، لكنه خاف من امرأته ، وخاف من المجتمع - الذي أصبح ينظر إلى تعدد الزوجات على أنه فضيحة وجريمة - فتزوج في السر وتمضي السنوات والأيام ، ويقدر الله أن يدخل ولده من امرأته الأولى الجامعة وأن تدخل ابنته من امرأته الثانية الجامعة ويقدر الله أن يحب كل منهما الآخر ويقررا الزواج العرفي ، والعجيب أنهما وهما يوقعان العقد وجدا تطابقًا كاملًا في الاسمين فقال الفتى للفتاة : انظري إلى هذا الذوبان وهذا الحب حتى وصل التطابق في الاسمين إلى حد التكامل ، ولما أحست البنت بالحمل في أحشائها أسرعت إليه بالتوسل أن يأتي إلى بيتها ليطلبها

رسميًّا ، وليتزوجها زواجًا شرعيًّا صحيحًا وحددت له موعدًا ؛ ليكون الوالد في البيت وذهب إلى هنالك وكانت المفاجأة من يفتح له الباب ؟ إنه أبوه .. ما الذي جاء به إلى هنا ؟ هل رتبت الفتاة مع الفتى ذلك ؟ لا ، ولكن لما عرف الفتى الحقيقة ألقى بنفسه من الطابق العلوي منتحرًا ، وسقط الوالد على الأرض وقد أصيب بأزمة قلبية ، فلما علمت الفتاة الحقيقة أصيبت بحالة فقدت فيها الوعي والنطق .

ثمرة مُرَّةٌ للإعراض عن شرع الله : ﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٧]

وأخيرًا : ما هي الأسباب لهذه الظاهرة وما هو العلاج ؟!!

وهذا هو عنصرنا الرابع .. هذه هي الأسباب .. وهذا هو العلاج :

السبب الأول : البعد عن الله ﷻ ، هو أخطر الأسباب ، فالبعيد عن الله ضعيف الإيمان ، يصبح فريسة سهلة للهوى والشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء ، تتحكم فيه صحبة السوء ، ونفسه ، وهواه وشيطانه .

وإن أردتم الدليل العملي على صدق قولي : انظروا نظرة سريعة إلى هـؤلاء وهـؤلاء .. إلى شباب ضائع ، وإلى شباب طاهر طائع يعيشون في

بيئة واحدة في كلية واحدة .. في جامعة واحدة ، يتعرضون لنفس الفتن ونفس المؤثرات ، انظروا إلى هذا الفتى وإلى ذاك الفتى ، شتان .. شتان بين شاب يقيم الليل يتضرع إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، ويحضر مجالس العلم والعلماء ، ويحافظ على الصلوات في جماعة ، ويقرأ القرآن ، ويصلي الفجر ، ويقرأ ورده اليومي ، ويقول أذكار الصباح ، يأخذ كتاب الله بين كتبه الدراسية وينطلق إلى الجامعة ، ويحمل هموم أسرته ودعوته ، وأمته ، شتان .. شتان بين هذا الشاب المبارك وبين فتى لم يسمع القرآن ، ولم يعرف قلبه حلاوة الإيمان ، ولم يعرف مجالس العلم ولم يذهب إلى المسجد قط ، ولا يفارق سمعه الغناء الماجن ، والموسيقى الصاخبة ، ولا يتورع أن يخلو هنا وهناك في زوايا وثنايا الجامعة بفتاة متبرجة عارية ، شتان شتان بين هذا وذاك .

والعلاج يكمن في العودة إلى الله تبارك وتعالى ، فبالعودة إلى الله الذي وعد بأن من جاهد نفسه فيه أعانه الله ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣]

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣]

وفي الحديث الذي رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما بسند صحيح بالشواهد من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ رُوحَ القُدسِ**

نَفَثَ فِي رَوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَرِزْقَهَا فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلاَ يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله فَإِنَّ مَا عِنْدَ الله لاَ يَنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ »[1].

السبب الثاني : غياب الأسرة .

غابت الأسرة .. وانعدمت الرقابة !! بدعوى مشئومة مزعومة ألا وهي دعوى الحرية التي يقلد فيها كثير من المسلمين الغرب الكافر التي تصطدم عقيدته بعقيدتنا اصطدامًا مباشرًا ، وتصطدم أخلاقياته بأخلاقنا وأخلاق المجتمع الإسلامي اصطدامًا مباشرًا ، يقلد كثير من الآباء الغرب فيقول : أنا رجل ديمقراطي أود أن أؤصل ، وأسس الديمقراطية في بيتي !! أنا رجل أحب الحرية فلتخرج الفتاة في أي وقت تشاء ، وبأي لبس ، وبأي مظهر ، ولتتكلم في التليفون في أي وقت وفي أي ساعة !! أنا لا أشك في أخلاقها ، أنا أثق فيها ثقة عمياء !! هذا كلام باطل ليس في دين الله ﷻ - هذا إن كنت غربيًّا لا تعرف قرآنًا ولا سنة - لا يحل لابنتك أن تتكلم مع أي أحد في أي وقت ، ولا يجوز لابنتك أن تخرج إلى الجامعة « بالاسترتش » أو بالثوب العاري أو الضيق ، لا يجوز لها أن تتكلم بالساعات الطويلة مع زميل لها في الجامعة ، أين الإيمان وأين

---

(١) صحيح : أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٧) من حديث أبي أمامة ، والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن حبان والبزار والطبراني من حديث أبي الدرداء وأبو يعلى من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث أبي حميد الساعدي .

الإسلام ؟ بل وأين الرجال يا مسلمون ؟! ألم يفكر الوالد وألم يسأل الوالد نفسه في ساعة من الساعات مع من تتكلم البنت في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟!! مع من تهمس ؟!!

ألم يسأل الوالد نفسه كيف خرجت البنت إلى الجامعة بهذا الثوب ؟! بالاسترتش أو الثوب الضيق العاري ، بالرائحة الأخاذة التي تعصف بالأنوف ؟!! ألم يسأل الوالد نفسه ؟ ألم تسأل الأم نفسها كيف خرجت البنت بهذا الزي ؟ ألم تفكر في السؤال عن صواحبها مع من تخرج ؟ مع من تتكلم ؟ أين الرقابة ؟! أين الوالد ؟! أين الأم ؟! والله ﷻ يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴾ [التحريم : ٦]

فالعلاج يكمن بإيجاز في العودة إلى شرع الله ، في العودة إلى قرآن الله ، وإلى سنة رسول الله ، يا مسلمون نحن لا نتلقى تشريعنا عن الشرق الملحد ، ولا عن الغرب الكافر ، بل عن الله جَلَّ وَعَلَا وعن رسول الله ﷺ .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : فحدد الآن جوابًا على هذا السؤال ولمن تسمع ؟ لمن تذعن ؟ ومن تطيع ؟ هل تسمع لله ورسوله أم لشرق ملحد وغرب كافر ؟ أم لأولئك الذين يعزفون على وتر الغرب ؟! وعلى وتر التمجيد والتقديس للغرب ؟!!

ووالله ما أصيبت الأمة بالذل ، والذلة ، والهوان إلا يوم أن تركت كتاب ربها وسنة نبيها وراحت لتذوب في بوتقة الغرب .. تلك البوتقة

التي تصطدم اصطدامًا مباشرًا مع عقيدتنا وأخلاقنا وديننا.

أيها المسلمون : إن العلاج يكمن في العودة إلى الشرع المطهر ، إلى القرآن وإلى السنة الصحيحة وتَذَكَّر أيها الوالد ، وتذكري أيتها الأم كلام النبي ﷺ كما في الصحيحين ، من حديث ابن عمر : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا** »[1] ورب الكعبة ستسأل عن ابنتك هذه بين يدي الله ، وستسألين أيتها الأم عن ابنتك هذه بين يدي الله ، وأذكر بحديث للنبي في الصحيحين من حديث معقل بن يسار أنه ﷺ قال : « **مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ** »[2]. وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

---

(١) صحيح : سبق تخريجه .

(٢) متفق عليه : البخاري رقم (٧١٥٠) في الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ، ومسلم رقم (١٤٢) في الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار .

أما بعد : فيا أيها الأحبة الكرام :

السبب الثالث من أسباب هذه الظاهرة وهو من أخطر الأسباب : المغالاة في المهور وتكاليف الزواج ونفقاته .

أمام تعنت كثير من الآباء والأمهات في نفقات الزواج تأخر كثير من شبابنا عن الزواج ، وتأخر كثير من بناتنا عن الزواج ، ولولا حياء في صدورهن لصرخن في وجوه الآباء والأمهات : أن ارحموا ضعفنا ، خلوا بيننا وبين شاب مسلم حتى لو كان فقيرًا ؛ ليساعد كل واحد منا الآخر على طاعة الله ﷻ والعلاج يكمن أيها الآباء والأمهات في العودة إلى الإسلام العظيم قال النبي ﷺ : « **يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّروا وَبِشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا** »(١) والحديث في الصحيحين وفي سنن الترمذي بسند حسن من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ** »(٢).

السبب الرابع : التبرج والاختلاط والخلوة

فالجسم العاري والنظرة المؤثرة .. والعطر الأخاذ .. والحركات المثيرة .. كل هذا يثير الشهوات الكامنة ويحرك الغرائز الهاجعة في صدور الشباب .. مع اختلاط وخلوة ، تكون الكارثة أعظم .

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) في المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، ومسلم رقم (١٧٣٣) في الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة .

(٢) حسن : البيهقي في السنن (٧/ ٨٢) ، وإسناده حسن لأجل ابن هرفر وابني عبيد .

ولقد استوقفتني كلمات لكاتبة انجليزية تسمى (الليدي كوك) تقول : على قدر كثرة الاختلاط يكثر أولاد الزنا . ولا شك أن جعبة الباحثين لظاهرة الاختلاط والخلوة حافلة بالأحداث المزرية التي تسطع وجه كل من يجادل في الحق بعدما تبين ، محال يا أصحاب العقول الراشدة أن نسكب البنْزين على نار مشتعلة أصلًا ونقول : يا نار إياك إياك والاشتعال !! ومحال أن نكتف شابًّا بالقيود والحبال ، وأن نلقيه في البحر ثم نقول : إياك والغرق وإياك أن تبتل بالماء !!

أَلْقَاهُ فِي اليَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ

إن الجذب بين الرجل والمرأة أمر مركوز في الفِطَرِ ؛ لأن الله قد أناط بهذا الجذب امتداد النسل البشري على ظهر الأرض ، فحيثما وجد الرجل والمرأة فإن الجذب بينهما أمر فطري .. جبلي .. لا يستطيع مخلوق أن ينفك عنه مهما ادعى لنفسه من مقومات الانفكاك .

والعلاج لهذا السبب يكمن في العودة إلى شرع الله إلى قول الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]فما حرم الإسلام الخلوة ، والاختلاط ، والتبرج إلا لأنه يهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي طاهر نظيف لا تثار فيه الشهوات ، ولا تستثار فيه الغرائز الهاجعة .

السبب الخامس : من أسباب هذه الظاهرة هو الإعلام

وما أدراك ما الإعلام ؟! فإن الإعلام الآن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا .. بالأدب المكشوف والأفلام والمسلسلات الهابطة .. والمسرحيات الساقطة .. والعزف والتمجيد للفنانين والفنانات ، والمطربين والمطربات ، الأحياء منهم والأموات !! والتشويه المستمر لصور العلماء والدعاة ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

والعلاج يكمن في أن يتقي الله القائمون على الإعلام الذين لا يرقبون في المؤمنين إلًّا ولا ذمة ، وأن يعودوا إلى الأصل الذي من أجله أنشئ هذا الإعلام لنشر الفضيلة ، والقضاء على الشر والرذيلة .

فإن الناظر إلى الخريطة الإعلامية المقدمة إلى أبنائنا ، وبناتنا ، وأطفالنا في البيوت سينقلب إليه بصره خاسئًا وهو حسير لأن هذه الخريطة تعزف على وتر الجنس ، والدعارة ، والعنف ، والجريمة ، والكلمات الساقطة ، والهابطة ، فماذا تنتظرون بعد ذلك ؟!

سادسًا : غياب المؤسسات التربوية الدينية : والضعف الشديد في الطرح الدعوي الذي لا يتفق مع مشاكل الشباب بصفة خاصة ولا مع مشاكل المجتمع والأمة بصفة عامة ، والعلاج يكمن في أن ترجع الآن وزارة الأوقاف والأزهر وكل القائمين على أمر الدعوة في مصر إلى الدعوة إلى الله بجد وصدق وإخلاص .

ولا ينبغي على الإطلاق - في ظل هذا الظرف الحرج - أن يحال وأن يفرق بين الدعاة الرسميين من الأوقاف والأزهر وبين الدعاة غير الرسميين من غيرهما ، ممن آتاهم الله العلم ، وجعل لهم قبولًا بين المسلمين هنا وهنالك ، فإن الخطر يهدد الجميع وكلنا يركب سفينة واحدة إن نجت نجونا وإن غرقت غرقنا كما قال النبي ﷺ .

واختم بهذا السبب الخطير ألا وهو : المدارس والجامعات ومناهج التعليم

فإن مناهج التعليم في بلادنا تحسن أن تعلم أبنائنا العلوم والمعارف ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع !! كيف ذلك في هذا الاختلاط المروع المدمر؟ كيف يتربى الولد على الإيمان في هذه البيئة التي تثير فيه الشهوات وتحرك فيه الغرائز ؟ والعلاج أقدمه في نقاط محددة أسأل الله أن يفتح لها القلوب والآذان عند أساتذتنا الأفاضل الكرام من القائمين على أمر التربية والتعليم في بلادنا :

أولًا : جعل مادة الدين مادة أساسية : فتصبح من مواد الرسوب والنجاح ؛ ليهتم بها أبناؤنا وبناتنا ، بشرط أن يضع المادة العلمية الدينية والإسلامية نخبة من العلماء الأفاضل والدعاة الأجلاء ، ليضعوا المادة الهادفة الهادئة التي تربي أبناءنا وبناتنا على الإيمان بالله وعلى حب رسول الله ﷺ .

وليختار هؤلاء الأفاضل المادة أو المعلومة الدينية التي تتناسب مع كل

مرحلة تعليمية من مراحل التعليم .

ثانيًا : إلغاء الاختلاط إلغاءً تاما بين الطلاب والطالبات : وإن قال المسئولون بأننا لا نقدر على هذا أقول : حتى لو كان ذلك في الفصول الدراسية على الأقل ، وهذا أضعف الإيمان .

ثالثًا : إلغاء الرحلات المختلطة بين الطلاب والطالبات في أي مرحلة من مراحل التعليم ، فإن هذه الرحلات المختلطة كانت السبب الرئيسي الخطير لهذه الظاهرة ، وما تسمعونه عن جماعة « حورس » ليس منكم ببعيد .

رابعـًا : إلغاء الفترة المسائية الدراسية للطالبات في الكليـات العملية والنظرية حتى لا تتأخر الطالبة عن وقت معين عن بيتها وأسرتها .

خامسًا : مؤاخذة أي فتاة متبرجة مؤاخذة شديدة ومنعها منعًا باتًّا إن دخلت إلى الجامعة بثياب لا تتفق مع قيم ورسالة الجامعة .

سادسًا : القضاء على هذه الثنائيات المشبوهة التي تنتشر هنا وهناك في زوايا الجامعة ، فإنها دار علم وليست دار حب وغرام !!

سابعًا : فتح باب الكليـات والجامعات للعلمـاء العاملين والدعاة الصادقين لإلقاء المحاضرات العلمية الهادئة الهادفة على أن يتولى هذا الأمر بصورة رسمية رئيس الجامعة ، أو عميد كل كلية على حدة ، بشرط أن يشرف على هذه الجلسات إخواننا المدرسين والمدرسات مع الطلاب والطالبات .

ثامنًا : مراعاة أوقات الصلاة في وضع المنهج الدراسي حتى لا يحرم الطلبة

والطالبات من أداء صلاة الظهر في وقت الدراسة مع المدرسين والمدرسات .

هذه بعض البنود العملية التي أسأل الله أن يفتح لها القلوب والآذان ووالله إنه لأمر يسير على من يسره الله عليه .

أحبتي في الله : إن المشكلة تهدد الجميع ، ولا ينبغي أن نقول بأن الصالحين بمنأى عن هذه الظاهرة .. كلا .. إن النبي ﷺ أخبرنا أننا نركب جميعًا سفينة واحدة إن نجت السفينة أي « سفينة المجتمع » نجا الصالحون مع الطالحين ، وإن هلكت السفينة هلك الصالحون مع الطالحين : وأخيرًا - حتى لا أشق عليكم - أنادي على هؤلاء الشباب والفتيات من أبنائنا وبناتنا ممن وقعوا في هذا المستنقع جهلًا بالدين أو جرأة على الدين .

أنادي على الجميع وأقول : هل من توبة ؟.

عد إلى الله .. ارجع إلى الله ..ارجع إلى الله أيها الفتى وأيتها الفتاة ، فإن وقع الشاب في ذلك فليذهب إلى أهل الفتاة وليعقد عليها عقدًا شرعيا صحيحًا هذا هو ما قاله الشافعي وغيره .

اذهب وجدد التوبة واندم على ما مضى .. وعد إلى الله .. واعلم أن الله تواب رحيم .. يفرح بتوبتك ، وهو الغني عنك .. مهما كثرت ذنوبك ومعاصيك فاعلم أن عفو الله أعظم ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] واعلم أيها الشاب وأيها الفتاة : أن النبي ﷺ يقول : « يَنْزِلُ

رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفر لَهُ ؟ »[1] .

وأختم بهذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ رأى امرأة في السبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ألصقته ببطنها فأرضعته فقال النبي ﷺ لأصحابه « **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « **للهُ أَرْحَمُ بِعبادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوِلَدِهَا** »[2] فعد إلى الله أيها الفتى وأيتها الفتاة .

﴿ ... وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨]

.... الدعـــاء

---

(١) متفق عليه : البخاري رقم (١١٤٥) في أبواب التهجد ، ومسلم رقم (٧٥٨) في صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر ، ومالك في الموطأ (١/ ٢١٤) في القرآن ، والترمذي (٣٤٩٣) في الدعوات ، وأبو داود رقم (١٣١٥) في الصلاة .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٥٩٩٩) في الأدب ، باب رحمة الولد .

من أنا ؟!!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

من أنا ؟!! والجواب بالتفصيل لأهمية الجواب على هذا السؤال أؤصله بمقدمة مهمة جدًّا بين يدي الجواب ، وأستهل هذه المقدمة بهذه الكلمات :

أقول : إن كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يغفر ، إلا أن يجهل الإنسان خالقه سبحانه وتعالى ، وسر وجوده ، والغاية التي من أجلها خلق ، فالجهل في جانب العقيدة لا يغتفر ، وهو أن يجهل الإنسان خالقه ، وأن يجهل الإنسان الغاية التي من أجلها خُلق ، فأكبر عار على هذا الإنسان الذي آتاه الله ﷻ العقل والإرادة وميزه على سائر المخلوقات في الكون أكبر عار عليه أن يعيش غافلًا عن الله ، فيأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام ، لا يفكر في خالق ، ولا يبحث عن غاية ، ولا عن الوظيفة الذي من أجلها خلق ولها ابتعث ، ولا يبحث عن طبيعة دوره في هذه الأرض ، حتى يأتيه الأجل والموت ، دون أن يستعد لهذا اليوم فيجني ثمرة الغفلة والجهل والانحراف في عمره الطويل أو القصير ، وحينئذ يندم يوم لا ينفع الندم ، وهو بين يدي الله تبارك وتعالى يرى نفسه أخس من البهائم والحيوانات ، فإن البهائم والحيوانات كلها عرفت ربها وسجدت له ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾[الحج : ١٨] ،

وقال تعالى في شأن هذا الصنف الذي هو أخس من البهائم ، الذي يجهل خالقه ، ويجهل غاية وجوده وسر ابتعاثه في هذه الأرض قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] تدبر القول بعد ذلك ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ .

هذا الصنف الخبيث الذي يقول قائله :

جئت لا أعلم من أين ؟ ولكني أتيت .. ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت وسأمضي في طريقي شئت هذا أم أبيت .. كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ لست أدري !! بهيمة ، نعم بهيمة ، لا يعرف خالق ، ولا يعرف غاية وسر وجوده في هذه الأرض كما قال الله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ فأي جهل أبشع وأفظع من أن يجهل الإنسان الذي يتعالى بعقله ، ويتعالى بإبداعاته المادية ، أي جهل هو أجهل من أن يجهل ربه وخالقه الذي خلقه وبعثه وأوجده – سبحانه وتعالى – هذا هو الجهل الذي لا يغتفر .

لهذا كان لزامًا على كل إنسان عاقل أن يبادر ويسأل نفسه هذا السؤال : لماذا خُلقت ؟ ، وما هي الغاية التي من أجلها خلقت ؟ وحتمًا قبل طرح هذين السؤالين ، لا بد وأن تطرح على نفسك من أنا ؟ من أوجدني ؟ من خلقني ؟ تسأل نفسك أيضًا إلى أين ؟ ما هو المصير ؟ وإلى أين أسير ؟

لابد أن تطرح على نفسك هذه الأسئلة ؛ لتتعرف على الغاية التي من أجلها خُلقت ، فإن عرفت من خالقك ، وعرفت الغاية التي من أجلها خلقت ، حينئذٍ ستعرف من أنت ، وستعرف مصيرك ومسيرك ، فلا بد من الإجابة على هذه الأسئلة ، من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ أي : ولماذا خلقت ؟.

هذه هي الأسئلة التي صاحبت الإنسان في كل فترات حياته ، وفي كل مكان وجد فيه ، وهي تطلب من أي إنسان الجواب الشافي لها في كل مرحلة من مراحل العمر ، وفي كل مكان على وجه البسيطة من يوم خلق الله ﷻ آدم عليه السلام من أين جئت أنا ؟ وإلى أين أسير ؟ ما هو مصيري ؟ وما هو مسيري الذي أتجه فيه ؟ وما هي الغاية التي من أجلها خلقت ، ولأجلها بعثت ؟ ولا بد من هذه المقدمة قبل أن أشرع في الحديث عن العبادة تأصيلاً لغويًّا واصطلاحيًّا .

أقول : أما السؤال الأول : من أنا ؟ أو من أين أنا ؟ فهو عقدة العقد عند الماديين الملحدين في كل زمان ومكان أن يجيبوا أو أن يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال ، من أين ؟ من الذي خلقني ؟ ومن الذي أوجدني ؟ هؤلاء الذين لا يؤمنون إلا بما تقع عليه الحواس أي : إلا بما تراه الأعين فهو يؤمن بهذا المصباح الذي يراه بعينه منيرًا مضيئًا ، لكنه في الوقت ذاته يغض الطرف عن تيار كهربائي لا يراه بعينه الذي هو سر إضاءة هذا المصباح !! فهو مادي أعمى لا يؤمن إلا بما تراه عينه حتى ولو كذبه عقله ، هؤلاء يتخذون منطق العقل في رؤوسهم - زعموا - دليلًا على الوصول

إلى الحق والحقيقة ، ويصرون في عمى عجيب على أن هذا الكون بما فيه ومن فيه وُجِدَ وحده ، وكل ما في هذا الكون من إحكام وترتيب إنما هو صنع المصادفة العمياء !!

أما الذين يستجيبون لنداء الفطرة في كل زمان ومكان ، فهؤلاء يقرون حتمًا بأن لهذا الكون إله وربا حكيمًا عظيمًا جَلَّ جَلَالُهُ ، تتجه قلوبهم إليه - سبحانه وتعالى - بالتعظيم ، والرجاء ، والخشية ، والتفويض ، والتوكل ، والإنابة والعبادة بصفة عامة ، يشعرون بخالق هذا الكون ويتجهون إليه سبحانه بفطرهم السليمة النقية التي لم تعكرها الماديات والشبهات والشهوات ، قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠]

لكن هذا الصوت - أعني صوت الفطرة - قد يخفت في قلب وعقل إنسان ، أو قد يكبت هذا الصوت صاحبه عمدًا ، نعم عمدًا عن كبر ، فالمشركون ما أنكروا هذه الحقيقة ، ما أنكروا أن الله ﷻ هو الخالق بل كفروا به - سبحانه وتعالى - كبرًا وعنادًا ، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥]

قال تعالى ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤]

فهؤلاء يقرون بهذه الحقيقة لكنهم قد يرفضونها كبرًا وعنادًا - وركزوا

معي جيدا ، فهذا كلام مهم جدا - فالفطرة قد تخفت في قلب وعقل إنسان عن قصد ، وعن عمد من صاحبه ، فإذا نزلت بهذا الإنسان نفسه أزمة أو أحداث مريرة أو مشكلة واهتز هذا الإنسان أمام هذه الأزمة ، وهذه الشدة وخاب أمله في كل الناس من حوله تراه ينطلق مرة أخرى مستجيبًا لهذا الصوت الذي يعلو في أعماقه ، ألا وهو صوت الفطرة فيتجه مرة أخرى رغم أنفه لله - جَلَّ وَعَلَا -.

تدبر معي هذا الحوار النفيس الجميل ، فلقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق ﷺ عن الله ، فقال له جعفر : ألم تركب البحر ؟! فقال : بلى . فقال جعفر : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم ريح عاصفة ؟! قال : نعم . قال جعفر : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم ، قال : فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟! قال : نعم ، قال : هذا هو الله - سبحانه وتعالى -.

وهذه الحقيقة تثبتها آيات كثيرة جدًّا في القرآن ، تدبر معي قول الله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [الزمر : ٨] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان : ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ... ﴾ [الإسراء : ٦٧] ولا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه طبيعة الإنسان !! قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ - ٨] فإذا كان منطق الفطرة يهدي إلى الله تعالى ، والفطرة ليست وجدانًا خالصًا ، بل وليست عقلًا خالصًا ، ولكنها مزيج بين الوجدان - أي القلب - والعقل .

أقول مع ذلك ، فإن العقل السوي فقط يرى الإيمان بالله تعالى ضرورة لا يستطيع الإنسان على الإطلاق أن يعيش بدونها ، فإن العقل بغير تعلم ، وبغير اكتساب يؤمن حتمًا بقانون السببية ، هذه الورقة في يدي الآن تهتز لسبب ، هذا هو قانون السببية ، لأنني أحركها ، فالعقل بدون تعلم وبدون اكتساب يؤمن بقانون السببية ، يؤمن بهذا القانون إيمانه بكل البدائيات والأولويات التي لا تحتاج إلى دليل ، يعني لا ينبغي لعاقل إذا رأى الشمس ساطعة في أفق السماء أن يقول : ما هو الدليل على أن الشمس طالعة ؟ بل يجب أن يسأل : ما هو الدليل على وجود عقله في رأسه ؟ كهذا الذي دخل يومًا على طلابه وأراد بهذا القانون أن يثبت الضد ، فقال لهم : يا أولاد هل ترون أستاذكم ؟ قالوا : نعم ، فقال : هل ترون السبورة التي أكتب لكم عليها ؟ قالوا : نعم ، قال : هل ترون الكرسي الذي أجلس عليه ؟ قالوا : نعم ، وتدرج بهذه الأسئلة إلى أن قال لهم : هل ترون الله ؟ قالوا : لا ، قال : إذًا غير موجود !! فقيض الله تلميذًا صغيرًا من تلاميذه ، فاستأذن أستاذه

ووقف إلى جواره ، واتجه التلميذ إلى زملائه وقال : يا إخواني هل ترون عقل الأستاذ ؟ قالوا : لا ، قال : إذًا غير موجود !!

فالعقل بدون تعلم وبدون اكتساب يؤمن بقانون السببية إيمانه بالأمور الأولية الابتدائية التي لا تحتاج إلى دليل على وجودها ، فلا يقبل أبدًا العقل السوي فعلًا بغير فاعل أبدًا ، ولا يقبل العقل السوي صنعًا بغير صانع .

وهذا القانون هو الذي عبر عنه الأعرابي الأول ببساطة شديدة حيث لم يتخرج في جامعة من الجامعات ، وإن شئت فقل ما تخرج إلا من جامعة الفطرة ، حينما سئل عن الله ﷻ فقال بعقله الذي آمن بقانون السببية البدائي هذا فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ، سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير ؟.

هذا هو القانون ببساطة شديدة ، هذا هو الذي عبر عنه الإمام أحمد – إمام أهل السنة طيب الله ثراه – حينما أمسك البيضة يومًا ، وقال : هذا حصن حصين أملس ليس له باب ، وليس له منفذ ، كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الأبريز ، وبينما هو كذلك إذ انصدع جداره ، وخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن ، وصوت مليح !!

هذا هو القانون الذي عبر عنه الإمام الشافعي حينما أمسك ورقة التوت يومًا فقال : ورقة التوت تأكلها الغزالة فتعطينا مسكًا ، وتأكلها الشاة فتعطينا لبنًا ، وتأكلها دودة القز فتعطينا حريرًا !!

إن الطعام واحد ، ولو كانت الأمور بالمصادفة العمياء ، لكانت عصارة الطعام للطعام الواحد واحدة ، ولكنها كانت في الشاة لبنًا ، وكانت في الغزالة مسكًا ، وكانت في الدودة حريرًا ، إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

يقول عالم الطبيعة المشهور إسحاق نيوتن : **لا تَشُكُّوا في الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة هذا الوجود !!**

ليس ممكنًا أبدًا أن تكون الصدفة هي التي خلقت هذا الوجود بهذا الإبداع ، والجلال ، والجمال .

والله العظيم لو نظر عالم من هؤلاء العلماء الذين لا يؤمنون بالله ، والله لو نظر إلى كوز الذرة لَوَحّد الله وعبده ، هذه الحبات اللؤلؤية البيضاء كيف رُصَّت على القولحة بهذا الجمال والإتقان والتناسق والإبداع ، والله لو أنصف لوحد الله وعبده .

يقول سبنسر نقلًا عن عالم آخر يقال له هرشل : **إن العالم الذي يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأكسجين والهيدروجين بنسبة خاصة (ذرة أكسجين ، وذرتين هيدروجين) ، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئًا آخر غير الماء يعتقد في عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بصورة هي أقوى وأعظم من هذا الذي لا يرى في قطرة الماء إلا أنها نقطة ماء فحسب !!**

فالعالم الذي يدرك الحقائق ينظر إلى هذه الآية فيزداد إيمانًا بالله سبحانه

وتعالى فيختلف عن إيمان العبد الذي ينظر إلى قطرة الماء على أنها قطرة ماء .

يقول فرنسيس بيكون : إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد .

فهذه الفلسفة طريق للإلحاد ، والعجيب أنهم كانوا يدرسون لنا في الثانوية قاعدة تقول : (أنا أشك إذًا أنا موجود) ولو صدقوا لقالوا : (أنا أشك إذًا أنا دبوس) لكن ما هي علاقة الشك بالوجود ؟ أي أنه بدأ حياته بالشك ابتداءً ، والشك لا يمكن أبدًا أن يوصل إلى حقيقة مطلقة أبدًا ، بل إن عصفت رياح الشكوك بالقلوب ضل الخلق ، ولذلك ربنا - سبحانه وتعالى - يصف المؤمنين بأن رياح الشك لا تهب ولا تعصف بقلوبهم أبدًا ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ [الحجرات : ١٥] أي : لم يتشككوا إن من يبدأ بالشك لكي يصل إلى الحقيقة : هذا إضلال لعقول أبنائنا وأولادنا ، وكم من الناس من اقتنع بهذه النظريات الفلسفية الباهتة الفارغة ، التي يغني بطلانها عن إبطالها ، لكننا وبكل أسف كنا نسلم القلوب والعقول لهؤلاء على أنهم لا ينطقون عن الهوى ، فإذا جاء القول من عالم غربي سلمنا العقل والقلب وكأنه لا يخطئ !!

ثم جاء بعد ذلك صنف خبيث ممن ينسبون إلى الإسلام في بلاد المسلمين ضخموا ، ونفخ فيهم ليكونوا شيئًا مذكورًا وهم في الحقيقة كالطبل الأجوف ، يُسمَعُ من بعيد وباطنه من كل الخيرات خالٍ .

يقول فرنسيس بيكون : إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى

الإلحاد ولكن التعمق فيها - تعمق العقل في هذه الأشياء بإنصاف - ينتهي بالعقول إلى الإيمان ، ذلك لأن عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة هنا ينكر فلا يتابع السير إلى ما ورائها ، ولكنه إذا أمعن النظر شهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بدًّا من التسليم بالله سبحانه وتعالى .

هذه شهادة أولئك الذين رسخوا في علم الكون - الطبيعة والفيزياء - وأنا لا أريد أن أستطرد في أقوالهم ، وأنا لا استشهد بأقوال أهل العلم من علماء الطبيعة ، والجيولوجيا ، والفلك ، والرياضيات على صحة وصدق قول الله وقول الرسول ﷺ لا ، ولا أستشهد بالنظريات العلمية على صدق كلام رب البرية وكلام سيد البشرية ، إنما أثبت للناس ممن - وبكل أسف - يصدقون ما يأتي من الغرب أكثر من تصديقهم لا أقول لكتاب الله ، بل أشد من تصديقهم لكلام الله ورسوله ، نعم هذا صنف موجود أنا لا أبالغ ، ولا أغالي ، ولا أجيش العواطف بكلام فارغ أجوف ورحم الله تعالى القائل :

لِلَّـــــهِ فِي الآفَـــاقِ آيَـــاتٌ	لَعَلَّ أَقَلَّهَـــا هُوَ مَـا إِلَيْهِ هَـدَاكَ ؟!
وَلَعَــلَّ مَا فِــي النَّفْسِ مِـنْ آيَاتِــهِ	عَجَـبٌ عُجَـابٌ لَـوْ تَـرَى عَيْنَـاكَ
الكَـــوْنُ مَشْـحُونٌ بِأَسْـــرَارٍ إِذَا	حَـــاوَلْتَ تَفْسِـيرًا لَهَـــا أَعْيَـــاكَ
قُـلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى	يَا شَـافِيَ الأَمْـرَاضِ مَـنْ أَرْدَاكَ ؟!
قُـلْ لِلْمَرِيضِ نَجَـا وَعُـوفِيَ بَعْدَمَـا	عَجَـزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَ ؟!

قُلْ لِلْصَّحِيحِ مَـاتَ لَا مِـنْ عِلَـةٍ مَـنْ يَا صَحِيحُ بِالمَنَـايَا دَهَـاكَ ؟!
بَلْ سَائِلِ الأَعْمَى خَطَى وَسَطَ الزِّحَامِ بِلَا اصْطِدَامِ مَنْ يَا أَعْمَى يَقُودُ خُطَاكَ ؟!
بَلْ سَـائِلِ البَصِيرَ كَانَ يَحْذَرُ حُـفْرَةً فَهَوَى بِهَـا مَنْ ذَا الَّـذِي أَهْـوَاكَ ؟!
وَسَلْ الجَنِينَ يَعِيشُ مَعْزُولًا بِلَا رَاعٍ وَمَرْعَـى مَنْ ذَا الَّـذِي يَرْعَـاكَ ؟!
وَسَلِ الوَلِيدَ بَكَـى وَأَجْهَشَ بِالبُكَاءِ لَـدَى الـوِلَادَةِ مَا الَّـذِي أَبْكَـاكَ ؟!
وَإِذْ تَـرَى الثُّعْبَـانَ يَنْفُـثُ سُـمَّهَ فَسَلْهُ مَنْ يَا ثُعْبَانُ بِالسُّمُومِ حَشَاكَ ؟!
وَاسْأَلْـهُ كَيْـفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَـانُ أَوْ تَحْيَـا وَهَـذَا السُّمُّ يَمْـلَأُ فَـاكَ
وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ شَـهْدًا وَقُـلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَـلَّاكَ ؟!
بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ المُصَفَّى مَنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ مَـنْ ذَا الَّـذِي صَفَّـاكَ ؟!
وَإِذَا رَأَيْتَ الحَـي يَخْرُجُ مِنْ حَـنَايَا مَيِّـتٍ فَاسْـأَلْهُ مَـنْ أَحْـيَاكَ ؟!
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِي الصَّحَرَاءِ يَرْبُو وَحْـدَهُ فَاسْـأَلْهُ مَـنْ أَحْيَـاكَ ؟!
وَإِذَا رَأَيْتُ النَّخْـلَ مَشْقُوقَ النَّـوَى فَاسْـأَلْهُ مَـنْ يَا نَخْـلُ شَقَّ نَـوَاكَ ؟!
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَـدْرَ يَسْـرِي نَاشِـرًا أَنْـوَارُهُ فَاسْـأَلْهُ مَـنْ أَسْـرَاكَ ؟!
وَإِذَ تَرى الجَبَلَ الأَشَمَّ مُنَاطِحًا قِمَمَ السَّـحَابِ فَسَـلْهُ مَـنْ أَرْسَـاكَ ؟!
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّـارَ شَـبَّ لَهِيبُهَـا فَاسْـأَلْ لَهِيبَ النَّـارِ مَـنْ أَوْرَاكَ ؟!

هذا جواب على سؤالنا الأول من أنا ؟

أخلص من هذه الكلمات الدقيقة المهمة إلى هذه الحقيقة الكبيرة ، ألا وهي أن الإيمان بالله تبارك وتعالى ليس غريزة فطرية فحسب ، ولكنه ضرورة عقلية أيضًا ، وبدون هذا الإيمان سيظل هذا السؤال يحتاج إلى جواب .

ذلكم السؤال الخالد في قول الله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾

[الطور : ٣٥ - ٣٦]

سيظل هذا السؤال مطروحًا يحتاج إلى جواب من هؤلاء المعاندين ، والجواب : لا ، لا يقول عاقل أنه خلق من غير شيء ، والسؤال الثاني : فهل خلقوا أنفسهم ، والجواب : لا ، ما زعم عاقل على وجه الأرض منذ أن خلق الله ومن عليها خلق نفسه أو خلق الأرض أو خلق السماوات ، فيبقى السؤال مطروحًا ويحتاج إلى جواب من كل عاقل منصف على وجه الأرض ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور : ٣٥ - ٣٦]

فهم يقولون ببساطة شديدة في مصير هذا الإنسان بعد رحلة هذه الحياة الدنيا يقولون : إنه الفناء والعدم المطلق أن تطويه الأرض في بطنها كما طوت ملايين الحيوانات الأخرى ، وأن تعيد هذا الجسد مرة أخرى إلى عناصره الأولى فيعود ترابًا ثم تذروه الرياح ، وهكذا ..!!

هذه هي قصة الحياة عند هؤلاء الماديين أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا جزاء ولا حساب ، ولا نعيم ولا عذاب ..!! يستوي في ذلك عند هؤلاء من أحسن غاية الإحسان ، ومن أساء غاية الإساءة ..!! يستوي في ذلك من عاش عمره للناس على حساب شهواته ، ومن عاش عمره

لشهواته على حساب الناس ..!! يستوي في ذلك من ضحى بحياته في سبيل الحق ومن ضحى بالحق في سبيل حياته ..!! يستوي في ذلك من اعتدى على حياة الآخرين في سبيل الباطل ، ومن عاش من أجل أن يرد ويدفع الباطل ..!! يستوي في ذلك من عبد الله وحده لا شريك له ، ومن عبد آلهة أخرى باطلة مدعاة ..!! يستوي في ذلك الموحدون والمشركون ..!! يستوي في ذلك الظالمون والمظلومون ..!! يستوي في ذلك المعذبون والمقهورون والمعذبون ..!! هذا ظلم .. أما المؤمن الذي مَنَّ الله عليه بالإيمان وأكرمه بالقرآن ، وبرسالة محمد ﷺ فإنه لا يتلعثم في الجواب طرفة عين ، يعرف المؤمن مصيره ، ويعرف المؤمن مسيره ، يعرف المؤمن أين يصير ، ويعرف المؤمن المصير ، فهو يؤمن بقول الملك القدير : ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ شتان شتان ، بين مادي ملحد يسوي بين هذين الصنفين ممن ذكرت ، وبين مؤمن يعرف أن الله ﷻ هو العدل وهو الحق ، فالمؤمنون يعلمون أنهم خلقوا لحياة الخلود ودار البقاء وهم في هذه الحياة الدنيا إنما يستصلحون وينقون ، ويهذبون ، ويعدون في هذه الدار إعدادًا ليؤهلهم للعيش في دار البقاء ، ليطيبهم الله تبارك وتعالى ، ليكونوا أهلًا لدار طيبة يكونوا أهلًا لسلام الملائكة عليهم إذا دخلوا جنة ربهم جَلَّ وَعَلَا وهم يقولون ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣]

إخوة الإسلام : إنه لعسير على العقل السوي أن يؤمن بخالق عليم

عظيم حكيم أحسن هذا الكون خلقًا وصنعًا ، وقدر فيه كل شيء تقديرًا بحكمة ، ثم يؤمن بعد كل ذلك أن سوق الحياة ستنفض بالموت وقد سرق من سرق ، ونهب من نهب ، وكفر من كفر ، وظلم من ظلم ، وأساء من أساء ، واعتدى من اعتدى ، ثم لا يقف بعد ذلك هؤلاء جميعًا بين يدي الله تعالى ليقتص للمظلوم من الظالم ، وليثيب الموحد على توحيده ، والعابد على عبادته ، لا يصدق عقل سَويّ مثل هذا أبدًا ، وما أروع كلام الله – سبحانه وتعالى – ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾
[المؤمنون : ١١٥- ١١٦]

وما أروع قول الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦]
أي مهملًا لا سؤال ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ، كلا .

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾
[الجاثية : ٢١]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾
[ص : ٢٧- ٢٨]

وقال جَلَّ وَعَـلَا : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ

﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الدخان : ٣٨ - ٤٠]

ومن أجمل وألطف ما قرأت في سنن ابن ماجة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرضِ الحَبَشَةِ ؟** » قال فتية منهم : بلى يا رسول الله ! بينا نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهبانيهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم ، يا غدر ! إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا . قال : يقول رسول الله ﷺ : « **صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخذُ لِضَعِيفِهِم مِن شَدِيدِهِمْ ؟!** »[1].

انظروا إلى فطرة هذه المرأة ، وكيف أبرزت مشهدًا من أعظم مشاهد يوم القيامة ، ألا وهو مشهد الحساب ، ومشهد الميزان ، ومشهد الحق ، نعم إنه مشهد حق ، فلا بد من قصاص :

أَيُّهَا المَظْلُومُ صَبْرًا لَا تَهِنْ ... إِنَّ عَيْنَ اللهِ يَقْظَى لَا تَنَامْ
نَمْ قَرِيرَ العَيْنِ وَاهْنَأْ خَاطِرًا ... فَعَدْلُ اللهِ دَائِمٌ بَيْنَ الأَنَامْ

---

[1] حسن : رواه ابن ماجه رقم (٤٠١٠) في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحسنه الألباني في مختصر العلو .

أيها الظالمون ، فإنا متظلمون ، وإنا إلى الله شاكون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فلا بد من وقفة يقف فيها الجميع بين يدي الله تبارك وتعالى ليجازي الله كل واحد بعمله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨]

قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٣ - ١٤]

فالمؤمن يعرف المسير ، ويعرف المصير ، يعرف أن المؤمنين إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، وأن الكافرين إلى نار ، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنان ، وأن يحرمنا وإياكم على النار ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والسؤال الثالث والأخير والمهم : بعدما عرف الإنسان خالقه ، وبعدما عرف الإنسان مسيره ، ومصيره يجب عليه أن يسأل نفسه هذا السؤال : لماذا خلقت ؟ ما هي الغاية التي من أجلها خلقت ؟ .

والجواب عند المؤمنين حاضر لا يحتاج إلى تفكير ، فكل صانع يعلم سر صنعته ، لماذا صنعها ؟ ولماذا صنعها على نحو معين ؟ .

فالمؤمن حينما يبحث عن هذا السؤال عند خالقه يرى الجواب واضحًا ، إن سئلت لماذا خلقت ؟ سيأتي الجواب من خالقك الذي يعلم الغاية من خلقك ، بل الذي خلقك لغاية يعلمها ويريدها - سبحانه وتعالى - سيأتي

الجواب واضحًا ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾
[الذاريات : ٥٦ – ٥٨]

وتدبروا معي هذه الآية الجميلة التي قل من فكر فيها منا ، قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] فهذه الآية جعلت معرفة الله – سبحانه تعالى – هي الغاية من خلق السماوات والأرض ، فالغاية هي أن تعرف الله ، أن تعرف أسماء جلاله ، أن تعرف صفات كماله ، أن تعرف قدره ، أن تعرف عظمته ، أن تعرف أنك ما خلقت إلا لتوحده ، أنك ما خلقت إلا لتعبده ، أنك ما خلقت إلا لتخشاه ، إلا لترجوه ، إلا لتتوكل عليه ، إلا لتخلص العبادة له وحده بلا منازع أو شريك ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
[الذاريات : ٥٦]

فالإنسان وبكل أسف يسأل عن الغاية التي من أجلها خلق كل شيء في الكون ، مع أن كل شيء في الكون خلق من أجلك أنت أيها الإنسان .

فأنت تسأل لماذا خلقت السماوات ؟ لماذا خلقت الأرض ؟ لماذا شق الله البحار ؟ لماذا تجري الأنهار ؟ لماذا خلق الله الأزهار ؟ لماذا كذا ؟ لماذا كذا ؟ في الوقت الذي لا يسأل الإنسان عن سبب خلق نفسه هو ، وعن غاية خلقه ، لماذا خلقت أنا ؟ إن سألت : الله ﷻ خلق الماء للأرض ،

وخلق الله ﷻ الأرض للإنبات وللحياة ، وخلق الله ﷻ النبات للحيوان وللإنسان ، وخلق الله ﷻ الحيوان للإنسان ، وخلق الله ﷻ الإنسان له وحده ، نعم أنت مخلوق لله وحده ، أنت مربوب لله وحده ، لا يجوز لك ألبتة أن تصرف العبادة لغير خالقك - سبحانه وتعالى - ، فالإنسان لله ، مخلوق لله ، ليفرد الله خالقه بالعبادة وحده بلا منازع أو شريك ، هذه العبادة لله وحده ، وهي الميثاق العظيم الذي أخذه الله على الخلق قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠ - ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] ، فلا عجب أن تكون العبادة هي الصيحة الأولى لكل نبي ، وهي التوجيه الأول لكل رسول ، فما من نبي ولا رسول بُعث في قومه إلا ودعا قومه أول ما دعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ، هذه دعـوة آدم ، وهذه دعوة إبراهيم وموسى وعيسى وهذه دعوة محمد ﷺ .

قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦]

قال الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥]

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ، فالعبادة أمر الله بها كل الخلق وأمر بها سيد الخلق ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ، واليقين هنا هو الموت .

فالتكليف بالعبادة لازم للنبي ﷺ ، ولكل بشر على وجه الأرض حتى يلحق بربه تبارك وتعالى ، بل وبين الله ﷻ أن المسيح عيسى ابن مريم الذي عبده النصارى وجعلوه إلهًا من دون الله ، بين عبوديته له - سبحانه وتعالى - فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾ [النساء : ١٧٢] ، وعبادة الله هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق .

وأكتفي بهذا القدر ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم .

... الدعـــاء

فهرس الجزء

فهرس المجلد

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة